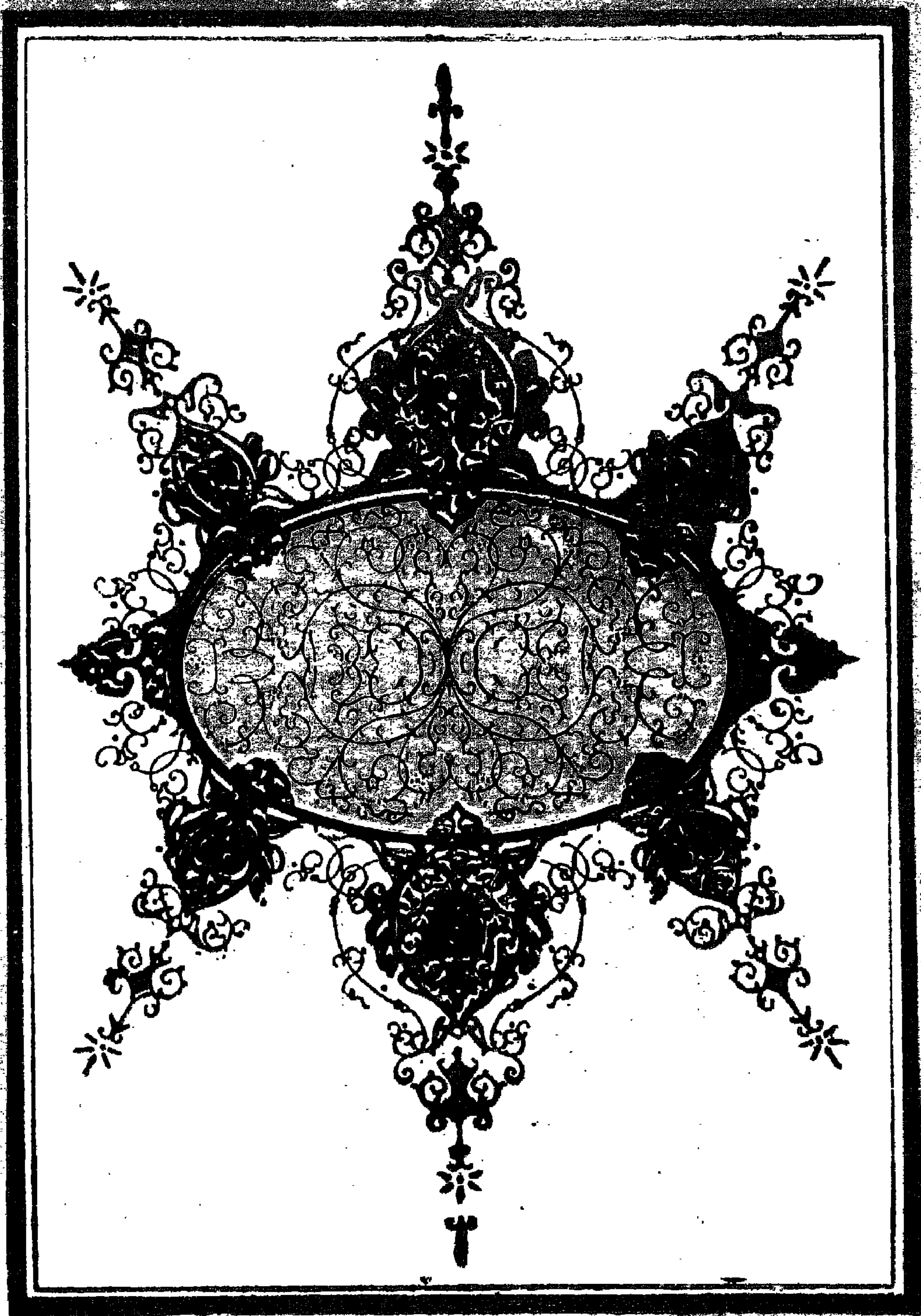
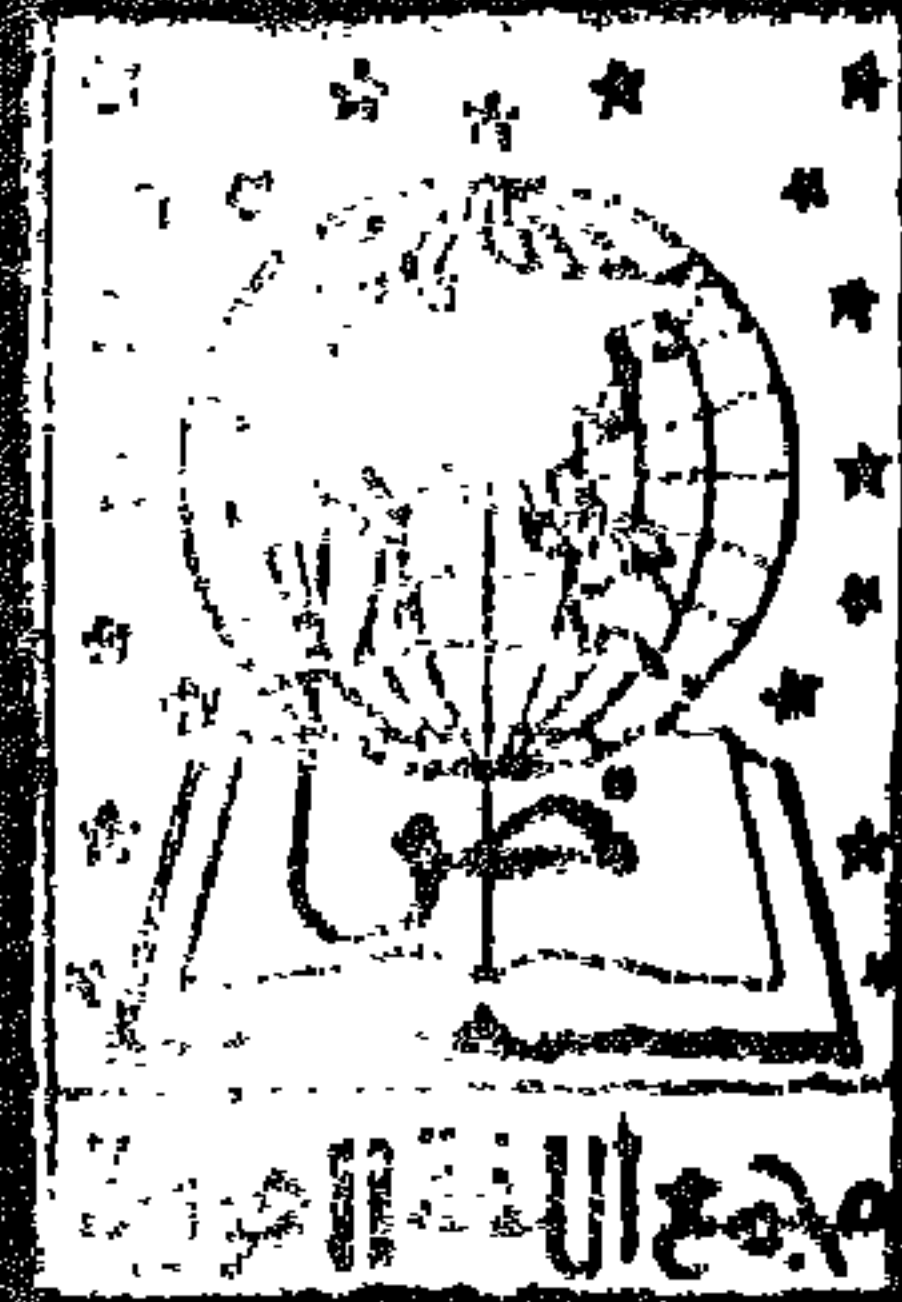


مجلة مجمع اللغة العربية



الجزء الخامس والثلاثون
ربيع الآخر ١٣٩٥ هـ
مايو ١٩٧٥ م



تجمع اللغة العربية
٢٦ شارع الدكتور داود حسين
(مراد سابقاً) بالجيزة

مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين في السنة)

الجزء الخامس والثلاثون
ربيع الآخر ١٣٩٥هـ - مايو ١٩٧٥م

المشرف على المجلة:
د. إبراهيم أنيس

رئيس التحرير:
إبراهيم الترش

الفهرس

• قول في السجو	• تقدير :
• الاستاذ محمد شوقي أمين	• صيغة الجمع
ص ٦٦	• للدكتور ابراهيم انيس
• مفهوم الجمال في اللغة العربية	ص ٧
• للدكتور عثمان امين	• بحوث ومقالات
ص ٧١	• الثقافة العربية اليوم وغداً (١)
• المقايير عند العرب	• للدكتور ابراهيم مذكور
• للدكتور عبد العظيم حنفى صابر	ص ١٨
ص ٨١	• القول في « ما » الزائدة
• التاريخ العربية	• للدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج
• للدكتور محمد سالم الجرج	ص ٢٣
ص ٩٠	• الإنسان العربي في القرن الخامس عشر المجري
• الفاظ العلم الطبيعى	• للدكتور عبد العلیم منتصر
• للدكتور جلال شوقي	ص ٣٢
ص ١١١	• من إنجاز الحذف في القرآن
• الصراع بين القراء والنحاة (٣)	• للدكتور احمد الحوفي
• للدكتور احمد علم الدين الجندى	ص ٣٩
ص ١١٨	• تحقيق لسان العرب (٥)
	• للاستاذ عبد السلام هارون
	ص ٥٢



تعريف ونقد

• الدكتور محمد يوسف حسن

• شرح مقالات الحريري

• الدكتور محمود مختار

تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم

كلمة الدكتور محمد مهدي علام في استقبال

تعريف ونقد :

الأستاذ بدر الدين أبو غازي

الأستاذ محمد عبد الفتى حسن

ص ١٤٩

ص ١٣٨

كلمة الأستاذ بدر الدين أبو غازي

شخصيات مجتمعية

ص ١٥٤

كلمة الدكتور عبد الحليم منتصر في استقبال :

أعضاء جدد :

• الدكتور محمد يوسف حسن

استقبال دائرة أعضاء جدد وهم :

• والدكتور محمود مختار

• الأستاذ بدر الدين أبو غازي

ص ١٠١

• كلمة الدكتور بولس عياد عن أسرة المرحوم

الدكتور مراد كامل

ص ١٨٣

• رثاء الدكتور طه حسين

للدكتور عبد الله الطيب

ص ١٩٧

من أبناء المجمع

• كلمة الدكتور محمد يوسف حسن

ص ١٦٧

• كلمة الدكتور محمود مختار

ص ١٧١

أعضاء وأهلون

• كلمة الدكتور عثمان أمين في تأبين المرحوم :

الدكتور مراد كامل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نظير

صِفَةُ الْجَمْعِ : "فُعْلَانُ" مَثَلُ فُعْلَانِ لِلدَّكْتُورِ إِبرَاهِيمِ أَنَسِيس

مجموع الانكسار العربية التي جاءت على هاتين الصورتين قد سببت بعض الحيرة لعلماء العربية فقد حاولوا في كتبهم أن يضعوا قاعدة لها ، فجاءت قاعدتهم في نهاية الجهد عرجاء لا تفسر الحكمة في أن عدداً من صور المفرد التي لا يمت بعضها إلى بعض من حيث البنية بأي صلة ، قد جمعت على « فعلان » بكسر الأول ، وأن عدداً آخر من صور المفرد قد جمعت على « فعلان » بضم الأول ١١

فأي صلة بين بنية المفردات « غراب . صرد . حوت . تاج » حتى يمكن أن يقال إنها تجمع قياسياً أو باطراد على « فعلان » بكسر الأول ؟ وأي صلة بين بنية المفردات « بطن . ذكر . قضيب » حتى يمكن أن يقال إنها تجمع قياسياً على « فعلان » بضم الأول ؟

ومن عجيب أمر هؤلاء العلماء أنهم إذا وجدوا في اللغة أمثال :
[« غزلان » جمعا لغزال : وخرفان » جمعا لخروف و « نسوان » جمعا لنسوة ،
« ركبان » جمعا لراكب ، « سودان » جمعا لأسود] قالوا : إن كل ذلك من المجموعات
القليلة أو النادرة ١١

هم يتصورون إذن أن الجمع « فعلان » بصورتيه ، مطرد في سبع صيغ ومجموع
في خمس صيغ من صيغ المفرد ١١ فأى جمع هذا ١٢ وأى لغة مستقيمة يمكن أن تتضمن
مثل هذا النظام الذى زعموه ١٢

فإذا حاولنا أن نضع فرضا معقولا في تأصيل هذا الجمع ، قلنا : إن أمثله العربية ،
لا تعدو أن تكون جموعا على طريقة اللغة الحبشية في جمع المفرد المذكر بإلحاق الألف
والنون ١١ ولذلك نفترض أن الجمع « فعلان » بصورتيه ، صيغة غريبة على العربية
الشمالية المألوفة لنا . وقد جاءت هذه الصيغة على حسب الجمع في اللغة الحبشية ، ربما عن
طريق العربية القديمة في جنوب شبه الجزيرة ، وذلك بأن ألحقت الألف والنون بالجمع
العربية التى على الصور [فَعْلٌ مثل خرس ، فَعُولٌ مثل بطون ، فَعْلٌ مثل غدر ،
فَعْلَةٌ مثل إخوة] فى السكثرة الغالبة من الأمثلة المروية فى اللغة .

والجمع بإلحاق الألف والنون كثير الشروع جدا فى اللغة الحبشية ، وربما كان أيضا
فى العربية الجنوبية التى كانت سائدة فى اليمن القديمة .

لماذا إذن لا نفترض أن السكثرة النالبة من الأمثلة التى رويت فى معاجنا العربية
على « فعلان » بكسر الأول أو ضمّه ، لا تعدو أن تكون فى الأصل جموعا عربية مألوفة
ثم جمعت ثانية على طريقة اللغة الحبشية بأن ألحقت بها الألف والنون ، فمن بما يمكن
أن يطلق عليه مصطلح « جمع الجمع » ١١

ولا بد هنا من وقفة قصيرة لنقول شيئا عن ظاهرة جمع الجمع ، التى لم يجد القدماء من
علماء العربية ما يعللونها به سوى أن يقولوا :

[قد تدعو (١) الحاجة إلى جمع الجمع كما تدعو إلى تثنيته ، فكما يقال فى جماعتين من

(١) أشمونى ج ٤ ص ١١٢

الجمال « جمالان » كذلك يقال في جماعات وجمالات ، وإذا قصد تكسير المكسر نظر إلى ما يشاكلة من الآحاد فيكسر بمثل تكسيده ، كقولهم في « أعبد » أعابد و « أسلحة » أسالحو و « أقوال » أقاويل وقالوا في « مصران » مصارين ، وغربان غرابين وما جاء من الجوع على زنة مفاعل ، مفاعيل ، لم يحزن تكسيده لأنه لا نظير له في الآحاد فيحمل عليه ، ولكنه قد يجمع بالواو والواو كقولهم في « نواكس » نواكسون وفي « أيا من » أيا منون ، أو بالالف والياء كقولهم في « حدائد » حدائدات وفي « صواحب » صواحيبات . ومنه الحديث : إنك أنتن صواحيبات يوسف [

ولا يكاد هؤلاء العلماء يحاولون تعليل ظاهرة جمع الجمع أو تسويها .

غير أنا نرى في إشارة منسوبة في لسان العرب للأزهري يعقب بها على ما روى عن سيديويه من أنه كان يعتبر كلمة « مصارين » جمع الجمع . جاء في اللسان : [المصارين جمع المصران جمعته العرب كذلك على توهم النون أنها أصلية] ١١

أى أن « مصران » في رأيه ، اعتبر مفردا عن طريق التوهم ، أو ما نسميه نحن بالقياس الخاطئ ، ثم جمع على مصارين ، وليست مصارين إذن في رأيه من جمع الجمع !! وظاهرة جمع الجمع تد عرفها اللغويون المحدثون في لغات متعددة قديمة وحديثة ، ليست مقصورة على اللغة العربية ، لكي نسمح لبعض القدماء من علماء العربية ، أن يقول : « إنها من سنن العرب » ١١

ويفسر اللغويون المحدثون ظاهرة جمع الجمع على أحد أساسين :

أولها : أن بعض الكلمات التي تتضمن دلالة الجمعية قد يكثر شيوعها جدا ، فتبلى فيها تلك الدلالة أو تضعف تدريجيا ، حتى تصبح في وقت ما وقد اقتضرت دلالتها في أذهان معظم الناس على الأفراد ، ويقال حينئذ إنها فقدت فكرة الجمعية ، وأصبحت بحاجة إلى أن تجمع مرة ثانية ، ولتوضيح ذلك يكفي أن نتذكر هذه الكلمات (زناد . برام . كراس . مصران) التي تجرى على ألسنتنا الآن ، ونحسبها من المفردات ، ولكنها في حقيقة أمرها جموع ، ومفرداتها الأصلية هي على الترتيب (زند . برمة . كراسة . مصير) ١

وقد أدى فقدان فكرة الجمعية إلى تكرار الجمع في الكلمة الإنجليزية Children التي هي الآن في أذهان معظم الإنجليز مجرد جمع الكلمة Child وفي الحقيقة أن المفرد Child قد جمع قديما على Childer حين كانت علامة الجمع « Er » ، تم تنويسيت جمعيتها فجمعت بعد ذلك بطريقة أخرى أو علامة أخرى للجمع هي « En » وهي العلامة التي لا تزال نراها في مثل الكلمة الإنجليزية Oxen فأصبحت كلمتنا في نهاية المطاف Children ١١

ثانيهما : أن فكرة الجمعية أو دلالة الجمعية في كلمة ما قد لا تكفي ، أو لا تقنع المتكلم ، فيعتمد إلى تقويتها رغبة في المبالغة ، أو التحويل ، بأن يجمعها مرة ثانية ، ويبدو أن هذه هي الحال التي سيطرت على ذهن علماء العربية بين القدماء حين تحدثوا عن جمع الكلمة مرة ثانية ، وسموا ذلك جمع الجمع . فهم يتصورون في جمع الجمع أنه يفيد عددا من الآحاد أو الأفراد أكثر مما يفيد الجمع الأول الأصلي .

ومما شجع على جمع الجمع في العربية ، ولا سيما فيما سموه بتكسير المكسّر ، أن في العربية بعض الصيغ التي يكثر ورودها مع بعض المفردات ومع بعض جموع التكسير في وقت واحد ، مثل « فَعُول » الكثيرة الشيوع في مصدر الفعل الثلاثي اللازم المفتوح العين أمثال : نزول . خروج . دخول . وهي أيضا كثيرة جدا في جمع الاسم الثلاثي أمثال : قبور . قرون . قصور .

وكذلك الشأن مع الصورة الأصلية للاسم الثلاثي حين يكون مضموم الفاء ساكن العين مثل : جرح . قطر . حلم . فهذه الصيغة كثيرة الشيوع أيضا ومطردة في جمع الألوان وذوى العاهات ، أمثال : حمر . زرق . عرج . صم . بكم .

وربما كانت كذلك صورة الاسم الثلاثي المضمومة الفاء والعين ، والكثيرة الشيوع في القرآن الكريم ، إذ ورد فيه من هذه الصورة ١٧ مثلا هي :

(أفق . أكل . حلم . ثلث . دبر . ربع . زبر . سدس . شغل . عنق . هزؤ
أذن . نسل . ظفر . عمر . قدس . نصب) .

وقد جاءت هذه الصورة « فُـسَل » مطردة بين جموع التكسير في أمثال : قَضُب (جمع

قَضِيب (، مُعْمَد (جمع عمود) ، مُخْشَر (جمع حمار) مُقْذَل (جمع قذال) صُبْشَر (جمع صبور) الخ . . .

وأخيراً صيغة « فَعْلَة » مثل فتية ، صبية ، وهي الصيغة التي تشكك بعض القدماء في أنها صيغة للجمع ، ووصفوها بأنها لم تطرد في شيء وإنما سمعت في ألفاظ ، ولذلك قالوا عنها إنها اسم جمع ، وليست من صيغ الجمع !! هي إذن أكثر قبولا لأن تجمع ثانية من غيرها من صيغ جمع التكسير الأخرى أمثال : مُفْعُول ، مُفْعَل ، مُفْعُل ، التي أشرنا إليها آنفا .

وهكذا ترى أن الصيغ (مُفْعُول ، مُفْعَل ، مُفْعُل ، فَعْلَة) حين عبرت عن دلالة الجمعية قد شجعت على أن يعاد جمعها مرة ثانية ، وأن تصبح بما يسمى جمع الجمع .
ويبدو أن هذا هو الذي حدث في صيغة (فعلان) بصورتها ، فأمثلتها العربية ، لا تعدو أن تكون في الأصل جمع تكسير على الصور الآنفه الذكر ، ثم ألحقت بها الألف والنون لتقوية دلالة الجمعية فيها أو للبالغة ، وكان ذلك اتباعا لطريقة الجمع الشائعة جداً في اللغة الحبشية — ونفترض لذلك أن العربية قد اقترضت علامة الجمع في اللغة الحبشية ، وربما كان هذا الاقتراض عن طريق العربية القديمة في جنوب شبه الجزيرة فألحقت الألف والنون ببعض الأمثلة المجموعة أصلا على الأوزان (مُفْعُول ، مُفْعَل ، مُفْعُل فَعْلَة) .

وقد أحصينا في استقراء سريع من معاجمنا القديمة أكثر من أربعين مثلاً جاءت على (فعلان) بصورتها ، ولم نجد بينها ما يتطلب تفسيراً خاصاً سوى ثمانية أمثلة هي :
ذؤبان . خرفان . حملان . مبيدان . جرذان . صردان . رهبان . صنوان .

وقد ورد في القرآن الكريم نحو عشرة أمثلة ليس بينها ما يتطلب تفسيراً خاصاً سوى مثلين هما : رهبان ، صنوان . وأما من حيث (رهبان) فقد اعتبرها بعض اللغويين مفرداً — جاء في اللسان ما نصه : (وقد يكون الرهبان واحداً وجما ، فمن جعله واحداً جعله على بناء فعلان ، أنشد ابن الأعرابي :

لو كانت رهبان دير في القلائل لا تحدر الرهبان يسعى فنزل

وأما من حيث « صنوان » ، فيمكن أن يقال إنها جاءت قياسا على « إخوان » لأن المفرد (صنو) يتحد في الدلالة مع المفرد (أخ) ، أى أن الجمع (صنوان) قد نشأ دون المرور بمرحلة (فعلة) كما في « إخوة » لأن الصنو ، يؤنث على صنوة .

وأما سائر الأمثلة الأخرى التي تتطلب تفسيراً خاصاً فنؤثر هنا أن نمر بها مرورا ودون أن نحاول تفسيرها بأكثر من أنها ربما تكون قد جمعت على هذه الصورة قياسا على أمثلة أخرى تشبهها ، وإن كنا نجعل المقيس عليه في معظم تلك الحالات ؛ لجهلنا بتاريخ نشأة الكلمات في أغلب الأحيان . فمثلا يمكن أن يقال : إن الجمع (مُعَلَّان) قد جاء قياسا على الجمع (ذُكْران)

ويعني هنا ، قبل تفسير القلة من الأمثلة المروية في اللغة ، أن نصف القاعدة التي خضعت لها الكثرة من الأمثلة ، وهي تجاوز الثلاثين مثلاً . ونبدأ هذا الوصف بأن نقرر أن إلحاق الألف والنون بالصيغة (فعلة) يأتي لنا بالجمع (فعَلان) المكسور الأول ، وإلحاقهما بالصيغ (فعُول ، فعُول ، فعُول) يأتي لنا بالجمع (فعَلان) المضموم الأول . فحركة « الفاء » في الجمع الأصلي هي التي تحدد حركة « الفاء » في الجمع (فعَلان) ، كما نقرر أيضا أن العربية في إلحاق الألف والنون ببعض أمثاتها قد تحاشت ، فيما يبدو ، اللبس بالثنى ولذلك مالت إلى تسكين الوسط مع صيغتي (فعُول ، فعُول)

نسوق بعد هذا الأمثلة المروية في المعاجم القديمة ، والتي خضعت للقاعدة التي نفترضها في تفسير الجمع المختتم بالألف والنون :

أولا : وزن (فعَلان) بكسر الأول . وأمثلة هذا الوزن في الكثرة الغالبة ، بما ورد منها في اللغة ، لا تعدو أن تكون في أصلها جموعا على صيغة (فعلة) ثم جمعت ثانية بأن ألحقت بها الألف والنون :

- | | | | | |
|----------|---|-------|---|--------|
| ١ - شيخ | ← | شِيخة | ← | شِيخان |
| ٢ - فتى | ← | فِتية | ← | فَتيان |
| ٣ - صبي | ← | صَبية | ← | صَبيان |
| ٤ - غلام | ← | غَلية | ← | غَلمان |

- ٥ - غزال ← غزلة ← غزلان
 ٦ - شجاع ← شجعة ← شجعان (المضموم الأول أكثر شهرة)
 ٧ - أخ ← إخوة ← إخوان
 ٨ - جار ← جيرة ← جيران
 ٩ - نار ← نيرة ← نيران
 ١٠ - قاع ← قيعة ← قيعان
 ١١ - ثور ← ثيرة (قال المبرد جمعه على فِعْلة ثم حركوا الياء) ← ثيران .
 ومن المؤكد أن أمثال (باب بيبان ، تاج تيجان ، كوز كيزان ، حوت حيتان ، نسوة نسوان) قد جاءت قياسا على بعض الأمثلة الآنفة الذكر ، أو أنها فقدت إحدى المراحل الثلاث (مفرد ← فِعْلة ، فعْلان)

ثانيا : وزن (فعْلان) بضم الأول ، وأمثلة هذا الوزن في الكثرة الغالبة بما ورد منها في اللغة ، لا تعدو أن تكون في أصلها جموعا على إحدى الصيغ (فُعْعل ، فُعْعل ، فُعْعل) ، ثم جمعت ثانية بأن ألحقت بها الألف والنون :

- ١ - فُعْعل + ان = فُعْعلان . واشتهر ذلك فيما يعبر عن الألوان والعاهات ،
 ١ - أسود ← سُود ← سُودان
 ٢ - أبيض ← بيض ← ببيضان (كسر الأول طارىء بسبب الياء)
 ٣ - أعمى ← عمى ← عميان
 ٤ - أبكم ← بكم ← بكمكان
 ٦ - أصم ← صم ← صمان
 ٦ - أخرس ← خرس ← خرسان
 ٧ - أعرج ← عرج ← عرجان
 ٨ - ولد ← ولد ← ولدان

(ب) فُعْعل + ان = فُعْعلان (بعد تسكين الوسط لئلا يلتبس بالمتنى)

- ١ - غدير ← غدر ← غدران

- ٢ - جدار ← جدر ← جدران
 ٣ - قضيب ← قضب ← قضبان
 ٤ - رغيف ← رغف ← رغفان
 ٥ - عهد ← عهد ← عهدة
 ٦ - صليب ← صليب ← صليبان

(ح) مفعول + ان = فعلان (بعد تسكين الوسط لئلا يلتبس بالثني)

- ١ - بطن ← بطون ← بطنان
 ٢ - ظهر ← ظهور ← ظهران
 ٣ - راكب (أوركب) ← ركوب ← ركبان
 ٤ - ذكر ← ذكور ← ذكران
 ٥ - ضيف ← ضيوف ← ضيفان (كسر الأول طارئ بسبب الياء)

ومع أن المستشرقين يشيرون في كتبهم إلى أن إلحاق الألف والنون في اللغة الحبشية علامة للجمع المذكر الصحيح ، ويقررون أنه قد وجدت له بعض الآثار في اللغتين الأكادية والسريانية . وبرغم ذلك إذا عرضوا لجمع التكسير في اللغة العربية يعتبرون إلحاق الألف والنون من علامات جمع التكسير فيها (١) ١٤

ومن كل ما تقدم نرى أن الصيغة (فعلان) بصورتها بما يسمى بجمع الجمع . وأنها في الأصل جمع على إحدى الصيغ (فَعْلَة ، فَعْل ، مَفْعُل ، فَعُول) ، ثم جمعت ثنية على طريقة اللغة الحبشية بأن ألحقت بها الألف والنون .

وفي الحق أن بعض علمائنا القدماء قد اعتبروا بعض أمثله (فعلان) : ما يسمى بجمع الجمع . جاء في اللسان : (والجدار : الحائط والجمع جدر ، وجدران جمع الجمع) .

(١) S. Moscati : an introduction to the Comparative grammar of the semitic Languages . p . 83 .

وليس اقتراض علامة الجمع من لغة أخرى أمراً فريداً ، أولاً نظير له بين اللغات ، فقد اقترضت الفارسية علامة جمع المؤنث السالم من العربية (ا ت) وجمعت عليها بعض الكلمات الفارسية الأصل مثل (باغ) بمعنى حديقة جمعت على (باغات) بمعنى حدائق . وكثيراً ما اقترضت الإنجليزية علامة الجمع اللاتينية فقالت مثلاً فى جمع (formulae ، formula) . وإذا كان قد تم اقتراض علامة الجمع بين لغتين من فصيلتين مختلفتين كالعربية والفارسية فلا غرابة أن يتم ذلك بين لغتين ساميتين هما العربية والحبشية .

وبالله التوفيق

المشرف على المجلة

ابراهيم أنيس



بحوث ومقالات

الثقافة العربية اليوم وغداً

نسأتمها ونطورها
للدكتور إبراهيم مذكور

ومنذ القرن الرابع عشر طغت على العالم العربي موجة غاشمة من القهر والخلابة ، وظلمة قاتمة ضاقت فيها الفكر والأفق ، وعاش الناس في ماضيهم يرددونه ويحاكونه ، وربما عز عليهم فهمه وإدراكه . وكثيراً ما رددت تلك العبارة المشهورة : « ما ترك الأول للآخر شيئاً » ، فأجدت العقول ، وكثر المحرم ، وقل المباح . وعطلت المصانع والمعامل ، وأغلق كثير من معاهد العلم الكبرى ، ولم يبق منها إلا الأزهري والقاهرة ، والزيتونة في تونس ، والقرويين في مراكش . وما بقي ظل يدور حول نفسه ، يلخص الحقائق العلمية في « متون » ، ثم يوضح هذه المتون في « شروح » ، وقد يفسر الشروح في « حواش » ، و « تقارير » ، وكل ذلك أخذ عن السابقين . دراسات في الغالب رتيبة غير متنوعة ، جامدة غير متحركة ، مقلدة غير مبتكرة ، لفظية غير موضوعية . وفي اختصار : كانت الحياة الثقافية ضيقة النطاق ، مقصورة على طائفة محدودة تعيش في الماضي ، ولا تعبأ بالحاضر ، تنكر التطور

١ — الحياة الثقافية في مجتمع ما ولادة وعى وبقظة ، وثمره انبثاق وحرية . ولا شك في أن الإسلام بعث في العالم العربي وعياً نشيطاً خلاقاً وأسبغ عليه نعمة شاملة ، وحرية كاملة ، فتفجرت فيه عبقریات استطاعت أن تقيم حضارة لها شأنها بين الحضارات الإنسانية الكبرى . وفيما بين القرنين السابع والرابع عشر الميلاديين تنافس العرب والمسلمون جميعاً في ميادين الثقافة ، فأنجزوا ما أنجزوا ، وأنتجوا ما أنتجوا في نواح شتى : في الأدب والفن ، في العلم والفلسفة ، في العمران والحضارة ، في الصناعة والتجارة واسترعى إلتناجهم الأنظار ، وبهرأوروبا في القرون الوسطى ، وأخذت تنهل من حياضه وتحاكيه . ولم يبق شك اليوم في أن العلم والفلسفة لدى اللاتين مدينان للعلم والفلسفة العربيين ، وأن الازدهار الفكري في باريس وأكسفورد إبان القرن الثالث عشر إنما كان صدى لما سبقه من ازدهار في بغداد وقرطبة ، وقد مهد ذلك كله للنهضة الأوروبية الحديثة .

والتقدم ، ولا تشعر بحاجة إلى تجديد أو ابتكار .

* * *

٢ - وفي القرن التاسع عشر بدأت تهب على العالم العربي نسمة جديدة من اليقظة والحرية وظهرت بوادرها في مصر أولاً ، ثم امتد صداها شيئاً فشيئاً إلى بلاد عربية أخرى . وأخذ العرب يحسون بوجودهم ، ويشعرون مرة أخرى بأنفسهم . ففكروا في استقلال ، ونظروا في تفكير غيرهم . ولا شك في أن الحملة الفرنسية كانت القنبس الأول الذي انبعثت منه حركة البحث والتجديد ، فقد اصطحب نابليون معه أربعين من كبار العلماء جاسوا خلال الديار ، ووصفوا طيبر مصر وحيواناتها ، وحللو أتريتها ، وكشفوا عن معادنها وصخورها ، ورسموا معالم اقتصادها . وأخرجوا ذلك الكتاب القيم Description de l'Egypte وأسسوا معهداً لا يزال قائماً إلى اليوم ، وهو : L. Institut d'Egypte الذي حرص نابليون على أن يرأسه بنفسه . وتلت ذلك حركة استقلالية ردت إلى مصر اعتبارها ، ودفعها لأن تتسلح بسلاح العلم الحديث . وتزعم محمد علي طوال أربعين سنة حركة علمية وحضارية فسيحة ، فأنشأ مدارس الطب والهندسة والصيدلة إلى جانب المدارس الحربية . وأوفد إلى أوروبا وفرنسا خاصة بعثات متلاحقة ، وكانت أولها (١٨٢٦) مكونة من ٤٠ طالبا قصدوا باريس لدراسة الرياضيات والهندسة والطب والعلوم الصناعية . وأنشئ عدد من المدارس الابتدائية والثانوية . وأقيمت مشروعات كبرى كالقناطر الخيرية ، ونظم الري والصرف ، وشق بعض الترع

والرباحات . إلا أن أبناء محمد علي لم يسيروا على نهجه تماماً ، فأغلقت المدارس العليا ، وتوقفت البعثات الطلابية إلى أوروبا . ويظهر أنهم عنوا خاصة بالنواحي الحضارية والعمرانية ، فشيّدوا القصور الفخمة ، ودار الأوبرا ، وأنشأوا السكك الحديدية والبريد والبرق .

ونود أن نشير إلى أمرين آخرين كان لهما شأنهما في هذه الحركة الثقافية ، وأولهما : دعوة العلماء والخبراء الأجانب ، والاستعانة بهم في النروض والتجديد ، في العلم والصناعة والعمران . ومنهم جماعة وضعت اللجنة الأولى في بنيان النهضة المصرية الحديثة . وعول محمد علي في مدارس ومصانعه على الأساتذة والخبراء الفرنسيين ، وطبعت الحياة الثقافية المصرية بطابع فرنسي واضح استمر حتى نهاية القرن التاسع عشر . ويضاف إلى هذا ثانياً السماح بإنشاء مدارس أجنبية دينية كانت أو مدنية . ولم تقتصر هذه المدارس على تعليم أبناء الجاليات الأجنبية ، بل فتحت أبوابها أيضاً لأبناء المصريين ، وعززت تعليم اللغات الأجنبية بين فرنسية وإيطالية ، وإنجليزية وألمانية . ونشئ فيها عدد غير قليل ممن تولوا القيادة الفكرية والسياسية في القرن العشرين . والواقع أن الأوروبيين حظوا في مصر إبان النصف الثاني من القرن الماضي بمزايا لم يحظ بها الوطنيون أنفسهم . فوقف عليهم أحياء خاصة في بعض المدن الكبرى ، وعوملوا معاملة كلها رعاية وتقدير ، ونعموا بامتيازات لم تخل من ظلم للمواطنين ، ولانظير لها في بلادهم الأصلية . وبلغ عددهم أحياناً نسبة ملحوظة ، ويمكن أن

نشير إلى أن هذه النسبة صعدت في الإسكندرية إلى نحو ١/١٠ السكان أيام الخديو إسماعيل . وفى هذا الاختلاط والاتصال ما سمح بتبادل ثقافات وتجارب وخبرات متعددة .

واستطاعت مصر أن تكون رائدة ، وسيبدو أثر ريادتها فى القرن العشرين على شكل أوضح ، وقل أن نجد بلدا عربيا لم يبعث إليها ببعض أبنائه لينهلوا من حياضها ، ويقفوا على مظاهر نهضتها ، وكان الأزهر من قديم قبة طلاب العلم من البلاد الإسلامية عامة . وحرصت البلاد العربية ، إن أتاحت لها فرصة ، على أن تحاكي مصر ، وأن تحذو حذوها . وأفاد بعضها من المدارس الأجنبية ، وإن تأثر بشيء من ميولها واتجاهاتها . ولبنان ، وهو نسبيا أكثر حظا من هذه المدارس ، مدين خاصة لمعدين كبيرين : هما الجامعة الأمريكية والجامعة اليسوعية . وهذان المعبدان من غرس القرن التاسع عشر ، ولم ينخلوا من أهداف دينية ، وقد بدأ فى صورة مدرستين ثانويتين ، وإليهما يرجع الفضل على كل حال فى حركة لبنان الثقافية المبكرة . ولبنان فى حاجة أن نشير إلى أن الاستعمار فى الجملة لم يشجع التعليم العالى ولا المتخصص ، واكتفى بتخريج كتاب وسكرتاريين . وكان لابد للبلاد العربية أن تعزز استقلالها ، لكي تستطيع أن ترسم بنفسها وسائل نهوضها وتقدمها ، وتفاوتها ثقافيا يرجع فى قدر كبير منه إلى الزمن ؛ فأقدمها عهدا بالاستقلال أرسنها قدما فى ميدان العلم والثقافة .

٣ - القرن العشرون هو البسء الحقيقى

للهضة الثقافية العربية المعاصرة ، لأنه قرن التحرر والاستقلال ، قرن الازدهار الاقتصادى والرخاء . ولا سبيل إلى نهضة ثقافية بدون إمكانيات تعدلها وتيسر وسائلها ، وهو أخيرا قرن التحدى والمنافسة . وإذا كانت الحربان العالميتان اللتان بلى بهما هذا القرن قد غديتا الشعور القومى فى العالم العربى ، فإنهما عانتا وسائل نهوضه وتقدمه ، وتلتهمها حروب إسرائيل التى لم تعرف نهايتها بعد ، وحروب الاستقلال فى الجزائر ، وحروب الأكراد فى العراق ، والحرب الأهلية الوحشية فى لبنان . وقد أنفق فيها جميعها ما أنفق من أموال وأرواح ، وعوقت دون نزاع سير التجديد والإصلاح . وبرغم هذا كله حاول من بلوا بها ما وسعهم أن يلائموا بين متطلبات السلم ومقتضيات الحرب ، ولو قدر لهم أن يسلموا من هذه الويلات لكان سيرهم فى طريق النهوض والتجديد أكمل وأسرع . ولا تخلو الشدائد من دروس تليها ، فمن تكشف عن مواطن الضعف والنقص ، وتعين على وضوح الرؤية ، وتستحث الهمم ، وتصفى النفوش . وتدعو إلى جمع الكلمة . وكل تلك دروس ما كان أحوج العالم العربى إليها ، ونعتقد أنه أفاد منها ، ويعز عليه أن ينساها ، ونأمل أن يعمل دائما فى ضوئها .

وقد اتضحت معالم النهضة فى القرن العشرين ، وتحددت أهدافها ، واتسعت آفاقها . ويراد بها أن تكون نهضة عربية أولا تعبر عن العالم العربى فى آماله وآلامه ، تحكى واقعة ، وتصور شخصيته ، وتحفظ للثقافة العربية مكان لائق بين الثقافات العالمية . وفى فجر هذا القرن كانت

هناك حيرة بين الشرق والغرب ، بين القديم والجديد ، بين التقليد والابتكار . ولا نزاع في أن الأمر قد وضح الآن ، ذلك لأن العالم العربي يحرص على كيانه ووجوده وشخصيته . يريد أن يكون له فن وأدب ، وعلم وفلسفة ، وقد حقق فعلا بعض ما أراد ، وليس شيء أبعد على الثقة بالنفس من التحقيق والإنجاز . ويريد العالم العربي أكثر من هذا ، فيطمح في أن يكون لفنه وأدبه منزلة بين الفنون والآداب الأخرى ، وأن يسهم في مضمار العلم والتكنولوجيا ، وأن يباهى بما يحقق من كشف واختراع . يريد في اختصار أن يعيد مجد الماضي ، وأن يضيف إليه أجداداً أخرى في الحاضر .

٤ — ولغته نفسها كانت محل أخذ ورد ، لأن الاستعمار حاول أن يحل محلها لغات أخرى ، من تركية أو إنجليزية أو فرنسية . فهل تستطيع العربية أن تستعيد مكانتها في مظاهر حياتنا على اختلافها ؟ في الصحافة والمدرسة ، في المصنع والمتجر ، في الإدارة الحكومية والأعمال العامة في تعامل الأفراد ومصالحهم ؟ وقد آمنت مصر منذ عهد مبكر أنه لا بد من لغة وطنية ، وتسامل فريق من الناس أهى الفصحى أم العامية ؟ وتلك بلبلت أخرى عشنا فيها زمناً ، ولكن لم يبق اليوم شك في أن العربية هي اللغة الوطنية ، وأنها كفيلة بأن تحل محل العامية واللغات الأجنبية . وبدأ سعد زغلول منذ العقد الأول من هذا القرن في تعريب المدرسة الابتدائية والثانوية الأميرية ، التي سبق للاستعمار أن كساها بكساء إنجليزي . وقد سارت مصر في هذا الطريق

شوطاً بعيداً ، فعربت الكتاب والمدرس ، واستكملت وسائل التعريب في العلوم والفنون على اختلافها . ولم تقف عند المدرسة الثانوية ، بل جاوزتها إلى التعليم العالي والجامعي ، وعربت منه قدراً غير قليل ، والنية معقودة على تعريبه جميعه . وتعريب التعليم اليوم من القضايا التي تشغل العالم العربي بأسره ، وقد تحتمق منه قسطنطين غير يسير . والغالبية العظمى تؤمن بضرورته ، ولا مناص من تعريبه جميعه ، يوم أن تتوفر وسائله . ومن الخطأ أن يعرب التعليم العالي قبل أن يتم تعريب المراحل السابقة ، وأولى بمعارضى هذا التعريب أن يسلبوا أسلحتهم في معركة فاشلة ، والمسألة مسألة زمن وإعداد .

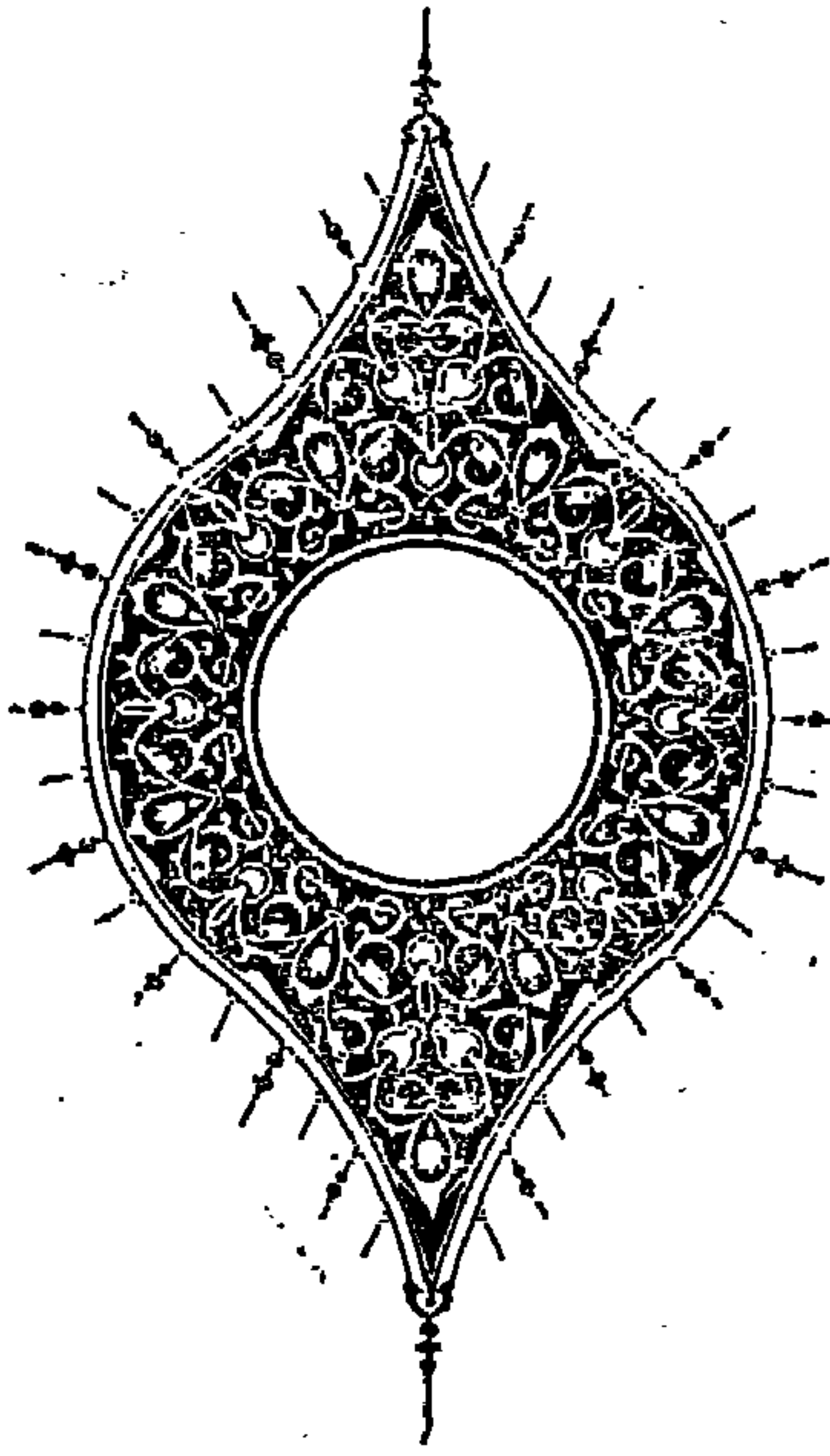
والعربية التي يستمسك بها الآن غير تلك التي كانت تستعمل في القرن الثامن عشر ، أو في جزء كبير من القرن التاسع عشر ، إنها عربية من إملاء العصور وروح . فهي سهلة سائغة ، لا غرابة فيها ولا تعقيد ، ولا زخرف ولا صنعة . وهي واضحة دقيقة تصوب إلى المعنى وتؤدي في أحكام ، ولا تحتاج في الغالب إلى معجمات وقواميس . تعنى باختيار الألفاظ المألوفة السهلة ، وبتبسيط الجمل وتوضيحها ، ويراد بها أن تكون يسيرة في تعليمها وتعلمها . يتخفف ما أمكن من نحوها وصرفها ، ولا يشغل الشباب من قواعدها إلا بالضرورة والعمل ، ويسلك في كتابتها وإملائها أيسر السبل . يراد بها في اختصار أن تكون لغة الخاصة والعامية على السواء ، لانا نعيش في عصر لا يقبل الخصوصيات ، ولا يسلم بالامتيازات . وعربية هذا شأنها تقترب فيها

لغة الخطاب من لغة الكتابة ، وتضيّق مسافة الخلف بين العامة والفصحى ، ولعلها تستطيع يوماً أن تحل محل اللاميات المتعددة .

وليس في الاعتزاز باللغة القومية ما يصرف عن تعلم اللغات الأجنبية . وتقضى النظم التعليمية في أغلب البلاد العربية بتعلم لغة أجنبية على الأقل ، وقد تضاف إليها ثانية . وهذه البلاد حساسة لأى تقصير في تعليم اللغة الأجنبية حساسيتها لما يحدث من تقصير في تعليم اللغة القومية ، وتسكاد توزع كلها بين الفرنسية والإنجليزية ؛ فتسود الأولى في المغرب ،

وتسود الثانية في المشرق ، وربما جمعت بلاد بينهما ، وقد تضاف إليهما الألمانية أو الإيطالية . وهناك محاولات لتعميم الروسية ، ولعله لوحظ من قبل أن في العالم العربى استعداداً لتعلم اللغات الأجنبية ، ولا تزال مدارس اللغات ، وهى أجنبية الأصل ، تؤدى رسالتها ، وعليها إقبال ملحوظ . والعالم اليوم متشعب الصلات ومتعدد العلاقات ، ولا يمكن أن يستغنى فيه عن تعلم لغات أجنبية ، وبقدر ما يسعى العرب إلى تعلم لغات غيرهم بدأ يسعى هؤلاء إلى تعلم لغتهم .

ابراهيم مذكور
رئيس المجمع



القول في "ما" الزائدة

للكاتب الشيخ عبد الرحمن تاج

ق

تقع « ما » في فصيح الكلام زائدة، ولكن

لا يمكن أن تكون فيه حشوا لغوا خالية من الفائدة . وأصل هذا — كما نبهنا إليه فيما سبق — أنها تنسلخ عن معانيها الوضعية ، فلا تكون مستعملة في شيء منها ، وإنما يوثق بها لتأكيد معنى مستفاد من غيرها مما وقع في التركيب نفسه .

ومعلوم أن « ما » لها معان كثيرة : فتكون استفهامية ، واسم موصول ، وموصولا حرفيا « مصدرية » ، وشرطية ، ونافية ، وهذه أهم معانيها وأشهرها .

فإذا وردت في تركيب مجردة عن معانيها كلها ، وكان لا يمكن أن تكون مستعملة في شيء منها على أن يكون جزءا أساسيا من المعنى المراد من التركيب فإنها تكون مزيادة . ثم هي تزداد في عدة أحوال ، أهمها — على ما قاله بعض العلماء — ثلاثة أحوال : (١) .

الحالة الأولى : أن تقع بعد شرط جازم أو غير جازم :

فالأول كما في قوله تعالى : « فإما يأتينكم مني

هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، (٢٨ البقرة) ، فقد جاءت « ما » في هذه الآية بعد إن الشرطية الجازمة وقد أدغمت فيها . وكما في قوله سبحانه : « أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى » . (١١٠ الإسراء)

فقد جاءت هنا بعد « أيا » التي هي شرطية جازمة أيضا .

وهي في هاتين الآيتين زائدة ، فإنها قد انسلخت عن معناها الأصلي الذي كان يمكن أن يكون لها حينئذ ، وهو معنى الشرطية ، من حيث إن هذا المعنى قد استفيد من أدلة الشرط قبلها ، وهي « إن » في الآية الأولى ، و « أيا » في الآية الثانية .

« والثاني » الشرط غير الجازم ، كما في قوله تعالى : « وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى إلى بعض » . (١٢٧ التوبة)

وقوله سبحانه : « وإذا ما غضبوا هم يغفرون » . (٢٧ الشورى)

فكلمة « ما » هنا أيضا زائدة ، إذ أنه لم يوثق

(١) في أمثلة الحالة الثالثة يمكن أن تكون « ما » أصلية ، وذلك بتوجيه وجيه ، كما سنقف على ذلك فيما سيأتي .

بها لإفادة معنى من معانيها الأصلية التي بينهاها ،
فإنها قد انسلخت عن هذه المعاني جميعها ولا أثر لها
فيها يراد لإفادته من المعنى الأصلي للتركيب ،
فإنه مستفاد بدونها .

٢ - « الحالة الثانية » أن تقع بعد نكرة
لمناسبة ما فيها من شيوع وإيهام ، وذلك كما في
قوله تعالى : « وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم
الله بكفرهم فقليلًا ما يؤمنون » (٨٨ البقرة)
فإن « ما » في هذه الآية لا يصح أن تكون
اسم موصول أو موصولا حرفيا حتى يمكن أن
يتخذ منها مبتدأ ، لأنه يكون حينئذ من غير خبر
إذ أن « قليلا » منصوب لا يصلح أن يكون
خبرا ، فهو معنول للفعل : « يؤمنون » أي أنه
صفة موصوف محذوف معنول لهذا الفعل ،
تقديره : إيماننا قليلا أو زمانا قليلا .

وإيس من هذا القبيل - على الراجح - « ما »
في قوله تعالى : « إن الله لا يستحي أن يضرب
مثلا ما » (٢٦ البقرة)
فإن « ما » هذه في الرأي الراجح - ليست حرفا
زائدا ، وإنما هي اسم نكرة وقعت صفة « مثلا »
والمعنى : لا يستحي أن يضرب مثلا أي مثل ،
وذلك كما تقول : « أعطاني كتابا ما » ، أي كتابا
أي كتاب .

ومتي كان صحيحا في « ما » التي في هذه الآية
أن تجعل على ذلك المعنى فلا ينبغي أن تجعل
حرفا زائدا لا يدل على معنى ، وهذا هو القانون
العام والدستور الذي نبهنا إليه مرارا ، وهو

الذي يجب السير عليه في إعراب القرآن
وتفسيره (١) .

٣ - « الحالة الثالثة » أن تقع بين الجار
والمجرور ، كما في قوله تعالى :

« فيها رحمة من الله لنت لهم » .
(١٥٩ آل عمران) .

« فسما نغفرهم ميثاقهم لعناهم » :
(١٣ المائدة) .

« قال عما قليل ليصبحن نادمين » :
(٤٠ المؤمنون) .

« مما خطيئاتهم أغرقوا » :
(٢٥ نوح) .

هذا - وإذا كانت « ما » زائدة في هذه
الاحوال الثلاثة فما الفائدة التي حققها تلك
الزيادة ؟ ومن أي طريق كان تحقيق هذه
الفائدة إن كانت ؟

« والجواب ، أن الفائدة التي حققها زيادة
« ما » هي توكيد المعنى الذي استفيد من غيرها
عما ذكر معنا في التركيب ، وذلك يفيد
بالضرورة توكيد الحكم المستفاد من هذا
التركيب في جملة .

فإذا زيدت بعد أداة شرط كان المقصود من
زيادتها إفادة توكيد معنى الشرط ، والمعنى العام
في كل شرط هو ربط جواب الشرط ربطا يفيد
ترتيب الجواب على ذلك الفعل ، فإذا زيدت
« ما » على أداة الشرط فإنها تفيد توكيد ذلك
الربط ، وتقوية ذلك الترتيب .

(١) بعض العلماء يجيز - كما أشرنا إلى ذلك آنفا - أن تكون « ما » في آية : « إن الله لا يستحي أن يضرب
مثلا ما » زائدة ولكنه رأى ليس بجيد .

ومن هنا يقول «الزنجشري» ، فيما كتبه في تفسير قوله تعالى : ﴿ ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون . حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ﴾ (١٩ ، ٢٠ . فصول) .

ما نصه : « فإن قلت ، « ما » في قوله : ﴿ حتى إذا ما جاءوها ﴾ ما هي ؟

« قلت » مزبدة للتأكيد ومعنى التأكيد فيها أن وقت مجيئهم النار لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم ؛ ولا وجه لأن يخلو منها . ثم قال : ومثله قوله تعالى : ﴿ أثم إذا ما وقع آمنتم به ﴾ ، أي لا بد لوقت وقوعه من أن يكون وقت إيمانهم به (١) .

وهذا هو ما أفاده « أبو السعود » بوضوح واختصار إذ قال : « ﴿ حتى إذا ما جاءوها ﴾ أي حتى إذا حضروها [أي النار] ، وما مزبدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور ، (٢) .

والذي يدل على أنها تفيد زيادتها تأكيد الشرط أنها هي التي انتضت مجيء الفعل بعده مقترنا بنون التوكيد ، وأن يكون توكيده بالنون حيثئذ واجبا ، كما هو رأي المبرد والزجاج ، وهو أرجح الآراء .

ولذلك لم تأت « إن » ، الشرطية المؤكدة « بما » في الكتاب العزيز إلا جاء الفعل بعدها مؤكدا بالنون .

« وأما طريق إفادتها التوكيد » فليس هو

مجرد أنها زائدة ، فإن مطلق الزيادة التي لا يراعى فيها معنى خاص يناسب التوكيد ويساعد على تحقيقه لا يمكن أن يقال إنه مفيد للتوكيد .

ذلك المعنى الخاص هو الشيء الذي من طريقه تفيد « ما » الزائدة التوكيد ، وهو أمر يختلف باختلاف المواضع .

(١) « ففي الحالة الأولى » — وهي التي تزداد فيها « ما » بعد أداة الشرط — يراعى فيها أنها في الأصل قد تستعمل شرطاً ، كما في قوله تعالى : ﴿ وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾ (١٩٧ البقرة) .

فإذا كانت — حين وقعت بعد أداة شرط — قد سلخت — كما قلنا — من معناها الأصلي ، وهو الشرطية ، ولم يكن ورودها في الكلام حيثئذ لإفادة هذا المعنى إفادة أصلية ما دام أنه قد استفيد من غيرها قبلها . فإنه يمكن أن يقال : لأنها تلج إلى هذا المعنى ، وتشير إليه إشارة يتحقق بها تأكيد معنى الشرطية .

وإذاً يكون التأكيد بها في معنى التأكيد بالتكرير ، كما يقال : نعم . نعم ، ولا . لا ، فكأن الشرط في هذه الحالة قد ذكر مرتين ، وذلك يفيد تقوية وتأكيذاً من غير شك .

هذا البيان — الذي يتضح به وجه إفادة « ما » الزائدة بعد أداة الشرط توكيد ما استفيد من هذا الشرط — يشمل حالتى الشرط الجازم وغير الجازم .

(١) تفسير السكشاف ج ٢ ص ٣٢٩

(٢) تفسير أبي السعود المطبوع على هامش تفسير الفخر ج ٧ ص ٦٤٥ الشرفية

ويضاف إليه — حين يكون الشرط الجازم
« أيا » كما في قوله تعالى : ﴿ أيا ما تدعوا ﴾ أن
« ما » حينئذ تكون — بما فيها من الإبهام
مؤكدَة أيضاً لما في الشرط من الإبهام .

وفي هذا يقول العلامة أبو السعود — في
تفسير قوله تعالى : ﴿ أيا ما تدعوا ﴾ فله الأسماء
الحسنى ﴿ ما نصه : « والتثوين في « أيا » عوض
عن المضاف إليه . و « ما » مزيدة للتأكيد ما في
« أى » من الإبهام ، اهـ .

(٢) أما في الحالة الثانية — وهى التى
فصلت فيها « ما » بين نكرة وقعت قبلها ،
وعامل فى النكرة جاء بعدها فى مثل قوله تعالى :
﴿ فقليل ما يؤمنون ﴾ — فإن السبب فى أن
زيادة « ما » حينئذ تفيد التوكيد هو ما تحمله من
الإبهام الذى يلزم معانيها الأصلية كلها ، فكانت
بهذا الإبهام مؤكداً للنكرة ، التى تدل بحسب
وضعها على معنى الإبهام والشيوع .

وبما يشبه ما قلناه هنا وفى مواطن أخرى -
عن زيادة « ما » وأخواتها من الحروف التى تزداد
للتأكيد ، وأن هذا التأكيد ليس لمجرد أنها زائدة
مطلق زيادة ، وإنما هو لأنها تشعر بمعنى يناسب
معنى ما جعلت مؤكداً له — ما يقوله الإمام
« الزمخشري » فى تفسير قوله تعالى :
﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم
نوره ولو كره الكافرون ﴾ (٨ الصف) .

فإنه رحمه الله قال : ﴿ يريدون ليطفئوا ﴾
أصله يريدون أن يطفئوا ، كما جاء فى سورة

براءة (يريد آية ٣٢ من سورة التوبة) .

ثم قال : « وكأن هذه اللام زيدت مع فعل
الإرادة تأكيداً له ، لما فيها من معنى الإرادة فى
قولك : جئتكم لإكرامكم » (١) .

هذا — والإمام الزمخشري قد قرر فى تفسير
قوله تعالى : ﴿ وقالوا قلوبنا غلفت بل لعنهم
الله بكفرهم قليلاً ما يؤمنون ﴾ (٨٨ البقرة)
أن « ما » — فى قوله سبحانه : ﴿ قليلاً
ما يؤمنون ﴾ — زائدة ، وأن المعنى فإيماننا
قليلاً يؤمنون ، وهو إيمانهم ببعض الكتاب ،
ثم لم يعرض لحكمة زيادتها ، ولم يبين المعنى
الذى أفادته هذه الزيادة .

لكنه فى آية : « وهو الذى أنشأ لكم السمع
والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون » (٧٨ من
سورة المؤمنون) قال فى تفسير قوله سبحانه :
« قليلاً ما تشكرون » مانصه : أى تشكرون شكراً
قليلاً ، وما « مزيدة للتأكيد بمعنى حقاً » .

وهذا تفسير غريب ، إذ كيف تكون « ما »
بمعنى « حقاً » ؟ وبأى وضع لغوى أفادت هذا
المعنى ؟ (٢) .

٣ — « وأما الحالة الثالثة » وهى التى
وقعت فيها « ما » بين الجار والمجرور — فإن
زيادة « ما » فيها — على ما يرى بعض العلماء —
تفيد التوكيد ، لكنهم لم يبينوا فى وضوح من
أين كانت هذه الزيادة مفيدة للتوكيد . ؟

(١) تفسير الكشاف ج ٢ ص ٤٥٥

(٢) ولعل مراد الزمخشري بكلمة « حقاً » ما يفيد تأكيد الفلة ، كأنه قيل قليلاً جداً

« وهناك رأى آخر » : أن « ما » في هذه الحالة الثالثة أصلية ، وهو ما ذهب إليه بعض المفسرين : وذلك بأن تكون اسما نكرة بمعنى « شيء » أو « أمر » ، ثم يكون الاسم المضرح به عقيبها بدلا منها ، وبذلك يتحقق توكيد الحكم وتقويته من حيث إنه يكون مثبتا أولا بأمر مجمل ، وثانيا بمبين مفصل .

وقد يكون مما يتمشى مع هذا المعنى ويستأنس به فيه ما يقرره النحاة حين يقولون : إن العامل في النابع هو العامل في المتبوع ، إلا البديل ، فإنه على نية تكرار العامل .

وعلى هذا يكون قوله تعالى : « فيها رحمة من الله لنت لهم » في تقدير : « فبسبب أمر لنت لهم ، بسبب رحمة من الله . » وقوله تعالى : « فيها نقصهم ميثاقهم لعناهم » يكون تقديره : « فبسبب أمر ، بسبب نقصهم ميثاقهم لعناهم » .

ولا شك أن تخريج الآيات التي تدخل في الحالة الثالثة على هذا الوجه الذي تكون فيه « ما » أصلية لا زائدة ، هو الذي ينبغي أن يسارع عليه ؛ فإنه - كما قلنا وكررنا - مادام يمكن حمل الكلية على الأصالة لتدل على معنى من معانيها المعهودة لها في اللغة بوجه صحيح مقبول فلا يسوغ العدول عن ذلك ؛ ليقال إنها زائدة لا تفيد شيئا من تلك المعاني .

وفي هذا يقول ابن جرير الطبري ما نصه :

« إن أهل العربية اختلفوا في معنى « ما » التي في قوله : « فقليل ما يؤمنون » .

فقال بعضهم : هي زائدة لا معنى لها ، وإنما تأويل الكلام : « فقليل يؤمنون » ، كما قال جل ذكره : « فيها رحمة من الله لنت لهم » وما أشبه ذلك ؛ فزعم أن « ما » في ذلك زائدة ، وأن معنى الكلام : « فبرحمة من الله لنت لهم » ، وأنشد في ذلك - محتجا لقوله ذلك - بيت مهمل :

لو بأبائين جاء يخطبها
خضب ما أنف خاطب بدم
وزعم أنه يعني : « خضب أنف خاطب بدم » ، وأن « ما » زائدة .

« وأنكر آخرون » ما قاله قائل هذا القول في « ما » في الآية وفي البيت الذي أنشده ، وقالوا إنما ذلك من المتكلم على ابتداء الكلام بالخبر

عن عموم جميع الأشياء ، إذ كانت « ما » كلية تجمع كل الأشياء ثم تخص وتعم ما عمته بما تذكره بعدها . ثم قال ابن جرير : « وهذا القول عندنا أولى بالصواب » ، لأن زيادة ما لا يفيد من الكلام معنى في الكلام غير جائز إضافته إلى الله جل ثناؤه « اه (١) » .

ومعنى هذا أن « ما » تكون أصلية اسما نكرة بمعنى شيء أو أمر ، ثم يكون ما بعدها بدلا منها في آية « آل عمران » : « فيها رحمة من

(١) تفسير الطبري ج ٢ ص ٣٣٠ ، ٣٣١ دار المعارف

الله لنت لهم ، ، وفي بيت مهلهل ، ولا شك أن الأسلوب يكون على هذا الوجه أقوى وأكد منه على وجه الزيادة ؛ إذ يكون الكلام به مشتملا على الحكم مرتين : مرة من طريق ما في « ما » من معنى العموم ، ومرة أخرى على وجه الخصوص من طريق البدلية .

وهذا هو رأى الأخفش وغيره من أئمة النحو ، كما حكاه الألويسي (١) .

وهكذا نجد « ابن جرير » يستصوب القول بأصالة « ما » في آية « آل عمران » : « فبأرحمة من الله لنت لهم ، وفي بيت « مهلهل » من حيث إن ذلك قد جاء على ما جرت به عادة العرب من التحديث عن الشيء أولا بصيغة العموم ، ثم يذكر بعد ذلك بطريق الخصوص .

وظاهر كلامه أنه لا يرى هذا الذي استصوبه في الآية والبيت مما يمكن أن يجرى في آية البقرة : « فقليل ما يؤمنون » ، إذ أن حديث العموم والخصوص لا يتحقق في هذه الآية ولا ينطبق عليها .

أما « الفخر الرازي » فإنه ذهب في الآية التي معنا : « فبأرحمة من الله لنت لهم » مذهبا غربيا جداً ، فإنه — بعد أن حكى عن الأكثرين القول بزيادة « ما » فيها وفي الآيات التي على شاكلتها ، وهي التي فصلت فيها « ما » بين الجار والمجرور ، وقولهم : إن العرب قد تزيد في

الكلام لتأكيد ما يستغنى عنه — قال : « وقال المحققون : إن دخول اللفظ الممهل الضائع في كلام أحكم الحاكمين غير جائز » . ثم عقب بذلك الرأى الغريب فقال ما نصه :

وهاهنا يجوز أن تكون « ما » استفهامية للتعجب ، تقديره : « فبأي رحمة من الله لنت لهم ، ، وذلك لأن جنائهم لما كانت عظيمة ، ثم إنه ما أظهر ألبتة تغليظا في القول ولا خشونة في الكلام ، علوا أن ذلك لا يتأتى إلا بتأييد رباني ؛ وتأكيد إلهي ؛ فكان ذلك موضع التعجب من كمال ذلك التأييد والتسديد ؛ فقل : « فبأي رحمة من الله لنت لهم » . ثم قال الرازي : وهذا هو الأصوب عندي ، اهـ (١) .

ومعنى هذا أن « ما » في هذه الآية ليست — في اختياره — زائدة ؛ بل هي أصلية للاستفهام التعجبي .

وهذا رأى عجيب وغريب ؛ على رغم أن « الفخر » يقول إنه هو الأصوب عنده .

إن جعل « ما » في الآية للاستفهام التعجبي هو شيء لا تستصوبه اللغة ولا تسوغه : ذلك أن « ما » الاستفهامية إذا وقعت بعد حرف جر فإنه يجب أن تحذف ألفها ؛ كما في قوله تعالى : « (عم يتساءلون) » ؛ « (قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة) » ؛ « (وإني مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون) » ، « (يا أيها

(١) روح المعاني ج ٤ ص ٩٤ المنيرية
(٢) تفسير الرازي ج ٣ ص ٨٠ المطبعة الحسينية

الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ﴿١﴾؛ ﴿٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا .

وهكذا لا تقع « ما » الاستفهامية المجرورة لا في القرآن ولا في كلام عربي فصيح إلا وألفها محذوفة ، للتفرقة بين الاستفهام والخبر . وإذا وردت ثابتة الألف في كلام يدعى أنه عربي فأقل ما يقال فيه : إنه شاذ وردى .

هنا سبب لا تسوغ اللغة من أجله أن تكون « ما » — في قوله تعالى : ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ ﴾ — استفهامية تعجبية .

وهو أمر يرجع إلى الصورة ومخالفها لما هو مقرر في اللغة في « ما » الاستفهامية المجرورة .

« وسبب آخر » يرجع إلى المعنى ، وهو أن « ما » الاستفهامية — سواء أكانت تعجبية أم غير تعجبية — ليست في اللغة بمعنى « أى » المجردة ، حتى يمكن أن توصل بكلمة « رحمة » في الآية ليصير المعنى : فبأى رحمة من الله لنت لهم ؛ كما يقول الفخر الرازى ؛ وإنما هي في اللغة بمعنى « أى شيء » (١) .

وذلك كما في قوله تعالى : « عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ » ؛ فإن معناه عن أى شيء يتساءلون . وقوله سبحانه — حكاية لقول ملكة سبأ — : « وَإِنِ مِرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهِدْيَةٍ فَمَا طَرَفُ الْبَاهِلِينَ » ، فإن معناه : فما طرفة بأى شيء وبأى رد وجواب يرجع المرسلون .

فإذا أخذت « ما » بمعناها هذا في آية : « فبما رحمة من الله لنت لهم » لم يستقم الأمر على ما يريده الرازى ؛ إذ لا يكون معنى الآية حينئذ فبأى رحمة من الله ؛ وإنما يكون : فبأى شيء رحمة من الله ؛ ويكون ذلك ضرباً من اللفظ الذى يستحيل أن يقع مثله في القرآن الكريم .

« والزخشرى » ماذا يرى في « ما » الاستفهامية هذه التى وقعت بعد حرف جر ؟ إنه قد اضطربت كلمته في ذلك :

ففي قوله تعالى : « قَالَ فَمَا أَغْوَيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ » (١٦ الأعراف) نجد يقول ما نصه : « وقيل « ما » للاستفهام ، كأنه قيل بأى شيء أغويتني ؟ ثم ابتداء « لأقعدن » . [ثم قال] : « وإثبات الألف إذا أدخل حرف الجر على « ما » الاستفهامية قليل شاذ » (٢) .

لكنه في آية ٢٧ من سورة « يس » — في قوله تعالى — : « قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي » — يقول : « يحتمل أن تكون « ما » استفهامية ، يعنى بأى شيء غفر لي ربى » ، ثم استدرك فقال : « إلا أن قوله : « بهم غفر لي » بطرح الألف أجود وإن كان إثباتها جائزاً » (٣) .

وهكذا يحين « الزخشرى » أن تكون « ما » الاستفهامية الواقعة بعد حرف جر ثابتة الألف ،

(١) القاموس المحيط ، مادة « ما » من باب الألف اللينة

(٢) تفسير الكشاف ج ١ ص ٤٨١

ولم يجعل ذلك من الأمور الشاذة التي جاءت على خلاف القواعد العامة، أو على خلاف الاستعمال الغالب في اللغة، كما قال في آية الأعراف . وكل ما نقله في ذلك أن الأجود هو طرح الألف، وفرق كبير بين أن يقال : « إن إثبات الألف قليل وشاذ » وأن يقال : « إن الأجود خلافه » والزخشرى هو صاحب القولين .

* * *

« وبعد » فإننا نريد هنا قبل أن ننهي هذا البحث أن نورد آية من صورة « الانفطار » وردت فيها كلمة « ما » على وضع خاص كان مثار اجتهاد المجتهدين من علماء اللغة والمفسرين . وذلك في قوله تعالى : « يأياها الإنسان ما غرك ربك الكريم » الذي خلقك فسواك فعدلك ، في أي صورة ما شاء ربك » .

اختلفت آراء أولئك المجتهدين في إعراب هذه الآية الثامنة ومعناها :

فقال بعضهم : إن « ما » في قوله سبحانه : « ما شاء ربك » زائدة ، وجملة « شاء » بعدها صفة لصورة ؛ والتقدير « في أي صورة شاءها ربك » أي ربك في صورة عظيمة عجيبة شاءها فقوله سبحانه وتعالى : « في أي صورة » متعلق بالفعل ربك .

ووصف الصورة بالعظم أو بالحسن والإعجاب آت من أن كلمة « أي » هي في الأصل للاستفهام وللشيء العظيم الفخم أو الحسن المعجب من شأنه أن يستفهم عنه وعن مقدار عظمه وحسنه ونخامته ، وقد جرى الاستعمال في ذلك بثقل « أي » من

الاستفهام لتدل على الاتصاف بالحسن أو العظم والفخامة ؛ فيقال : رأيت رجلا أي رجل ، ولقيت عالما أي عالم أي رجلا عظيما وعالما فاضلا . فقوله تعالى : « في أي صورة ما شاء ربك » معناها في صورة عظيمة أو صورة حسنة بديعة .

وهذه الجملة : « في أي صورة ما شاء ربك » قد فسلت عما قبلها فلم تعطف عليه كما عطف قوله سبحانه : « فسواك فعدلك » لأنها وقعت بيانا للتعديل وإفادة أن التعديل الذي هو العدل — كما في قراءة حفص : « فعدلك بالتخفيف — مراد به إتقان الصورة وإحكامها وجعلها متدقة متناسقة الاعضاء والأجزاء ، متناسبة الأركان والأطراف .

هذا هو حاصل معنى الآية وإعرابها على القول بأن كلمة « ما » فيها زائدة .

وهناك قول آخر أن « ما » هذه أصلية ، وأنها اسم موصول وقعت خبرا لمبتدأ محذوف والتقدير : « في أي صورة هي ما شاء » أي هي التي شاءها ، والجملة من المبتدأ والخبر صفة لصورة ؛ وقوله تعالى : « في أي صورة » متعلق بقوله : « ربك » كما في القول الأول ؛ والتقدير « في أي صورة هي ما شاءها ربك » ، أي في صورة عظيمة وعجيبة ؛ والمعنى أنه سبحانه وتعالى ربك في صورة عظيمة بديعة هي التي شاءها .

وجمله « في أي صورة ما شاء ربك » مستأنفة وقعت بيانا لمعنى العدل أو التعديل في قوله سبحانه : « فعدلك » كما في القول الأول

سواء ؛ ولذلك فصلت ولم تعطف على ما قبلها
كما عطف قوله تعالى : « فـواك فعدلك » .

والخلاصة أنه على القول الأول تكون « ما »
زائدة ، وجملة « شاء » بعدها في محل جر صفة
لصورة ؛ وعلى القول الثاني هي أصلية اسم
موصول خبر لمبتدأ محذوف ، والجملة من المبتدأ
والخبر في محل جر صفة لصورة أيضاً .

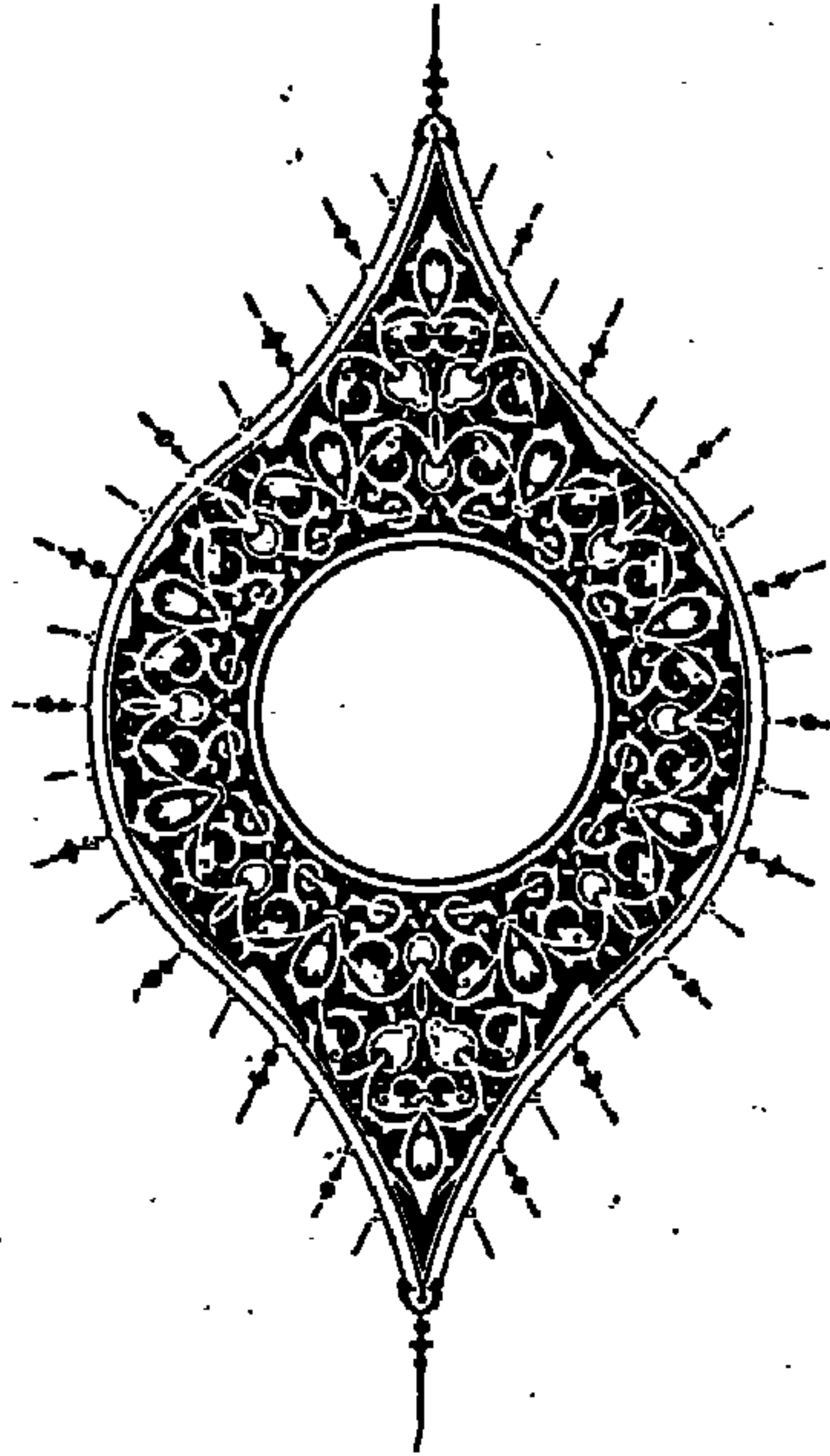
وجملة : « في أي صورة ما شاء ركبك »
مستأنفة على كلا القولين ، لأنها بيان لقواه
سبحانه : « فعدلك » .

وإذا لا فرق بين القولين في المعنى والمراد
من الآية ، ولا في إعرابها إلا في كلمة « ما »
وما يترتب على الحكم بأنها زائدة أو أصلية .

ثم إن القول بأن « ما » في الآية أصلية هو
الاقوى واللاحق بالاتباع ، فإن المعنى على أساسه
جلي وواضح ، وقد قلنا في مواطن كثيرة : إنه
ما دام يمكن حمل اللفظ على معنى من معانيه
الأصلية فإنه يجب الاعتداد به فيه ، ولا ينبغي
جعله زائداً غير مفيد شيئاً من تلك المعاني .

هذا — واختيار القول بأصالة « ما »
في هذه الآية وإعرابها على النحو الذي بيناه هو
بما وفق الله للاهتمام إليه ، على خلاف ما أطال
القول فيه كثير من العلماء ؛ كما ذكره الألوسي في
تفسيره ، والله أعلم .

عبد الرحمن تاج
عضو المجمع الراحل



الإنسان العربي في القرن الخامس عشر الهجري علمياً وتكنولوجياً للدكتور عبد الحليم منصر

« يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدماء الشهداء »
وقوله « لموت قبيلة أيسر من موت عالم » وقوله
« الناس من أمتي ثلاث فئات : عالم ومتعلم والباقي
همج » ، وقوله : « لا خير فيمن كان من أمتي ليس
بعالم ولا متعلم » ، وقوله : « اطلبوا العلم ولو بالصين
وقوله « لا يزال طالب العلم عالماً ، حتى إذا ظن
أنه علم فقد جهل » ، وقوله « اطلبوا العلم من
المهد إلى اللحد » :

وكان الخلفاء في العصر الإسلامي الأول ،
يعدون أنفسهم حماة للعلم ، ويرون أن قصورهم
يجب أن تكون مراكز تنبع منها الثقافة والعرفان
ومثابة يلتقي عندها العلماء والأدباء . ومنهم من
خصص في قصره دوراً ومساكن ومقاصير ،
يرتب في كل موضع رؤساء كل صناعة ومذهب
من مذاهب العلوم النظرية والعلمية ويجري عليهم
الأرزاق السنوية ، ليقصد كل من اختار علماً أو
صناعة رئيس ما يختاره ، فيأخذ عنه ؛ وقد
بدأت بقصر معاوية الخليفة الأموي الأول ،
وازدهرت في عصر عبد الملك بن مروان ، والوليد
ابن عبد الملك في العصر الأموي

وفي عهد الدولة العباسية ، اتخذت هذه
الصالونات العلمية أهميتها لتناسب مع أهمية ذلك

ماذا عسى أن يكون حال الإنسان العربي ،
في القرن الخامس عشر الهجري ، الذي يبدأ
فجره بعد سنوات معدودات ؛ ولعلنا أن نحدد
مجال التمكن بحاله ، من الناحية العلمية
والتكنولوجية .

لقد مضى على هذا الإنسان العربي قرابة
أربعة عشر قرناً ، منذ نعم بنعمة الإسلام
الحنيف ، وإن معجزته الكبرى كتاب هو القرآن
الكريم ، وإن أول آية « اقرأ باسم ربك الذي
خلق » . وإن كثيراً من آياته الكريمة لتحض
في دأب على طلب العلم ، والتفكير في ملكوت
السموات والأرض ، وفي الكون والكائنات
كقوله تعالى « هل يستوى الذين يعلمون والذين
لا يعلمون » ، وقوله : « إنما يخشى الله من عباده
العلماء » ، وقوله : « يرفع الله الذين آمنوا منكم
والذين أوتوا العلم درجات » ، وقوله أفلا
ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء
كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى
الأرض كيف سطحت ، وقوله : « وما أوتيتم
من العلم إلا قليلاً » .

ومن أقوال الرسول (ص) : « لغدوة في
طلب العلم أحب إلى الله من مائة غزوة » . وقوله :

العصر، وأصبحت الاجتماعات العلمية تعقد في أوقات منتظمة، وشملت قصور الأمراء والعظماء إلى جانب قصور الخلفاء، واتخذ لها الأثاث الفاخر والزيابش المناسب لفاهية هذا العصر. وتنوعت هذه الصالونات، فقد كان منها الأدبي ومنها العلمي والفني والموسيقى. وظلت صالونات الم والأدب - فيما يروى الاغانى - أرفعها قدراً. وفي عهد الرشيد - وكان واسع الثقافة - جمع حوله صفوة من العلماء والأدباء، وكذلك في عهد المأمون، بلغت هذه الصالونات وتلك المجالس العلمية الذروة.

يقول «هوجز»، إن عصر المأمون أزهى عصور النهضة العلمية؛ في العصر العربي الإسلامي. إذ كان الخليفة نفسه عالماً من أساطين العلماء، واختار أصحابه ورجال الدولة من الصفوة الأفاضل في الشرق والغرب، هذا إلى جانب الأساتذة والمشرّين والمترجمين والمفكرين، الذين عيّن بهم بلاطه وزين ملكه. ويقول «سيد أمير علي»: إن بلاط المأمون كان يوج بجمهرة عظيمة من رجال العلم والأدب والشعر والشعراء والأطباء والفلاسفة الذين استدعاهم المأمون من كل رجا من أرجاء العالم المتسدين، وشملهم جميعاً بعنايته مهما اختلفت مشاربهم وجسدياتهم. وبلغت بيت الحكمة أوجهاً في عصر المأمون، ونقاط المترجمون على بغداد، ونقلت العلوم المختلفة من اللغات اليونانية القديمة والقبطية والهندية والسريانية إلى اللغة العربية التي كانت اللغة العلمية. في العالم الإسلامي، وامتدت رقعة الإمبراطورية العربية من حدود الصين شرقاً إلى حدود فرنسا غرباً.

فكل من أراد أن يكتب علماً تقرأه الناس لجأ إلى اللغة العربية فكتب وألف بها. وكذلك كانت منازل العلماء، وقصور الخلفاء والأمراء، ودور الكتب: بيت الحكمة في بغداد، ودار الحكمة في القاهرة، ودار العلم في الموصل، كما كانت المساجد: المنصور في بغداد والأموي بدمشق، والأزهر بالقاهرة، والقيروان في تونس، والقرويين في المغرب، وقرطبة في الأندلس، والكبير في صنعاء، كل هذه كانت قبل إنشاء المدارس، تؤدي في العصر العربي الإسلامي ما تؤديه الجامعات ومعاهد العلم في العصر الحاضر. وكان تقدير الدولة للعلم والعلماء، والإنفاق بسخاء على العلم والعلماء، هما طابع هذا العصر الذهبي الزاهر. وحتى بعد أن انقسم العالم العربي إلى دويلات، بقي تنافس الحكام والولاة في رعاية العلم والعلماء قائماً.

ومن العلماء من كان يتخذ التدريس مهنة، ومنهم من كان يعمل تطوعاً لتثقيف الناس وتعليمهم عن طريق حلقات تيعمية أو بتأليف الكتب ونشرها. وكانوا أغلب الأمر موضع تقدير العامة والخاصة. وقد نصح أحد الخلفاء برسالة جاء فيها: «واعلم أن مواقع العلماء من تلك مواقع السرج المتألقة، والمصابيح المتعلقة، وعلى قدر تعاهدك تبذل الضياء، وتجلو بنورها الأشياء». وقيل لأحد الخلفاء: هل بقيت لك بقية لم تنلها؟ قال: «بقيت واحدة هي أعلى من جميع ما نلتها، وأنعم من كل ما باشرت، بل لم تقرب منها فضلاً عن أن تساويها منحة أو مرتبة، تلك هي أن أجلس مجالس العلماء، أملئ وأشرح وأفيد».

وكان أبو الأسود الدؤلي يقول: « ليس شيء أعز من العلم ، الملوك حكام الناس ، والعلماء حكام الملوك ، وكذلك تهيب والى المدينة أن يمشى إلى الإمام مالك ليقدم إليه الإمام الشافعى قائلًا : « مشى من جوف مكة إلى جوف المدينة ، حافيا راجلا ، أهون على من أن أقف بباب مالك » .
تلك كانت سمة العلماء في هذه العصور الإسلامية الزاهرة .

يقول ابن جبير : « وتكثر الأوقاف على طلاب العلم في البلاد الشرقية كلها . فمن شاء الفلاح من نشء مغربنا ، فليرحل إلى هذه البلاد فيجد الأمور المعينات كثيرة ، وأولها فراغ البال من أمر المعيشة » .

وكذلك كان الحال في مصر : يقول « لين » :
يجتمع في الأزهر الطلاب من البلاد المختلفة من العالم الإسلامى من ساحل الذهب في غرب إفريقيا إلى الملايو في شرق آسيا ، وقد جدد رواق خاص لكل قطر من الأقطار ، ويتلقى دروسهم على شيوخ أجلاء ورعين ، وليس التعليم بالمجان فحسب ، بل إن الطلاب يتلقون جرات وأطعمة من أوقات تسد حاجتهم ، فالأزهر في رأى لين . مثال نموذجى لمجانبة ، تلك المجانية الممتوحة لجميع الطلاب على اختلاف جنسياتهم ولغاتهم من غير أى تمييز لعنصر أو طبقة من الطلاب . وفي العهد الأيوبي كان كل تلميذ بمصر يلتقى سكنا بأوى إليه ، ومدرسا يعلمه ، ومراقبا يقوم بجميع أحواله .

من ذلك نرى أن ما يتبع به العصر الحديث ، من مجانية التعليم ، وتكافؤ الفرص ، وتقديم

المنح والجوائز ، كل ذلك ليس من مستحدثات العصر الحديث .

وكذلك كان معروفا ما نسميه بالبعثات العلمية وذلك منذ الجيل الإسلامى الأول ، حين تفرق علماء الصحابة في الإفطار ، وأقام كل منهم مركزاً علمياً في البلد الذى حل فيه ، حلقة في اليمن ، وثانية في الكوفة ، وثالثة في مصر ، ورابعة في البصرة ، وخامسة في المدينة . . . وهكذا . وأصبح لكل مدرسة طابعها المميز ، فكان الناس يسمعون إلى حلقات هؤلاء الأساتذة لينتفعوا بعلمهم . وفي الجيل التالى كانت العلوم قد تشعبت ، وظهرت نواحي تخصص لم تكن معروفة قبلاً . واشتهر كل أستاذ بتخصص معين يدرسه في حلقة المسجد ، وزادت الحلقات في المسجد الواحد ، وزاد عدد الماجد في المدينة الواحدة ، وغدت القيمة العلمية للطالب ، تتناسب مع عدد الرحلات التى قام بها لطلب العلم ، والشيوخ الذين حضر عليهم . وإذا لاحظنا أن وسائل الانتقال لم تكن ميسرة كما هى الحال الآن ، قدرنا الجهد الذى بذله هؤلاء الرواد في طلب العلم وتدوينه . يقول ينكلسون : كان طلاب العلم يرحلون في حماسة بالغة عبر القارات الثلاث ، ثم يعودون إلى بلادهم كما يعود النحل محملاً بالعسل . ثم يعكفون على التدوين ، فيخرجون كتباً هى بدوائر المعارف أشبه ، وهى المصادر الأولى للعلوم الحديثة ، بكل ماتحملة كلمة العلوم من معنى .

وتروى عن هذه الرحلات قصص ، هى إلى الأساطير أقرب ، فمنهم من عبر القارات وقطع

آلاف الأميال على ظهر بعير . ومنهم من لم يكن يملك سوى قدميه، فساروا جلاً . ويذكر التاريخ رحلة يحيى بن يحيى الليثي، من قرطبة إلى المدينة ليرى من مالكا، ثم إلى مكة ليرى مع من سفيان بن عيينة، ثم إلى مصر ليرى من الليث بن سعد، ثم يكر راجعا إلى الأندلس . ورحلة البخاري في جمع الأحاديث التي استغرقت ستة عشر عاماً، كذلك رحلات حنين بن إسحاق، ورحلة البيروني في الهند التي عاش فيها أربعين عاماً، يطوف بين أرجائها الشاشعة، يدرس لغاتها وعاداتها وتاريخها وجغرافيتها ودياناتها . وكذلك يروى عن « ابن منده » : أنه قام برحلة علمية طويلة، جلس فيها إلى ألف وسبعمائة شيخ، وجمع جملة من الكتب كانت عند عودته أربعين مجلداً .

وفي القرن الخامس الهجري، كانت الرحلات إلى المدارس التي ازدهرت في هذا العهد، حيث يجسد الطلاب المقام والمأوى والأساتذة الذين يطلبون لديهم العلم، واشتهرت رحلات أخرى، قام بها علماء ممتازون، زاروا مختلف البلاد . وسجلوا ملاحظاتهم ودراساتهم في كتب الرحلات، التي تعتبر من أغنى المصادر، مثل ياقوت . وابن جبير، وابن بطوطة والمقدسي وغيرهم . وكان هؤلاء الرحالة، سواء من طلاب العلم أو شيوخه، يلقون حيث يحلون لإكراما وكرما بالغين .

ولم يكن حظ المرأة في هذه العصور بأقل كثيراً من حظ الرجال، على تفاوت فرص التعليم بين المرأة والرجل، فقد اشتهر كثيرات من النساء بالعلوم الدينية ورواية الحديث والأدب والطب، ومنهن من كن شيخات لبعض الشيوخ، تعلموا

عليهن، ورووا عنهن، وحضروا عليهن، الدروس . وتخير ابن عساكر من بين شيوخه وأساتذته الذين تلقى عنهم العلم، إحدى وثمانين امرأة . وكان المأمون أول من نادى بالألا يكون نشاط بيت الحكمة متوقفاً على سخاء الخلفاء والأمراء، فبدأ للعلماء أرواقاً سخية، يتقاضونها في أوقات ثابتة . فيضربونها عن التكليف لهذه المؤسسة العظيمة . كذلك جرى العمل من بعده على أن يكون لكل معهد أو مدرسة وقف ثابت يفي بنفقاتها . وكذلك فعل الحاكم بأمر الله حين أوقف على دار الحكمة كما أوقف على الأزهر أوقافاً ثابتة، وكان يقول : أريدها أوقافاً أبدية، لا تزول بزوال الحاكم . وروى عن بعض الحكام، أنهم كانوا يسمون الخراج أثلاثاً . ويحملون الثلث للتعليم .

وكذلك تبين كيف سطعت الحضارة العلمية الإسلامية في هذه العصور الزاهرة، وكيف هيا الخلفاء والحكام والأمراء ورجالات الدولة، الأسباب لنشر نور العلم والعرفان في أرجاء الوطن العربي، مما مكن لأمة العرب أن تستل في هذه الأحقاب الموهلة في القدم، وتدل بعلماء من أمثال ابن الهيثم وابن سينا والبيروني والسكندی والجاحظ وابن مسكويه والفارابي وابن النفيس وجابر والرازي وغيرهم ممن يفرنون إلى أعظم العلماء في كل عصر وآن . وكذلك استطاعت الأمة العربية أن تسكن الإمبراطورية الشاسعة في أقل من قرن من الزمان، واستعلت الأمة العربية بالإسلام أولاً وبالعلم ثانياً : الإسلام بقيمه من جد وأمانة وإخلاص ووفاء، والعلم بما يعطى من قوة دافعة، فالقوة دائماً في ركاب العلم .

تلك كانت حال الأمة العربية في العصر الإسلامي ، وذلك كان حال الإنسان العربي في عصر الحضارة العلمية الإسلامية أعطى ، وكان مسرفاً في عطائه ، وأشع على العالم كما تقول المستشرق سيجر ديهونسكه : نورا وعلماً ومعرفة وقدم لأوروبا زاد نهضتها العلمية ، عن طريق الأندلس حيث بقي الإنسان العربي سبعة قرون متصلة ، وعن طريق صقلية حيث حكم زهاء ثلاثة قرون ، وعن طريق الحروب الصليبية التي استمرت زهاء قرنين من الزمان ، وعن طريق الإمبراطورية العثمانية حين غزت شرق أوروبا . وظلت كتب العلماء العرب في العصر الإسلامي ، مراجع معتمدة في جامعات أوروبا عدة قرون : وظهر من يقول من المؤرخين المنصفين ، إنه كان لابد من ظهور ابن الهيثم والبيروني وابن سينا وجابر والرازي والصفوي والبتاني ، لكي يقضى ظهور كبلر وجاليليو وكوبرنيك . وإنه لولا أعمال العلماء العرب في العصر الإسلامي ، لاضطر علماء النهضة الأوروبية أن يبدأوا من حيث بدأ هؤلاء ، وتأخر سير المدنية عدة قرون . ويقول آخرون : لو لم نصنع محنة المغول والتتار والترك والاستعمار ، لكانت هذه النهضة التي تفاخر بها أوروبا من نصيب الأمة العربية ، ومن صنع الإنسان العربي ، وتقدم علمها في التاريخ بضعة قرون ، وتكون لغتها هي العربية . ولكنها إرادة الله أن نزرع نحن ليجنى غيرنا الثمار . ولعله درس لنا وعبرة وعظة ، أن نهض من هذه الغفوة التي طالت واستطالت بضعة قرون ونحن المآلى تسكلمنا في الجاذبية قبل نيوتن ، وتحدثنا عن التطور قبل

داروين ، ومارس علماءنا وأطبائنا التشريح قبل علماء أوروبا بقرون ، وعرفنا الدورة الدموية قبل هارفي ، وتسكلمنا في العناصر والذرة وضغط الغازات قبل تورشيلي ، وشارل وبويل وعرفنا البندول قبل جاليليو ، وقلنا بأن الشمس مركز الكون قبل كوبرنيك ، إنها حقائق علمية ، ليس إلى نكرانها من سبيل ، سبق بها الإنسان العربي الإنسان الأوروبي . ولكنه الزمن الدوار ، وهي القوة في ركاب العلم دائماً ، ولقد كنا أقوياء عندما كنا علماء ، وعندما كانت لدينا حرية رأي على إلى أبعد الحدود ، وعندما كانت الدولة ترعى العلم والعلماء إلى أبعد الحدود ، وتنفق على العلم والعلماء بسخاء منقطع النظير ، وعندما كان الإنسان العربي العالم يستعيل بعلمه إلى أبعد الحدود ويسعى إليه حيث كان .

والآن : لن نجد من يمارى بأن الإنسان العربي متخلف ، يحاول جاهداً أن يلحق بالركب في عصر الذرة ، والإلكترون ، والحاسبات الإلكترونية وسفن الفضاء ، وغزو الفضاء ، والوصول إلى القمر ، ومحاولة الوصول إلى الكواكب الأخرى : عصر الحضارة العلمية والتكنولوجيا العلمية ، التي تستغلها الدول المتقدمة في كل مرفق من مرافق الحياة فيها ، في المأكل والمشرب والملبس ، والاتصالات السلكية واللاسلكية ، وسلمها وحربها ، في مواصلاتها عبر البحار ، وعلى متن الهواء ، بالطائرات الأسرع من الصوت ، والغواصات . عصر الصواريخ عابرة القارات ، وعصر النواذير الذرية الذي يتزايد عدد أعضائه يوماً بعد يوم وسنة بعد أخرى . وإذا نظرت إلى المجتمع العربي في الوطن العربي

بعمامة نجد أن القاعدة العريضة أمية أو تكاد ، بل إن رصيدنا من الأمية يزداد عاما بعد عام ؛ وذلك لأن الزيادة في السكان لا تقابلها زيادة في عدد المتعلمين ، أو أن الزيادة في عدد المتعلمين لا تتناسب مع الزيادة الهائلة في السكان ، وكذلك ارتفعت نسبة الأمية في العشرين سنة الأخيرة من ٥٠٪ إلى أكثر من ٨٠٪ فكيف نفهم هذا ، القاعدة العريضة الأمية - وقد اجتمع عليها الجهل والفقر - مشكلات العصر ؟ وكيف تستجيب لأحداثه ؟

إن أهمية التعليم في المجتمعات الحديثة ، ليست بالنسبة للموهوبين فقط ، ولكن ينبغي أن يكون الكل قادرا على القراءة والكتابة كل ساعة من كل يوم ، حتى يكونوا قادرين على الحكم على الأحداث ، وفهم مجرياتها ، والتصرف بمقتضاها . إذ لم توجد هذه القاعدة العريضة المتعلمة فلن يرتفع البناء ، وحتى لو ارتفع إلى حين فإنه سينهار وشيكا ، ثم إن هذه القاعدة العريضة المتعلمة هي وحدها القادرة على تقبل ومساندة هذه القمة من الموهوبين الممتازين ، حتى يكون ثمة توازن في المجتمع العربي بين القاعدة والقمة بشرط أن يكون التعليم وفق احتياجات المجتمع من المتخصصين الدارسين زراعيين ومهندسين وأطباء وصيادلة أو كيميائيين أو باحثين علميين أو جيولوجيين في مختلف فروع المعرفة الأساسية أو التطبيقية ، وأن يكون ذلك وفق تخطيط مدروس ، بحيث لا يكون هناك فائض عاطل ، يكرن عبثا على المجتمع ومن الخير إنشاء معاهد متخصصة لتخريج

الفنيين والتقنيين كل حسب استعداده وميوله . وليس من المفيد أن نوجه كل هذه الحشود نحو تعليم جامعي أكاديمي . قد لا يكون متفقا مع رغباتهم وميولهم ؛ إذ ليس من المعقول أن يكون كل مواطن جامعيًا . نعم ينبغي أن نكثر من المعاهد التكنولوجية المختلفة ، ويجب أن يكون لكل منها طابعه وشخصيته ومجالات تفوقه ولا ينبغي أن يخلج مواطن من الانتماء إليه أو الانتساب له ، مادام إنتاجه مرموقا ومقدرا ومطلوبا ، ومادام يعمل جاهدا للتفوق في الأداء ؛ إذ أن النهضة تحتاج إلى جهود كل فرد وتفوقه في الأداء أيا كان تخصصه .

وها نحن نخطو إلى عتبات القرن الخامس عشر الهجري ، ولنا هذا التاريخ المشرف الوضاء وها هي الدول العالمة القوية المتقدمة ، تسبقنا بأشواط وأشواط ، يبدو أن ليس من قطعها من سبيل . وها قد أفاد الله على الإنسان العربي بثروة بتولية هائلة ، يتحلب لها ريق الدول القوية ، وها هي ثروات بعض الدول العربية تقدر بأرقام فلكية ، ويبدو أنها لا تكاد تقع تحت حصر ، بل تفوق كل تقدير . وإها لفرصة سانحة لعل الإنسان العربي أن يهتلمها ، بكل ما استطاع من سرعة ، ومن قوة ، فيلجأ إلى تعليم أبناء الأمة العربية جميعا فالعلم والتعليم هما أولا وثانيا وعاشرا . والسبيل الوحيد إلى القوة والمجد . وينبغي أن يكون ذلك وفق خطة مدروسة متكاملة ، فتنشأ المدارس في كل قرية بل في كل دسكرة ، وتنشأ المعاهد التكنولوجية في كل مركز ، وتنشأ الجامعات والمعاهد المتخصصة

في كل قطر ، كل بحسب احتياجاته وعدد سكانه ،
وتنشأ مراكز البحث العلمي في كل قطر وفي كل
صقع ، بحسب الاحتياجات الزراعية أو الصناعية
أو المعدنية . وها هي الرقعة المنزرعة والقابلة
للزراعة في حاجة إلى أموال لاستصلاحها
واستزراعها ، وها هي الأرض الصحراوية
المنبسطة ، والتي تبلغ مساحتها تسعة أعشار مساحة
الوطن العربي كله ، في حاجة إلى إعذاب المياه
الملحة المحيطة بها في البحار والمحيطات ، وثمة ثروات
وموارد معدنية مخبوءة في باطن الأرض هنا
وهناك ، تحتاج إلى العلم والخبرة لاستخراجها
واستنباطها وهام أبناء الوطن العربي . على أهبة
الاستعداد لخدمة أوطانهم . . ما وجدوا التقدير
والتوقير اللازمين فلا تجذبهم الدول القوية المتقدمة
بما تسبغه عليهم من تقدير ، وما تخرقه عليهم من
أسباب ، وما يجدونه لديها من إمكانيات علمية
ومادية ، ومعملية ، ومكتبية ، وما تهيه لهم من
وسائل البحث العلمي المنظم .

ومالنا وقد أفاء الله علينا من نعمائه هذا

الثراء الواسع العريض ، مالنا لالنجذب نحن
الخبرات الأجنبية ، فستوردها ، لترفع من
إمكانياتنا وتزيد في خبراتنا ، ونتمكن للإنسان
العربي في أرضه أولاً ، وإنه لقادر بعد ذلك أن
يستعلي بقوته وأن يدل بعلمه ، فيأتي إلينا العلماء
من كل حذب وصوب يعاونون في استغلال
ثرواتنا ، المعدنية والزراعية وللصناعية والعمراية
والعلمية .

ما أشد حرصي على أن أرى هذا الذي أدعو
إليه واقعاً ، فيتعلم المائة مليون عربي الذين
يقطنون أرض الوطن العربي ، من المحيط إلى
الخليج ويتسلحون بالعلم والخلق والقيم التي دعا
إليه الدين الحنيف ، من صدق وأمانة وجد
وإخلاص وتفان في سبيل الواجب ، وعمل مثمر
بناء في سبيل رفعة الإنسان العربي وقوته ومنعته
وهو في طريقه إلى مشارف القرن الخامس
عشر الهجري .

والله المستعان ، وهو الموفق ، وعلى الله قصد

السبيل

عبد الحليم منتصر
عضو الجمع



من إيجاز الحذف في القرآن الكريم

للدكتور أحمد الحوفي

كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (٢).

وقوله سبحانه : (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية فلمهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (٣).

وقوله جل وعز : (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئتهم في الدنيا حسنة ، ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) (٤).

ومثال الجملة الفعلية قوله تعالى : (الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس) (٥).
وقوله سبحانه : (وربك يخلق ما يشاء ويختر) (٦).

ولأنه ليسترعى الانتباه أن أسلوب القرآن الكريم امتاز فيما امتاز به بحذف خبر المبتدأ في كثير من الآيات .

ولقد اختلف المفسرون في هذا الحذف على التفصيل الذي سأعرضه وأعقب عليه ، متدرجا مع المفسرين تدرجا زمانياً مرتباً على سنوات الوفاة .

يجرى القرآن الكريم على أنواع من الإيجاز، منها إيجاز الحذف بالاستغناء عن كلمة أو جملة أو جمل ، لأن في الكلام المذكور ما يدل على المحذوف لفظاً أو سياقاً ، فلا خفاء في معرفة المحذوف ، ولا إخلال بالفهم ؛ ولهذا اشترطوا أن يكون فيما أبقى دليل على ما ألقى (١) .

والغرض من هذا الحذف إثارة انتباه الخاطب وإثارة شوقه إلى إدراك المعنى ، فيعظم في نفسه شأنه حينما يدركه ، كما أنه يشعر بمسرة حينما يستنبط بنفسه ما حذف من الكلام .
هذا إلى ما في الحذف من تحصيل المعنى الكثير باللفظ القليل ، مع الوفاء بالمعنى وتشويق الخاطبين .

والأصل في خبر المبتدأ ألا يحذف ، لأن المبتدأ والخبر معاً يؤديان المعنى المراد .

فإذا كان الخبر جملة اسمية أو فعلية فلا بد من اشتغالها على رابط يعود إلى المبتدأ أو يصله بالخبر .

مثال الجملة الاسمية قوله تعالى : (والذين

(٢) سورة البقرة ٣٩

(٤) سورة النحل ٤١

(٦) سورة القصص ٦٨

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١١١/٣

(٣) سورة النحل ٢٧٤

(٥) سورة المؤمنون ٧٥

(الآية الأولى)

قال تعالى : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجوار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ؛ إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً . الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ، ويسكتون ما آتاهم الله من فضله ، وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً) (١) . فأين خبر (الذين) ؟

ذهب الطبري (٣١٠ هـ) إلى أن الله لا يحب المختال الفخور الذي يبخل ، ويأمر الناس بالبخل . وقال إن (الذين) يحتمل أن يكون في موضع رفع رداً على ما في قوله (فخوراً) من ذم ، ويحتمل أن يكون نصبا على النعت لمن (٢) .

وذهب الزمخشري (٥٣٨ هـ) إلى أن (الذين) بدل من قوله ، من كان مختالاً فخوراً (أو نصب على الذم ، أو رفع على الذم ، ويجوز أن تكون (الذين) مبتدأ خبره محذوف ، كأنه قيل الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل أحقاء بكل ملامة (٣) .

وذهب القرطبي (٦٧١ هـ) إلى أن (الذين)

في موضع نصب على البدل من (من كان مختالاً) ولا يكون صفة ، لأن (من) و (ما) لا يوصفان ولا يوصف بهما ، ويجوز أن يكون في موضع رفع ، فيعطف عليه قوله تعالى : (والذين ينفقون أموالهم رثاء الناس) ويجوز أن يكون ابتداء والخبر محذوف ، أي الذين يبخلون لهم كذا ، أو يكون الخبر (إن الله لا يظلم مثقال ذرة) ، ويجوز أن يكون منصوباً بإضمار أعني (٤) .

أما النيسابوري (٧٢٨ هـ) فلم يذكر شيئاً (٥) ، وكذلك ابن كثير (٧٧٤ هـ) (٦) .

تعقيب

١ — يبدو التكلف في إعراب (الذين) نعتاً لمن أو بدلاً من (من) لأن هذا الإعراب قائم على تأويل « من كان مختالاً فخوراً » بالجمع لينسجم التعبير مع (الذين) .

كما يبدو التكلف في إعراب (من) مفعولاً لفعل ذم محذوف ، لأن الآية السابقة تنص على كراهية الله تعالى للبختال الفخور ، وهذه الكراهية أشد من الذم ، فكيف يستحق المختال الفخور كراهية الله له ، ولا يستحق هذه الكراهية البخل بنعم الله الذي يأمر غيره بالبخل بل يستحق الذم فحسب ؟

(١) سورة النساء ٣٦ — ٣٧

(٢) تفسير الطبري ٤/٥

(٣) الكشاف ١/٢٦٨

(٤) تفسير القرطبي ١٩٢٥

(٥) النيسابوري ، في هامش الطبري ٤/٨

(٦) ابن كثير ١/٤٩٦

هذا إلى أن الذوق لا يستريح إلى هذا التقدير
ولا يستريح إلى إعراب (الذين) مقبولا لفعل
محذوف تقديره أغنى . .

وأما إعراب (الذين) مبتدأ عطف عليه
« والذين ينفقون » ليكون الخبر مؤخرا على هذه
الصورة فإنه إبعاد للخبر عن المبتدأ .

٢ — فما التقدير الذي يستحق الإيثار ؟
لقد ذكر هذا التقدير بعض المفسرين فيما
سبق ، وهو أن (الذين) مبتدأ خبره محذوف .

فإذا أردنا تقديره تقديرا صحيحا كان علينا
أن نتدبر ختام الآية الكريمة ، وهو قوله تعالى
« وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا » ، وتقدير هذا
الخبر يحى على هذه الصورة : الذين ينفقون
ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من
فضله كفاز بنعم الله ، أو مستحقون لعذاب الله ،
وقد أعد الله للكفار عذابا مهينا .

ومن هنا يتبين أن التذييل « وأعتدنا
للكافرين عذابا مهينا » دل على خبر المبتدأ ،
وأغنى عنه .

الآية الثانية

قال سبحانه : « والذين ينفقون أموالهم

رئاء الناس ، ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر
ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا » (١)

ذكر الطبري أن (الذين) في موضع جر
عطفا على (الكافرين) في الآية السابقة
« وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا » (٢)

ولم يتعرض الونخشي لموقع (الذين) (٣)
وقال القرطبي (٥٦٧١) إن (الذين) معطوف
على « الذين ينفقون » ، وقيل هو عطف على
(الكافرين) فيكون في موضع خفض (٤) .

وقال النيسابوري (٧٢٨ هـ) إن (الذين)
معطوف على « الذين ينفقون » (٥)

ولم يتعرض ابن كثير (٧٧٤ هـ) لموقع
(الذين) (٦)

تعقيب

أستبعد إعراب (الذين) في موضع جر
عطفا على (الكافرين) في الآية السابقة ، لأن
الذين ينفقون أموالهم مراعاة للناس ولا يؤمنون
بالله ولا باليوم الآخر ألصق بالكفر من الذين
ينفقون بنعم الله ويكتمون خيره وفضله ، فكيف
يوصف هؤلاء البخلاء بالكفر ويتوعدهم الله

(١) سورة النساء ٣٨

(٢) تفسير الطبري ٥٦/٥

(٣) الكشف ٣٦٨/١

(٤) تفسير القرطبي ١٩٣/٥

(٥) تفسير النيسابوري على هامش الطبري ٨/٥

(٦) تفسير ابن كثير ٤٩٦/١

بعقاب الكفار، ثم بجىء تابعا لهم ومعطوفا عليهم الذين ينفقون مراهمة للناس الجاحدون بوجود الله تعالى المنكرون ليوم القيامة ؟

هذه ملاحظة ، والملاحظة الثانية أن « الذين ينفقون » لو كانت معطوفة على (الكافرين) لسكان الأولى أن يكون الأسلوب والذين ينفقون أموالهم رثاء الناس .

وأما إعراب « الذين ينفقون » معطوفا على « الذين يبخلون » فإنه لم يحقق شيئا ، لأن الخبر مازال في حاجة إلى تقدير فما الوجه الصحيح ؟

أرى أن خبر (الذين) محذوف دل عليه قوله تعالى « ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا » أى : الذين ينفقون أموالهم رثاء الناس ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر عصاة لله ، أو خاضعون للشيطان ، أو مستحقون عذاب الله ، ومن يكن الشيطان قرينا له جره إلى هذا المصير .

(الآية الثامنة)

وقال تعالى : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا تكلف نفسا إلا وسعها ، أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون » (١)

أين خبر (الذين) ؟

لم يذكر الطبرى شيئا (٢) .

ورأى الزمخشري أن « لا تكلف نفسا إلا وسعها » جملة معترضة بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب مالا يكتسبه وصف الواسع من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع وهو الإمكان الواسع غير الضيق من الإيمان والعمل الصالح (٣) .

ومعنى هذا أن جملة « أولئك أصحاب الجنة » هي الخير .

ورأى القرطبي أن « لا تكلف نفسا إلا وسعها » كلام معترض ، وأن خبر (الذين) هو « أولئك أصحاب الجنة » (٤) .

ورأى النيسابورى هذا الرأي ، وزاد عليه أنه يصح أن تكون جملة « لا تكلف نفسا إلا وسعها » هي الخير ، والعائد محذوف تقديره « لا تكلف نفسا منهم » (٥) .

ولم يذكر ابن كثير شيئا عن موقع (الذين) (٦)

تعقيب

خير ما قالوه في إعراب الآية الكريمة أن

(١) سورة الأعراف ٤٢

(٢) تفسير الطبرى ١٣٢/٨

(٣) الكشف ٦٢/٢

(٤) تفسير القرطبي ٢٠٧/٧

(٥) على هامش الطبرى ٩٥/٨

(٦) ابن كثير ٢١٤/٢

والذين آمنوا ، مبتدأ خبره ، أولئك أصحاب الجنة ، .

(الآية الخامسة)

وقال سبحانه : (والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة ، إنا لا ننزع أجر المصلحين (٣)) .

لم يعرض الطبري لإعراب (الذين (٤)) . وذكر الزمخشري وجهين : أحدهما أن (الذين) مرفوع بالابتداء وخبره (إنا لا ننزع أجر المصلحين) ؛ لأن المحسنين في معنى الذين يمسكون بالكتاب ، كقوله تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا ننزع أجر من أحسن عملا (٥)) .

والرأي الآخر أن (الذين) مجرور بالعطف على (الذين يتقون) في قوله تعالى : (والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون) .

ويكون قوله تعالى : (إنا لا ننزع أجر من أحسن عملا) اعتراضا (٦) .

لكن هذا القول محتاج إلى تصويب ، لأن الاعتراض هو (أفلا تعقلون) وأما (إنا لا ننزع أجر من أحسن عملا) فهو تذييل لا اعتراض .

ولكن هذا لا يمنع من تقدير خبر محذوف مفهوم من قوله تعالى (أولئك أصحاب الجنة) تقديره مثلا : ثوابهم عظيم ، فيكون الأسلوب على هذه الصورة : الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثوابهم عظيم ، لا يكاف الله نفسا من العمل الصالح إلا ما تطيقه ، أولئك أصحاب الجنة .

ومعنى هذا أن نهاية الآية الكريمة أشارت إلى خبر المبتدأ ودلت عليه .

(الآية الرابعة)

وقال سبحانه وتعالى : (والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ، إن ربك من بعدها لغفور رحيم) (١) .

لم يذكر الطبري ولا الزمخشري ولا القرطبي ولا النيسابوري ولا ابن كثير شيئا عن موقع (الذين) (٢) .

ويبدو من ختام الآية الكريمة بقوله تعالى : (إن ربك من بعدها لغفور رحيم) أن الخبر محذوف تقديره : مغفور لهم ، أو مقبولة توبتهم أو ناجون من النار .

(١) سورة الأعراف ١٥٣

(٢) الطبري ٤٩/٩ والكشاف ٩٥/٢ والقرطبي ٢٩٢/٧ والنيسابوري ٤٨/٩ وابن كثير ٢٤٨/٢

(٣) سورة الأعراف ١٧٠

(٤) تفسير الطبري ٧٤/٩

(٥) سورة السكف ٣٠

(٦) الكشاف ١٠٢/٢

ولم يتعرض للإعراب القرطبي ولا
النيسابوري ولا ابن كثير (١) .

تعقيب

أستبعد أن يكون (الذين يمسكون
بالكتاب معطوفاً على « الذين يتقون » في الآية
السابقة ، لأن الذين يتقون أعم من الذين يمسكون
بالكتاب ، ولأن بين المعطوف والمعطوف عليه
« قوله تعالى « أفلا تعقلون » ، ولأن المعطف كان
يتعين لو جاءت الآية على هذا النسق : وللذين
يمسكون بالكتاب .

كذلك أستبعد أن يكون الخبر « إنا
لا نضيع أجر المصلحين » ، لأنه لا رابط في هذه
الجملة يعود على المبتدأ ، وإعرابها خبراً يقتضى
تقدير رابط هو منهم مثلاً ، ولا داعى
لإعراب قائم على تقدير ما دام التعبير محتملاً
لوجه آخر .

فما هذا الوجه الآخر ؟

أرى أن قوله تعالى : « إنا لا نضيع أجر
المصلحين » ، تذييل يوحى بالخبر المحذوف ، وأصل
التعبير هو : والذين يمسكون بالكتاب ويقيمون
الصلاة ثوابهم عظيم عند الله ، إن الله لا يضيع
أجر من يحسنون عملاً .

(الآية السادسة)

وقال تعالى : « ولينصرن الله من ينصره ،
إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم في
الأرض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ،
وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، والله
عائبة الأمور (٢) » .

ما موقع (الذين) من الإعراب ؟
رأى الطبري أن (الذين) رد على الذين في
قوله تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ،
قبل هاتين الآيتين (٣) » .

ورأى الزخشري أن (الذين) في محل نصب
بدل من قوله تعالى : « من ينصره » ، أو في محل
جز تابع للذين في قوله تعالى : « الذين أخرجوا
من ديارهم (٤) » .

ونقل القرطبي عن الزجاج أن (الذين) في
محل نصب على البدل من (من) في قوله تعالى :
« ولينصرن الله من ينصره » ، وقال غير الزجاج
لأنها في موضع جر على البدل من الذين في قوله
سبحانه : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا (٥) » .
وذكر النيسابوري أنها بدل من قوله تعالى :
« الذين أخرجوا » ، أو بدل من « من ينصره (٦) » .
أما ابن كثير فلم يذكر شيئاً (٧) .

(١) القرطبي ٣١٣/٧ والنيسابوري ٦٩/٩ وابن كثير ٢٦٠/٢

(٢) سورة الحج ٤٠ — ٤١ .

(٣) تفسير الطبري ١٢٦/١٧

(٤) الكشف ٣٥/٣

(٥) تفسير القرطبي ٧٢/١٢

(٦) على هامش الطبري ٩٣/١٧

(٧) تفسير ابن كثير ٢٣٦/٣

تعقيب

أستبعد أن تكون كلمة (الذين) معطوفة على الذين في قوله تعالى : «أذن للذين يقاتلون» أو على الذين في قوله سبحانه : «الذين أخرجوا من ديارهم» أو أن تكون بدلا من الذين في هذه الآية الأخيرة ؛ لأن الفصل طويل بين المعطوف والمعطوف عليه ، وبين البديل والمبدل منه .

وخير من هذا أن تكون بدلا من (من) في قوله تعالى : «من ينصر» كما ذكر الزمخشري والقرطبي والنيسابوري .

ولكنني أفضل أن تكون كلمة الذين مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله تعالى : «ولله عاقبة الأمور» فيكون التقدير مثلا : لهم العاقبة ، أو لهم النصر ، أو هم الغالبون .

(الآية السابعة)

وقال سبحانه : «كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم ، كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا ، كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار» (١) .

فاذا أردنا معرفة موقع الذين يجادلون ، من الإعراب وجدنا عدة آراء :

أما الطبري فإنه ذكر أن الذين في موضع

نصب بدل من «من هو مسرف» (٢) .

وأما الزمخشري فإنه ذهب إلى أن الذين يجادلون ، بدل من «من هو مسرف» فإن قلت : كيف جاز إبداله منه وهو جمع وذاك موحد ؟ قلت لأنه لا يريد مسرفا واحدا ، فكأنه قال كل مسرف . فإن قلت : ألا يجوز أن يكون «مسرف» جمعا ، ولهذا أبدلت منه الذين يجادلون ؟

قلت : بلى ، هو جمع في المعنى ، وأما اللفظ فموحد محمل البديل على معناه .

ويجوز رفع «الذين يجادلون» على الابتداء ، ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع إليه الضمير في (كبر) تقديره جدال الذين يجادلون كبر مفتا .

ويحتمل أن يكون الذين يجادلون ، مبتدأ ، وبغير سلطان أتاهم ، خبرا ، وفاعل (كبر) قوله تعالى (كذلك) أي كبر مقتا مثل ذلك الجدال ، ود يطبع الله ، كلام مستأنف .

ومن قال : كبر مقتا عند الله جدالهم ، فقد حذف الفاعل . والفاعل لا يصلح حذفه ، وفي «كبر مقتا» ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه من حد إشكاله من الكبار .

(١) سورة غافر ٣٤ - ٣٥

(٢) تفسير الطبري ٤٢/٢٤

تعقيب

لا أستبعد إعراب (الذين يجادلون) بدلا من (من هو مسرف مرتاب) .

ولكننى أوثر أن يكون «الذين يجادلون» مبتدأ خبره محذوف مفهوم من ختام الآية السكينة ، والتقدير على هذا : الذين يجادلون في آيات الله بغير داليل مبطلين أو بمقوتون أو مطموس على قلوبهم ، بنس هذا الجدل الممقوت ، كذلك يطمس الله على قلوب المتكبرين .

وهذا التقدير لا يجوز لنا إلى تمحل ولا إلى تأويل .

الآية الثامنة

قال تعالى : (والله لا يحب كل مختال فخور . الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ، ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد) (٥) .

فما إعراب «الذين يبخلون» ؟

قال الطبرى : إن أهل العربية اختلفوا ، فقال بعضهم : استغنى بالأخبار التى لأشباههم ولهم فى القرآن الكريم ، كما قال تعالى : (ولو أن قرآنا سیرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى) (٦) ولم يكن فى هذا الموضع خبر ، وقال آخرون من أهل العربية : الخبر قد جاء فى الآية التى قبل هذه (٧) .

يريد قوله تعالى : (والله لا يحب كل مختال فخور)

وعلق ابن المنير بأن الأولى أن يجعل الضمير فى «كبر» راجعا إلى مصدر الفعل المتقدم وهو تقديرى كبر جدالهم وقتنا ، ويجعل «الذين يجادلون» مبتدأ على تأويل حذف المضاف ، تقديره : جدال الذين يجادلون فى آيات الله ، والضمير فى «كبر مقتا» عائد إلى الجدل المحذوف ، والحالة مبتدأ وخبر (١) .

وذكر القرطبي أن «الذين» فى موضع نصب على البدل من «من هو مسرف مرتاب» ، ونقل عن الزجاج أن الأصل كذلك يضل الله الذين يجادلون فى آيات الله ، فالذين فى محل نصب ، ثم قال : ويجوز أن تكون الكلمة مرفوعة على معنى هم الذين ، أو على الابتداء والخبر وكبر مقتا (٢) .

وذكر النسفى (٧٠١ هـ) أن «الذين» بدل من «من هو مسرف» وجاز إبداله وهو جمع لأن المراد كل مسرف (٣) .

وذكر النيسابورى نقلا عن الزمخشري أن كلمة الذين مبتدأ على تقدير حذف المضاف أى جدال الذين يجادلون كبر ، ثم قال وجوز آخرون أن يكون التقدير : الذين يجادلون كبر جدالهم ، على حذف الفاعل للقرينة (٤) .

(١) الكشف وهاشم ٣٧١/٣

(٢) تفسير الطبرى ٣١٣/١٥

(٣) تفسير النسفى ٢٥٠/٢٤

(٤) على هامش الطبرى ٤٥/٢٤

(٥) سورة الحديد ٢٤/٢٣

(٦) سورة الرعد ٣١

(٧) تفسير الطبرى ١٣٦/٢٧

وقال القرطبي إن «الذين» في موضع خفض لأنها نعت للبهائم ، وقيل في موضع رفع لأنها مبتدأ ، أي الذين يدخلون فأنه غنى عنهم (١) .

تعقيب

الاستغناء بالأخبار التي لأشباههم لا يمنع من تقدير خبر ، لأن الآية الكريمة «ولو أن قرآنا سيرت به الجبال ، فيها خبر لو محذوف ، لكنه يقدر بنحو لكان هذا القرآن .
أما القول بأن الخبر جاء في الآية السابقة لهذه الآية فعناء أيضا أن الخبر محذوف ، لكن ماهو ؟

أرى أن الخبر مفهوم من ختام الآية ، وهو قوله تعالى : (ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد) . فيكون تقدير الخبر هو : لا يخلقهم إلا بهم ، أو لا يضرون الله شيئا يخلقهم .

(ثانياً)

حذف خبر إن

الأصل في خبر إن أن يذكر لتتم الجملة ، سواء أكان مفرداً نحو قوله تعالى : (إن ربك حكيم عليم (٢)) . أم جملة اسمية نحو قوله سبحانه : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم (٣)) ، أم جملة فعلية مثل قوله سبحانه :

(إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ، وكذلك نجزى المجرمين (٤)) .

لكن خبر إن حذف في بعض الآيات ، لدلالة السياق عليه ، كما حذف خبر المبتدأ .

الآية الأولى

قال سبحانه وتعالى : (إن بالذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً . أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار (٥)) .

فأين خبر إن الأولى ؟

لقد اختلف المفسرون في هذا على التفصيل الذي سأعرضه متدرجاً معهم تدرجاً زمانياً مرتباً على سنوات الوفاة ثم أعقب عليه ، وأبدى الرأي الذي أراه .

١ - ذكر الطبري (٥٣١٠) ثلاثة أوجه :

الأول أن خبر إن الأولى قوله تعالى : (إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً) فيكون معنى الكلام إنا لا نضيع أجر من عمل صالحاً ، فترك الكلام الأول ، واعتمد على الثاني بغية التكرير ، كما قال الشاعر :

إن الخليفة إن الله سريره

سريال ملك به ترجى الخواتيم

(١) تفسير القرطبي ١٧/٢٥٩

(٢) سورة الأنعام ٨٣

(٣) سورة لقمان ٨

(٤) سورة الأعراف ٤٠ الجمل : الجبل الغليظ

(٥) سورة الكهف ٣٠ - ٣١

والثاني أن يكون قوله تعالى : (إن الذين آمنوا) جزاء (١) ، فيكون معنى الكلام إن من عمل صالحاً فإنه لا نضيع أجره ، فتضمن الفاء في « إنا » .

والثالث أن يكون خبر إن (أولئك لهم جنات عدن) فيكون معنى الكلام إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم جنات عدن (٢) .

٢ - وذكر الزمخشري (٥٢٨ هـ) ثلاثة آراء :

الأول أن « أولئك » خبر إن ، و « إنا لا نضيع » اعتراض .

والثاني أن جملة « إنا لا نضيع » و « أولئك لهم جنات عدن » خبران معاً .

والثالث أن « أولئك » كلام مستأنف بيان للأجر المبهم . ثم قال : إن قلت : أين الضمير الراجع إلى المبتدأ في جملة « إنا لا نضيع » إذا جعلتها خبراً ؟

قلت : « من أحسن عملاً » و « الذين آمنوا وعملوا الصالحات » ينتظمهما معنى واحد ، فقام « من أحسن عملاً » مقام الضمير ، أو المراد من أحسن عملاً منهم ، كقولك السمن منوان بلدهم (٣) .

(١) يقصد بالجزاء الشرط

(٢) تفسير الطبري ١٥/١٥٩

(٣) الكشف ٢/٣٨٩

(٤) تفسير القرطبي ١٠/٣٩٦

(٥) على هامش الطبري ١٥/١٢٨

(٦) تفسير ابن كثير ٣/٢٨

٣ - وذكر القرطبي (٦٧١ هـ) رأيين : أولهما أن جملة « إنا لا نضيع » خبر إن ، لأن في الكلام إضماراً ، أي لا نضيع أجر من أحسن عملاً منهم .

والآخر أن الخبر « أولئك لهم جنات عدن » و جملة « إنا لا نضيع » معترضة (٤) .

٤ - وذكر النيسابوري (٧٢٨ هـ) رأيين أيضاً ، هما :

الأول أن الخبر جملة « أولئك » لأن جملة « إنا لا نضيع » معترضة .

والثاني أن جملة « إنا لا نضيع » خبر ، و جملة « أولئك » خبر آخر ، أو كلام مستأنف لبيان الأجر أو لبيان المبهم ، والرابط بين اسم إن وخبرها « إنا لا نضيع » هو معنى العموم ، لأن « من أحسن عملاً » يقوم مقام الرابط المحذوف ، والتقدير من أحسن عملاً (٥) .

٥ - أما ابن كثير (٧٧٤ هـ) فلم يعرض لهذا الموضوع (٦) .

تعقيب

١ - نستطيع أن نعارض على اختيار جملة « إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً » خبراً بأن هذا الاختيار يحتاج إلى تقدير رابط ، سواء أكان الرابط كلمة منهم أم العموم في « من »

أحسن ، ، والاستعداد بيت الشعر غير سديد ،
لأن بيت الشعر فيه ضمير ملفوظ يعود
إلى الخليفة .

كذلك نستبعد أن يكون الخبر هو الجملتان
معاً ، جملة « إنا لا نضيع » ، وجملة « أولئك » ،
لأن هذا تكلف .

ولا نرتضى أن تكون جملة « إنا لا نضيع » ،
معتضة والخبر جملة « أولئك » ، لأن الفصل بين
اسم إن وخبرها طويل أما تقدير « إن الذين
آمنوا » بمعنى الشرط وجواب الشرط هو « إنا
لا نضيع » ، على إضمار الفاء فيه ، فإنه تكلف
مركب .

٢ - وأنه لخبر من هذا كله أن تقدر خبر
إن محذوفاً دلت عليه بوضوح جملة « إنا لا نضيع
أجر من أحسن عملاً » وجملة « أولئك لهم
جنات عدن » .

فما تقديره ؟

تقديره الذي أسترخ إليه : إن الذين آمنوا
وعملوا الصالحات ثوابهم عظيم أو جزاءهم الجنة
أو مقربون إلى الله تعالى .

وليس في هذا التقدير تكلف ولا تمحل ،

بل أنه ضرب من بلاغة الإيجاز المعتمدة على
اللمح وعلى خبر الكلام المذكور .

الآية الثانية

قال تعالى : (إن الذين كفروا ويصدون
عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس
سواء العاكف فيه والباد ، ومن يرد فيه بإلحاد
بظلم نذقه من عذاب أليم (١)) .

فأين خبر إن ؟

١ - لم يذكر الطبري شيئاً (٢) .

٢ - وقال الزمخشري إن الخبر محذوف
لدلالة جواب الشرط عليه ، تقديره إن الذين
كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام
نذيقهم من عذاب أليم ، وكل من ارتكب ذنباً
فهو كذلك (٣) .

٣ - وقال القرطبي : الخبر محذوف مقدر
عند قوله تعالى « والباد » تقديره خسروا
أو هلكوا .

وجائز أن يكون - وهو الوجه - الخبر
« نذقه من عذاب أليم » ، قال أبو جعفر : وهذا
غلط ، ولست أعرف ما الوجه فيه ، لأنه جاء
بخبر إن مجزوماً ، وأيضاً فإنه جواب الشرط ،

(١) سورة الحج ٢٥

(٢) تفسير الطبري ١٧/١٠٣

(٣) الكشف ٣/٣٠

(٣) تفسير القرطبي ١٢/٣٢

(١) على هامش الطبري ١٨/٨٢

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٢١٤

الآية الثالثة

قال سبحانه : (إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا ، أفن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة ؟ اعملوا ما شئتم ، إنه بما تعملون بصير .

إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم ، وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد . ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك ، إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم (٣) .

أين خبر إن في قوله تعالى : « إن الذين كفروا بالذكر » ؟

١ — لم يذكر الطبري شيئاً هنا (٤) .

٢ — وقال الزمخشري : جملة « إن الذين كفروا » بدل من جملة « إن الذين يلحدون في آياتنا » لأنهم لكفروهم به طعنوا فيه ، وحرفوا تأويله (٥) .

٣ — وقال القرطبي : الخبر محذوف تقديره هالكون أو معذبون ، وقيل الخبر « أولئك ينادون » وقوله تعالى « ما يقال لك » كلام معترض .

ولو كان خبر إن يلقى الشرط بلا جواب ، ولا سيما والفعل الذي في الشرط مستقبل ، فلا بد له من جواب (١) .

٤ — وقال النيسابوري خبر إن محذوف دل عليه جواب الشرط ، كأنه قيل إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله نذيقهم من عذاب أليم ، ومن يرد فيه بإلحاد فهو كذلك (٢) .

٥ — ولم يذكر ابن كثير شيئاً (٣) .

تعقيب

١ — لا يصح أن تكون جملة « نذيقهم من عذاب أليم » هي خبر إن ، لأن هذا يفتقر إلى تكلف يأباه الأسلوب الجيد ، فما بالناس بأسلوب القرآن الكريم ؟ وقد سبق فيما ذكره القرطبي ما يغني .

٢ — ومن المصادفات الطيبة أني وجدت ما كنت أوثره وأميل إليه ، إذ جاء في تفسير الزمخشري والقرطبي ما وافقه ، وهو أن الخبر محذوف دل عليه جملة الشرط ، والتقدير إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام عذابهم شديد .

(١) تفسير القرطبي ١٧/١٠٣

(٢) على هامش الطبري ١٧/٨٢

(٣) سورة فصات ٤٠ — ٤٣

(٤) تفسير الطبري ٢٤/٧٨

(٥) الكشف ٣/٣٩٣

والرأى الأول هو المختار عند النحويين جميعاً

تفقيب

فما علمت كما قال النحاس (١) .

١ - يبدو التكلف في إعراب « إن الذين كفروا » بدلا من « إن الذين يلحدون » وفي جعل « أولئك ينادون من مكان بعيد » خبرا لأن ، وذلك أن بين اسم إن وخبرها أربع آيات .

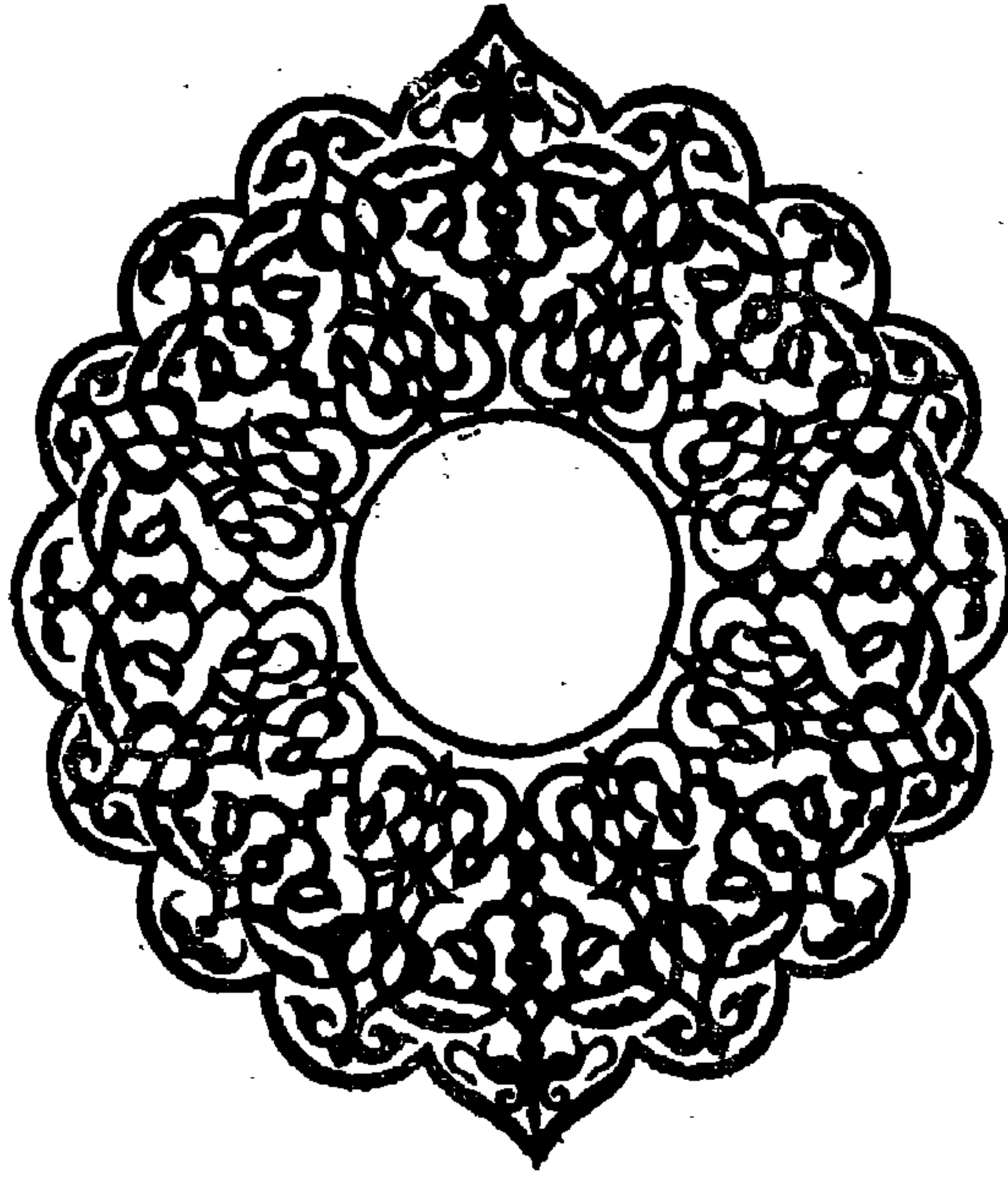
٥ - ولم يذكر النيسابوري شيئا (٢) .

٢ - ويتبين الصواب في تقدير الخبر محذوفا دللت عليه الآيات الثلاث ، أى إن الذين كفروا بالقرآن وهو حق كله مصيرهم إلى النار ، أو عقابهم شديد ، أو عذابهم أليم .

٥ - أما الزركشى (٥٧٩٤) فإنه رأى

أن الخبر محذوف ، أى يعذبون ، وقال إنه يجوز أن يكون الخبر « أولئك ينادون من مكان بعيد » (٣) .

أحمد الخوافي
عضو المجمع



(١) تفسير القرطبي ٣٦٧/١٢

(٢) على هامش الطبري ١٢/٢٥

(٣) البرهان في علوم القرآن ١٤٠/٣

تحقيق لسان العرب

- ٥ -

لناذر عبد السلام هارون

والصواب أن البيت لصخر الغي في ديوان
الهذليين ٧٦:٢ وشرح السكري ١:١ ٣٠ واللسان
(خلف) وهو من قصيدة أولها :

لشام بعد شتات النوى

وقد كنت أخيلت برقاً وليفا

٨٠٤ - (طرق) ٩٠ س ٧ وببيروت ٢٢٠
والمخطوطة كذلك قول الراجز في صفة فحل
من الإبل :

تقاتلا خالاته عمامته آباءه فيها وأمهاته

وليس بين خالاته وعمامته ثأر أو قتال ،
ولكن بينهما - علم الله - وفاقا تاما في الكرم
والعتق . والمقابل : الكريم بالنسب من قبل
الأوين ، وهنا قابلت الخالات العمامات في الكرم
والنجاة . فالصواب د مقابلا ، بفتح الباء
الموحدة .

٨٠٥ - (طلق) ١٠١ س ٦ وببيروت ٢٣١
والمخطوطة أيضا قول النابغة :

تناذرها الراقون من سوء سمها

تطلقه طورا وطورا تراجعها

٨٠١ - (شقرق) ٥٣ س ١٩ وببيروت
١٨٦ : « الليث : الشقراق وللشقرق لغتان :
طائر يكون في أرض الحرم في منابت النخيل » .
ونحو هذا النص في القاموس ، وصوابه د في
أرض الحرم ، كما في المخطوطة والتهذيب . وقال
الزبيدي في تاج العروس معلقا : « هكذا في النسخ
والصواب بأرض الحرم بالجيم كما هو نص الليث »
والجرم : الحر ، نقيض الصرد .

٨٠٢ - (صيق) ٧٦ س ٢٣ وببيروت
٢٠٨ : « أنشد ابن الأعرابي :
لي كل يوم صيغة فوقى تأجل كالمظلاله ،

وضبطه الصحيح : « كالظلالة » بكسر
الظاء ، كما في التهذيب والقاموس . وفي القاموس :
« وبالكسر : السحابة تراها وحدها وترى ظلها
على الأرض » . ونسب البيت في التاج إلى
أسماء بن خارجة .

٨٠٣ - (طرق) ٩٠ س ٧ وببيروت ٢٢٠
والمخطوطة : قال الأعشى :

فلما جزمته به قربتي

تبعمت أطرقة أوخليفاء

والبيت مشهور في شعر النابغة ، والصواب
« تراجع » بدون هاء كما في الديوان ٥١ .
وأول القصيدة :

عفا ذو حسي من فرتني فالفرار

فجنا أريك فالتلاع للدوافع

٨٠٦ (طوق) ١٠٢ س ٢١ وبيروت ٢٢٢
والمخطوطة : « التهذيب : أنشد عمر بن بكر ،
والصواب « عمر بن بكر » بالتصغير ، كما في
التهذيب وبغية الوعاة ٢٦٠ . وقال السيوطي : « عمر
ابن بكر صاحب الحسن بن سهل ، قال ياقوت :
كان نحويًا أخباريًا راويًا ناسبًا ، عمل له الفراء
معاني القرآن ، وصنف كتاب الأيام في
الغزوات » .

وفي فهرست ابن النديم ٩٨ : « قال أبو العباس
ثعلب : كان السيب في إملاء كتاب الفراء في
المعاني أن عمر بن بكر كان من أصحابه ، وكان
منقطعًا إلى الحسن بن سهل ، فكُتب إلى الفراء :
إن الأمير حسن بن سهل ربما سألني عن شيء
بعد الشيء من القرآن فلا يحضرنني فيه جواب ،
فإن رأيت أن تجمع لي أصولًا ، أو تجعل في ذلك
كتابًا أرجع إليه . فقال الفراء لأصحابه : اجتمعوا
حتى أملّ عليكم كتابًا في القرآن . فجعل لهم
يومًا .

٨٠٧ - (عنق) ١٠٩ : ٢٤ والمخطوطة :
« اعتنق فلان بكرة من إبله » ، إذا أعلم عليها
ليقبضها ، ، والصواب « ليقبضها » كما في التهذيب
واللسان (قبض) وفيه : « اقتبض فلان بكرا ،
إذا ركبته ليذله قبل أن يراض » . وناقاة قضيب

وبكر قضيب بغير هاء ، وفيه أيضا : « وانه
واقتبضتها : أخذتها من الإبل قضيباً فرمضتها » .

٨٨ - (عنق) ١١٠ : ١١ وبيروت
٢٢٩ . « كذبت عذائته وعذائته » . وفي
المخطوطة . « عذائته » باهمال نقط هذه الباء التي
بعد الألف ، والصواب « عذائته » بالنون ، كما
في التهذيب . في اللسان (عذن) أن العذانة :
الاست ، والعرب تقول : كذبت عذائته . وقد
وجدت معنى هذا التعبير في اللسان (عنق) ،
وفيه : « وكذبت عفاقته ، أي استه ، إذا
حبق » .

٨٠٩ - (عنق) ١١١ : ١٩ وبيروت
٢٤١ والمخطوطة أيضا . « وهذا مثل قولهم :
حتى يشيب الغراب ويبيض الفأر » بالفاء والهمز
لكن في المخطوطة : « الفار » بدون همز ، وهو
تصحيف عجيب ، والصواب « ويبيض القار »
كما في التهذيب ، والحيوان ٥٢٨٠ . ولعل السر
في هذا التصحيف إرادة المصحف أن يجعل
الامر كله مسرحا للحيوان ما بين غرابه وفأره .
والقار ، بالقاف هو الزفت أو شيء شبيه به .
وأشدد في اللسان (غرب) لمعاونة النحوي :

فهذا مكاني أو أرى القار مغربا
وحق أرى صم الجبال تكلم

وقال في تفسيره : « ومعناه أنه وقع في مكان
لا يرضاه ، وليس له منجى إلا أن يصير القار
أبيض وهو شبه الزفت - أو تكلمه الجبال .
وهذا مالا يكون ولا يصح وجوده عادة » .

٨١٠ - (عرق) ١٢١ : ٤ وبيروت ٢٤٩
والمخطوطة كذلك قول الشماخ :

ما إن يزال لها شأو يقدمها

مجرى مثل طوط العسرق مجدول

والصواب « محرب » بالخاء المهملة وكسر
الراء المشددة ، كما في التهذيب . والشأو ، غنى به
الزمام ، كما في اللسان (شأى) عند رواية البيت .
وقد شبه الشأو بالطوط ، وهو الحية . والعرق :
الجليل . أما المحرب فهو من التحرب ، وهو
التحريش ، وهو هنا الحث على سرعة السير .
كما أن رواية البيت في اللسان (شأى ، طوط) :
« يقومها » . وفي (طوط) فقط : « يقومها
مقوم » . وهذا ما يحمل على الريبة في صحة
« يقدمها » . والبيت مع هذا لم يرد في قصيدته
التي على هذا الروي في ديوانه وإن كان قد ورد
في حواشي الطبعة الثانية .

٨١١ - (عقق) ١٢٥ : ٤ وبيروت ٢٥٣
والمخطوطة قول الشاعر :

ولانتك معفاق الزيارة واجتذب

إذا جئت لك كثار الكلام المعيبا

وفي التاج « المعقبا » صوابهما « المعيب »
بالجر ، صفة للكلام كما في التهذيب . أو « لمعقب »
بالجر أيضا .

٨١٢ - (عقق) ١٢٨ : ٤ والمخطوطة :
« وروى شمر أن المعقر بن حباب البارقي » . وإنما
هو « المعقر بن حمار » ، كما ورد في طبعة بيروت
ص ٢٥٦ . والخبر في مجالس ثعلب ٣٤٧ . وهو
المعقر بن أوس بن حمار كما في الاشتقاق ٢٨١ .

واسم المعقر « سفيان » كما في الأغاني ١٠ : ٤٤
- ٤٥ والمزهر ٢ : ٢٧٣ والخزانة ٢ : ٢٩١
ونوادر المخطوطات ٢ : ٢٢٣ . قالوا : سمي
معقرا بقوله :

لهانا هض في الوكر قد مهدت له

كما مهدت للبعل حسناء عائر

وهو صاحب البيت السائر :

فألقت عصاها واستقر بها النوى

كما قر عيناً بالإياب المسافر

وفي اللسان نفسه (عقر) : « ومعقر : اسم
شاعر ، وهو معقر بن حمار البارقي » .

٨١٣ - (عقق) ١٢٩ : ١٦ وبيروت ٢٥٧
والمخطوطة قول رؤبة :

« طير عنها النسر حولي العقق »

وصوابها : « طير عنها اللس » ، كما في
المقاييس (عقق) . واللس ، من قولهم :
لست الدابة الحشيش تلهه بلسانها لسا :
تناولته ونشفت به بحفاتها . وأما النسر فهو للطيور
الجارح ، يقال نسر البازي اللحم بمنقاره :
نتفه .

٨١٤ - (عقق) ١٢٢ : ١٠ وبيروت ٢٦٠
والمخطوطة أيضا : « وقال ابن بري : هو للأشعر
الجبني » ؛ وإنما هو « الأسعر » بالسين المهملة كما
في التهذيب والصحيح . وانظر المؤلف ٤٧
والاشتقاق ٤٠٨ والمزهر ٢ : ٢٤٨ وسمط اللالكى
٩٤ ونوادر المخطوطات ٢ : ٢٩٣ واللسان والتاج
(سعر) . واسمه مرثد بن أبي حمران الجعفي ،
سمي الأسعر لقوله :

فلا يدعنى قومي لسعد بن مالك
لئن أنا لم أسعر عليهم وأثقب

٨١٥ - (علق) ١٣٨ : ٥ وبيروت ٢٦٦
والمخطوطة كذلك : « قال المفضل البكري ،
ولأنما هو « النكري » بالنون المضمومة ،
نسبة إلى نكرة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس .
وهو المفضل بن معشر بن أسحم بن عدي بن سويد
بن عذرة بن منبه بن نكرة . واسم المفضل
عامر ، كما في كتاب ألقاب الشعراء لابن حبيب
في نواذر المخطوطات ٢ : ٣١٦ وشرح
شواهد المغني للسيوطي ٦٢ . سمي المفضل بقصيدته
المنصفة المروية في الأصمعيات ١٩٩ .

٨١٦ - (علق) ١٤١ : ٥ وبيروت ٢٦٦
والمخطوطة ، قول الشاعر :

وما هي إلا في إزار وعلقة

مغار ابن همام على حى خثعما
والشاعر هذا هو حميد بن ثور كما في كتاب
سليويه ١ : ٢٢٤ من تحقيق كاتبه ، وليس في ديوانه
كما في حواشي الكتاب . و « مغار » بالفتح
لا وجه له ، إذ لا يقال غار على القوم ؛ وإنما
يقال أغار عليهم . وفي الكتاب الكريم :
« فالمغيرات صبحا » . فالصواب « مغار » بضم
الميم مصدر ميمي من أغار .

٨١٧ - (علق) ١٤٤ : ١٦ وبيروت ٢٧٢
والمخطوطة أيضاً : « ذكر السراب وانقياس
الجبال فيه إلى أعاليها ، الصواب « وانقياس
الجبال » بالجيم لا بالحاء . كما في التهذيب .

٨١٨ (علق) ١٤٥ : ١٨ وبيروت ٢٧٣

والمخطوطة كذلك : « والمعشق : مخرج . أعناق
الجبال ، صوابه « الجبال » بالجيم كما في التهذيب .
ومن عجب أن قبله في اللسان نفسه : « وعنى الجبل :
ما أشرف منه » .

٨١٩ (علق) ١٤٦ : ١٩ وبيروت ٢٧٤
والمخطوطة ، قول أبي ذؤيب :

بأطيب منها إذا ما النجو
م أعنقن مثل هوادى ...

مع نقص آخر البيت . وكتب مصحح
بولاقي : « هكذا هو في الأصل . وهو ناقص
الآخر » . وأقول : تمامه كما في اللسان (صدر)
وشرح السكري ١١٧ : « هوادى الصدر » . وفي
ديوان الهذليين ١ : ١٤٩ : « مثل توالى البقر » ،
وبروى كذلك : « توالى الصدر » كما شرح
السكري .

٨٢٠ - (علق) ١٤٧ : ١٨ وبيروت ٢٧٤
والمخطوطة : « أنشد ابن الأعرابي لقربط
يصف الذئب . صوابه : « قرط » وهو الملقب
بذي الخرق . انظر المؤلف والمختلف ١٠٩ ، ١١٩
والخزانة ١ : ٢٠ . وفي القاموس عند الكلام
على ذى الخرق : « وقرط ، أو ابن قرط » . أى
ويقال ذو الخرق بن قرط .

٨٢١ - (علق) ١٥٣ : ٢٢ وبيروت ٢٨٠
والمخطوطة أيضاً قول الشاعر :
وعاندت الثريا بعد هدم

معاندة لها العيوق جارا
وهو خطأ ، صوابه « جار » بالرفع كما في

المفضليات ٣٤٠ . والبيت ابشر بن أبي خازم في ديوانه ٦٦ والمفضليات ، من قصيدة أولها :

ألا بان الخليل ولم يُزاروا
وقلبك في الطعائن مستعار

٨٢٢ — (عيق) ١٥٤ : ١٩ وبيروت ٢٨١
قول ساعدة بن جؤية :

ساد تجرم في البصيص ثمانيساً
يلوى بعيقات البحار ويحجب

ووردت « يلوى » في المخطوطة بكسر الواو فقط ، ووجه ضبطها « يلوى » بضم الياء وكسر الواو . انظر التصحيح رقم ٢٤٩ .

٨٢٣ — (غرق) ١٦٠ : ١٢ وبيروت ٢٨٦ والمخطوطة أيضاً قول الراجز :

إذ أنت غرناق للشباب ميال
ذودأيتين ينفجان السربال

والصواب « ينفجان » كما في مجالس ثعلب ٦٤٣ . ينفجان ، من النفج بالجيم ، ومعنى ينفجان يملآن ويرفعان . وذلك أن الدأيات أطول الضلوع كلها وأتمها

٨٢٤ — (فاق) ١٧٠ : ٢٢ وبيروت ٢٩٦ : « ولا كاف مفأق : مفرج ، صوابه « مفأق » ، كما في المخطوطة والتهذيب .

٨٢٥ — (فتق) ١٧١ : ٢٠ والمخطوطة ،
قول الشاعر :

• كنصل الراعي فتيق •

والراعي ، بالراء : جنس من الحمام حسن الهديل عظيم البدن ، ذكره الجاحظ في مواضع كثيرة من كتاب الحيوان . فأني يكون للحمام

نصال أو رماح ١٤ والصواب « الزاعي » بالزاي المعجمة ، كما ورد في اللسان (زعب) ، وقد جاء مصححاً في طبعة بيروت ١٩٧ .

والزاعي : الريح الذي إذا هزَّ كأن كعوبه يجرى بعضها في بعض ، للنية .

٨٢٦ — (فرق) ١٧٥ : ٣ وبيروت ٣٠ والمخطوطة : « وهى قوله تعالى : وأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق » . وصواب التلاوة : « فأوحينا » بالفاء ، وهى الآية ٦٣ من سورة الشعراء . نسأل الله العافية من تحريف كتابه . انظر لأمثال هذه التحريفات تحقيق النصوص ٤٨ - ٤٩ من الطبعة الرابعة .

٨٢٧ — (فرق) ١٧٦ : ٢١ وبيروت ٣٠٢ : « إذا لم تكن واصبة متصلة النبات » . ووردت « واصه » في المخطوطة مهملة النقط جميعه ، والصواب « واصية » بالياء المشناة التحتية . وفى اللسان (وصى) : « وأرض واصية : متصلة النبات » والوصى كذلك : النبات الملتف .

٨٢٨ — (فرق) ١٧٧ : ١٧ - ١٨ وبيروت ٣٠٢ والمخطوطة أيضاً : « يوم الفرقان » وهو يوم بدر ، لأن الله أظهر من نصره ما كان بين الحق والباطل . والعبارة منقوصة ، وتمامها كما في التهذيب : « أظهر من نصره ما كان فيه فرقان بين الحق والباطل » .

٨٢٩ — (فرق) ١٧٩ : ١٤ قول كثير:
وذفرى كسكاهل ذينخ الخليف

أصاب فرقة ليل فعائنا
وقد أهمل ضبط فاء « الخليف » في كل من بيروت ٣٠٤ والمخطوطة ، وإن كان السكون في

المخطوطة قد وضع فوق ياء الخليف، كما هو المتبع
في كثير من النسخ القديم، يضعون السكون
فوق ياء المسد . والصواب « الخليف »
بكسر الفاء .

والبيت من بحر المتقارب . والمتقارب
عروضان فقط : الأولى الصحيحة ، والثانية
المجزوءة المحذوفة . أما الصحيحة فلا يعثر بها من
العلل إلا علة الحذف للسبب الخفيف ، وهي
جائزة كما صرح الدمهوري بذلك في حاشيته ٦٦ .
وأما علة القصر وهي حذف ساكن السبب
الخفيف وإسكان متحركه فلا تصح في هذه
العروض ، وهي ما يترتب على نطق « الخليف » ،
بالإسكان : وأما ما يترتب على ضبط الفاء
بالتحريك فهو زحاف القبض وهو حذف
الخامس الساكن ، وهو جائز وورد في كثير من
أشعار العرب كقول المرقش الأكبر في
المفضليات ٢٥٠ :

دما بدم وتعنى الكرم

ولا ينفع الأولين المهمل

وقول عوف بن عطية في المفضليات ٤١٣ .

أحيى الخليل وأعطى الجزيل

حياء وأفعل فيه اليسار

وقول حاجب بن حبيب فيها ٢٦٩ :

يجم على الأساق بعد المتان

جوماً ويبلغ إمكانها

وقول أبي فراس في ديوانه ٢ : ٢٦ :

وأنت الكريم وأنت الحليم

وأنت العطوف وأنت الحذب

وما زلت تسعنى بالجميل

وتنزلنى بالجناب الخصب

وقد وردت علة القصر المشار إليها في

الضرب الثاني من العروض الأولى الصحيحة ،

كما في قول أمية بن أبي عائذ الهذلي فيما مثل به

صاحب متن السكافي :

ويأوى إلى نسوة بائسات

وشعري مراضيع مثل السعال (١)

وعما يجدر التنبيه عليه أن هذا الخطأ قد

تكرر سابقاً في مادة (عيث) من اللسان .

فليراجع وليصحح .

٨٣٠ - (فرق) ١٨١ : ١٠ وببيروت ٢٠٦

والمخطوطة ، قول الراجز .

وهي إذا أدرها العيدان

وسطعت بمشرف شبهان

وفي المخطوطة وردت الياء في « العيدان » ،

مهملة النقط ، كما وردت الشين والباء في « شبهان » ،

مهملة النقط . أما الكلمة الأولى فصوابها -

(١) نسب البيت في حاشية الدمهوري ٦٦ إلى أبي أمية الهذلي ، والصواب ما أثبت . كما أن الرواية المشهورة

في البيت :

ويأوى إلى نسوة عطل وشعنا مراضيع مثل السعال

وإطلاق الروي بالكسر هو الأكثر . وقال صاحب الخزانة ١ : ٤١٨ : « وأنشد هذا البيت العروضيون ،

منهم الأخفش بن سميد « مثل السعال » بإسكان اللام . . . لأنهم جعلوه من المتقارب من الضرب الثاني من العروض »

وذكر البكري في السمع ٦٠ أن قصيدة هذا البيت يجوز فيها التقييد والإطلاق .

«العبدان» مثني عبد . وصواب الثانية :
«شبحان» بالياء المثناة التحتية لا بالباء الموحدة.
والشبحان هنا : الطويل ، وهو صفة للعنق
المشرف .

وقد وردت «شبحان» بعد الرجز مصحفة
كذلك . فلتصحح بالياء .

٨٣١ - (فرزدق) ١٨٢ : ١٠ - ١١
وبيروت ٧٠٧ والمخطوطة أيضا : «يقال للمجني
الذي يقطع ويعمل بالزيت مشتق» ، وصوابه
«مشتق» ، كما في التهذيب واللسان نفسه مادة
«شقق» ، وفيه . : والمشتق المجني الذي يقطع
ويعمل بالزيت . .

٨٣٢ - (فلق) ١٨٦ : ١٠٤٩ وبيروت
٣١١ : «والفلق : المقطرة . وفي الصحاح :
«الفلق : مقطرة السجان» ، والصواب : «المقطرة»
بكسر الميم كما في التهذيب والصحاح والقاموس
«قطر» ، حيث نص صاحب القاموس على كسر
الميم ، وكما تقتضيه أسماء الآلات . وقال في
الصحاح : «وهي خشبة فيها خروق تدخل فيها
أرجل المحبوسين» . وفي القاموس : «خشبة فيها
خروق على قدر سعة رجل المحبوسين» .

٢٢٨ - «فلق» ١٧٦ : ٩٦ وبيروت ٢١١
والمخطوطة كذلك ، قول الكمي :
في حومة الفيلق الجأواء إذ نزلت
قسراً وهيضلها الخشخاش إذ نزلوا
صوابه «قسر» بالرفع ، وهي قبيلة من بجيلة
وقد سبق تفصيل القول في هذا التنبيه رقم ٥٦٦ .

٨٣٤ - (فوق) ١٩٥ : ٦ وبيروت ٣١٩
والمخطوطة ، قول الشاعر :

وحُدوس السرى تركت رديثا
بعد جد وجـرأة ورشاقه

صوابه «وحُدوس السرى تركت رديثا»
كما في أمالي الزجاجي ٤٩ وهي التي اعتمد عليها
ابن منظور في هذا النص . أما الحُدوس فهو من
الإبل القوي على سري الليل ، يقال حُدوس
للذكر والأنثى أيضا . وأما الردي فهو من
الإبل المهزول الهالك الذي لا يستطيع براحا
ولا ينبعث . والأنثى رذية . وقبل البيت :

رب كأس هرقها ابن أوى
حذر الموت لم تكن مرفقه

٨٣٥ - (فوق) ١٩٦ : ٩ : ويقال ما بـلـلـت
منه بأفوق ناصل ، صوابه : «ما بللت» كما في
التهذيب واللسان (بلل ٧٠) حيث ذكر هذا
المثل وقال : «وبـلـلـت به بلا : ظفرت به» .
والأفوق : السهم الذي انكسر مفرقه والناصل :
الذي سقط نصله . وقد وردت بهذا الضبط الصحيح
في طبعة بيروت ٢٢٠ وجاءت في المخطوطة
مجردة من الضبط .

٨١٦ - (قرق) ١٩٧ : ٢٢ وبيروت
٢٢٢ قول الراجز :

«مصبأ وقربانا متناصي قرقا»

وقد وردت بهذا التحريف أيضا في اللسان
«قرقس» . وفي المخطوطة وردت «قربانا» مهملة
نقط الباء ، والصواب «قربانا» بالياء المثناة
التيهية ، كما في التهذيب وديوان رؤبة ١١٠ .
والقربان : جمع قرى ، وهو مسيل الماء من
التلاع .

٨٢٧ - (فوق) ٢٠١ : ٢٠١ وبيروت
٣٢٥ والمخطوطة كذلك قول النابغة :

كأن غدیرهم بجنوب سَلَى

نعام قاقى فى بلد قفار

والنسبة إلى « النابغة » موهمة أنها للنابغة
الذبياني ، وليس كذلك ، بل هو النابغة الجعدي
كما فى كتاب سيبويه ١ : ٢١٤ بتحقيق كاتبه
وانظر ملحقات ديوانه ٢٤٢ . ونسبه ابن رى
إلى شقيق بن جزء بن رباح الباهلى . كما أن
صوابه « كأن غدیرهم » بالعين المهملة بعدها
ذال معجمة . والغدير : الصورت ، كما فى تفسير
سيبويه للبيت ، وكما عند الشنتمرى . ولم أجده
سنداً إلا نص الكتاب . وقد وردت الرواية
على الصواب أيضاً فى اللسان (سأل) والانصاف
لابن الأنبارى ٤٧ .

٨٣٨ - (قيق) ٢٠١ : ١٤ وبيروت ٣٢٥
والمخطوطة : « حجارة غاص بعضها ببعض »
والوجه « غاص بعضها ببعض » كما فى التهذيب
أى مستمسك بعضها ببعض .

٨٣٩ - (لبق) ٢٠٢ : ١ وبيروت ٣٢٦
والمخطوطة : « وامرأة لبقه : ظريفة رقيقة »
ويليق بها كل ثوب ، والوجه « لبق » كما فى
التهذيب ، وكما تقتضيه طبيعة اشتقاق المادة .
ولا تزال هذه الكلمة الفصيحة مستعملة فى لغة
أهل الكويت والخليج العربى .

٨٤٠ - (افق) ٢٠٦ : ٢٥ وبيروت ٣٣١
والمخطوطة ، قول الشاعر :

ويا رب ناعية مهم

تشد الاتفاق عليها إزارا

وهذه هى أيضاً رواية ديوان الأعشى ٣٨ .
وما يؤيدها أن قبله فى القصيدة :

فأقلت قوما وأعمرتهم

وأخربت من أرض قوم ديارا

لكن رواية التهذيب ، وهى مظنة النقل
« فيارب ناعية منهم » وهذه الرواية وجهها .

٨٤١ - (مرق) ٢١٦ : ٢ وبيروت ٣٤٥
« سمعت بعض العرب يقول : أطعمنا فلان
مرقة مرقين » يريد اللحم إذا طبخ ثم
طبخ لحم آخر بذلك الماء ، وجاءت كلمة
« مرقين » فى المخطوطة مهملة الضبط . ووجه
ضبطها « مرقين » بلفظ الجمع لا بلفظ التثنية ،
كما فى المقاييس والتهذيب . ويؤيده ما ورد فى
اللسان (علا ٢٢٧) من استعمال العرب لهذه
الكلمة بلفظ الجمع وفيها : « وسمعت العرب
تقول : أطعمنا مرقة مرقين » تريد اللحمان
إذا طبخت بماء واحد . وأنشد :

قد رويت إلا دهيدينا

قليصات وأبيكرينا

لجمع بالنون لأنه أراد العدد الذى لا يحده
آخره . وكذلك قول الشاعر :

فأصبحت المذاهب قد أذاعت

بها الإعصار بعد الوابلينا

أراد المطر بعد المطر غير محدود . وكذلك
عليون : ارتفاع بعد ارتفاع .

وذكر أن هذه الأسماء تعرب لإعراب جمع
المذكر السالم لأنها على لفظه .

٨٤٢ — (مرق) ٢١٨ : ١٨ وبيروت
٢٤٢ قول الشاعر :

يا ليتني لك مئزر متمرّق
بالزعفران لبسته أيا ما

وجاء بعده : « متمرّق : مصبوغ بالعصفر ،
لكن وردت « متمرّق » في المخطوطة مضبوطة
بتشديد الراء فقط . والصواب « متمرّق » بزنة
اسم الفاعل كما في التهذيب ، وهو ما يقتضيه قول
ابن منظور نفسه : « وتمرّق الثوب : قبل ذلك » .

٨٤٣ — (مشق) ٢٢٠ : ١٨ د إذا
اصطكت أليته حتى تشحجا ، وفي بيروت ٢٣٤
« تشحجتا » ، وليس للتشحج سند في اللفظ
ولا في المعنى ، والصواب « تشحجا » بالسين
المهملة كما في المخطوطة ، أي تشحجا ، بخذف
إحدى التامين . والتشحج : التقشر .

٨٤٤ — (نبق) ٢٢٨ : ٣ — ٤ وبيروت
٣٥١ والمخطوطة : « ابن الاعرابي : أنبق ونبق
ونبّق ، كله إذا غرس شراكا واحدا من
الوادي ، ووضع في المخطوطة سكون على
ألف « الوادي » ، وصواب هذا « الودي » ، كما في
التهذيب واللسان (نبق ٣١١ س ١٣) . والودي
على فعيل : فسيل النخل وصغاره ، واحده
ودية .

٨٤٥ — (نبق) ٢٢٨ : ٨ وبيروت ٣٥١
والمخطوطة أيضا : ينتبق للكلام انتباقا وينتبطه
أي يستخرجه ، صوابه « ينتبق » للكلام ،
بالتعديّة ، كما في التهذيب . وفي القاموس مع

تاج العروس : « (وانتبق الكلام) انتباقا
وانتبطه انتباطا : (استخرجه) » .

٨٤٦ — (نفق) ٢٢٦ : ٩ وبيروت ٣٥٨
قول الشاعر :

شدا ومرفوعا بمُحَرَّبٍ مثله
للورد لا نفق ولا مسنوم

وفي المخطوطة : « مقرب » ، باهمال نقط
الحرف الأول ، ومع عدم ضبط « مثله » ،
وجهه : « يقرب مثله » ، كما في التهذيب وديوان
أبيد ١٢٩ . والبيت من قصيدة له في الديوان .
والشد : العدو . والمرفوع : أشد من الشد .
أي مثل هذا الشد يقرب الحمار للورد .

٨٤٧ — (نوق) ٢٤٢ : ١٨ وبيروت
٢٦٤ قول الراجز :

مُخَّة ساقى بأيادي ناقي
أعجلها الشاوي عن الاحراق

وبعده : « ويزوي بين كفي ناقي » ، وفي
المخطوطة : « ساقى بأيادي ناقي » ، و « كفي
ناقي » . والصواب في نص الرجز :

* مخّة ساق بأيادي ناقي *

وفي التعليق بعده : « بين كفي ناقي » بغير
همز . والساق معروفة ، وبداخلها المخ وهو
نقى العظم . والناقي : الذي يستخرج النقي من
العظم ، يقال نقوت العظم ونقيته .

٨٤٨ — (همق) ٢٤٨ : ١٥ قول الراجز :
* لبابة من همق عيشوم *

وفي المخطوطة : « لبانة » ، صوابها « لباية »
بالياء المثناة التحتية ، كما في اللسان (لبي) وطبعة
بيروت ٣٦٩ . واللباية : البقية من النبت عامة ،
وقيل البقية من الحمض ، أو هو شجر الأمطى .

٨٤٩ - (وبق) ٢٤٩ : ٢٠ وبيروت
٢٧٠ والمخطوطة قول الشاعر ، وهو خفاف
ابن نديبة السلمي كما في الأصمعيات ١٥ :

وخاد شرورى والستار فلم يدع

تعاراً له والوادين بموبق

صوابه « وجاد » بالجميم ، كما في التهذيب
والأصمعيات . جاده : أصابه بالجود ، وهو المطر
الغزير . والذي في التهذيب والأصمعيات :
« يعار » بالياء بدل التاء . وشرورى والستار

ويعار : مواضع في بلاد بني سليم . وأما « تعار »
بالتاء فهو من بلاد قيس .

٨٥٠ - (ودق) ٢٥١ : ٢٣ وبيروت
٢٧٢ والمخطوطة قول الراجز .

* كوم الذرى وادقة سراتها *

والرجز لعمر بن لجأ (١) في الأصمعيات ٢٤
والخزاة ٣ : ٧٨ والعيني ٣ : ٥٨٣ .

وقبل الشطر :

* أنعتها إني من نعاتها *

فالصواب « وادقة سراتها » بنصب سرات
بالكسرة ، كما يقتضيه روى الرجز . والكلمة
موضع استعهاد بحوى على أن وادقة صفة
مشبهة وفاعلها ضمير مستتر فيها ، وسراتها منصوب
بالكسرة على التشبيه بالمفعول للصفة المشبهة .

عبد السلام محمد هارون

(للبحث بقية)

(١) عند العيني أن صاحب الرجز « عمر بن لجاء » وضبطه بقوله « بالحاء المهملة » وصوابها « لجأ » كما
سبق في التنبيه رقم ٧٣١ .

قول في النحو

للسيد محمد سوقي أمين



اللغة العربية التي احتوتها كتب النحو ، تنطوي على كثير من الفروع والتفصيلات والاستثناءات ، وذلك طوعا لا اختيارا ، وصور الكلام في التقديم والتأخير والحذف والإيصال ، والإظهار والإضمار ، وما يتخلل أركان الجمل من القيود أو الصلات أو الفضلات . ومن هذه الصور ما هو قياسي ، وما هو غالب ، وما هو كثير ، وما هو قليل ، وما هو نادر ، وما هو شاذ . وإن بسط هذه التفصيلات ، وبيان منزلتها من القلة والكثرة ، ليجعل قواعد العربية واسعة كل السعة ، ويبلغ بتفصيلاتها وتفريعاتها مبلغا لا يحصيه إلا متفرغ للنحو ، صارف أطول عمره وأفسح دهره في التعرف والحفظ والمذاكرة .

وقد جرى أهل العربية منذ القدم على أن هذه هي اللغة ، وأن رجال النحو والتصريف إنما قعدوا هذه القواعد ، ونسقوا تلك التفصيلات ، استنباطا من كلام العرب المعتمد به فيما حصلوه . فهم بما ضبطوا من قواعد ، وما رتبوا من مسائل ، يصورون أساليب الكلام الفصيح في جملة وتفصيله . والنحاة في الغالب يحتاجون إلى قاعدة

ولكل جزئية من جزئيات القواعد بأمثلة من البيان العربي ، وأكثر ما يشهدون به من الشعر وحجتهم في إيراد الشواهد الشعرية أن النثر غير متناقل ولا محصل في الصدور ، إلا أقله . ولكن الشعر أكثره محفوظ مروي ، وهو بوزنه ضابط لنطق الكلمة المراد الاحتجاج بها ، مصور لصيغة الجملة التي هي مناط الاستنباط .

على أننا لو تأملنا مليا لعلمنا جليا أن كثيرا مما بسرده النحاة ، ويعمرون به أبواب القواعد ، من أشتات التفصيل والتفريع ، وألوان الجواز والاستثناء ، وصنوف الضوابط والشرائط ، لا صورة له في النثر المأثور عن العرب .

وعلى الرغم من أن أهل العربية — على ترادف الاحقاب — قد لقنوا هذه التفصيلات جميعا ، فإن بيان البلغاء من الكتاب ، تخلو تعبيراته وجملة من أكثر ما يقتضيه ذلك التفريع والتنويع في كتب النحاة . فالتراكيب المستعملة في النثر العربي خلال خمسة عشر قرنا لا تجري إلا في قليل من تلك الصور التي تشتمل عليها أبواب النحو والتصريف .

فعلام تدل هذه الظاهرة ؟

نثر القرآن والحديث ليس فيه إلا شيء قليل
من تلك التفصيلات التي زخرت بها قواعد
النحاة .

أليست تدل على أن العلة في كثرة فروع
القواعد ، راجعة إلى طبيعة الشعر العربي في تقيده
بالوزن والقافية ، فهو لذلك يقسر الشاعر العربي
على أن يتصرف في أنماط الكلام وأساليب
التعبير ، ليسلس له عنان الوزن ، ويسلم له
سياط القوافي ؟

ولنجدن الكاتب يبلغ أعلى مراتب التجويد
في الكتابة ، ويسمو إلى أرفع طبقات البلاغة في
الإنشاء ، على حين أن طرائق تعبيره ، وألوان
أساليبه ، لا يعلق بها كثير مما تبارت كتب النحو في
تبيينه وتفضيل أحكامه .

وإذا كان ذلك التفريع والتفصيل أثرا للشعر
العربي وحده ، باعتبار ما فيه من ضرورات
مباحة ، ألجأت إليها طبيعة النظم ، فلماذا تبسط
هذه الضرورات المباحة في الشعر على أنها من
قواعد النحو الشاملة للكلام شعره ونثره ؟

فإن نحن رجعنا إلى الشعر ألفيناه يحفل بكل
ما أتعب النحاة أنفسهم فيه ، وجهدوا جهدهم
لضبطه ، وما ذلك إلا لأن أوامرك النحاة حين
انبروا لضبط قواعد الكلام ، وتسجيل ظواهر
التركيب والأساليب ، جعلوا نصب أعينهم
في معظم أمرهم ما ييسر لهم جمعه من القصائد
والمقطعات والابيات ، فكان الشعر مادتهم
الغزيرة ومنهلهم المورد ، إليه رجعوا أكثر
مارجعوا ، وعليه عولوا أكثر ما عولوا ، ومنه
استخرجوا أوفر ما استخرجوا من القواعد
والأحكام .

حقا عنى النحاة بذكر ما خالف القواعد
في الشعر ، ونصوا أبياتا تتجلى فيها ألوان
الخلافا ، وعدوا ذلك من الضرورات الشعرية ،
حتى لقد أطلقوا عليها اسما خص بها وعرفت
به ، ذلك هو اسم « الضرائر » ، ولكن هذه
الضرائر التي عنى النحاة بالنص عليها ، ليست
إلا جانبا مما حشدوه من فروع القواعد ،
واحتجوا له بالشواهد من الشعر ، وأطلقوا
أحكامه إطلاقا ، كأنه جزء من القواعد العامة
للكلام منشوره ومنظومه ، دون أن ينصوا على
أنه ظاهرة من ظواهر الكلام المنظوم خاصة ،
وأنه مما لا يجري في منشور الكلام .

وجلى أن الوزن والقافية يتحكمان في الشعر
العربي كبير تحكم ، وأنهما يربدان الشاعر على أن
يميل بأساليب بيانه تقديماً وتأخيراً ، وإظهاراً
وإضمماراً ، وحذفاً وإيضالاً ، تطويعاً للوزن ، وتأليفاً
للقافية . فالشعر مغاير للنثر في الصوغ ، يخالف
له في التركيب ، ولا يعزب هذا عن النظرة العابرة
في أية قطعة منشورة حين يوزن بها شيء من
القول النظم .

كان للعرب مطلق التصرف في أساليبهم كما
يريدون ونحن لما قالوا مسجلون ، وبهديهم مقتدون ،
وهذا نثرهم الذي أثر عنهم في الجاهلية والإسلام وكذلك

ولأننا لنلج ذلك في الشعر ، قديمه ومحدثه
على السواء ، وأولئك هم الشعراء المعاصرون
يجرون في تركيب الجمل على أنحاء نفقدها في النثر ،
وهيات أن يلجأ إليها الكاتب المرسل ،
أو يرضى بها أو يجدها موافقة للانسحاق في
الكلام .

ولقد يكون الشاعر كاتباً ، يستوى عنده
النثر والنظم إتقاناً وبراعة ، فهو في كليهما مجود
متأنق ، ولكنه إذا نظم تنابعت في نظمه أنماط
من التعبير متشابهة تقتضي تلك التفاصيل
النحوية ، فإذا نثر جرى كلامه في صور سهلة
ميسورة من ناحية التركيب النحوي ، مع الجلالة
وحسن السبك من ناحية التأليف البلاغي .

وليس الوزن والقافية وحدهما هما اللذان
يحدوان الشاعر أن يصطنع تلك الألوان المتباينة
من التراكيب ، فربما تيسر الوزن والقافية مع
التركيب السهل المألوف ، بيد أن الشعر العربي
قد اتخذ له منذ القرون الأولى طابعاً خاصاً
يسميه النقاد الأقدمون : « عمود الشعر » ، وأبين
خصائص هذا الطابع نسج العبارات وتأليف
التراكيب ، ولذلك كله سلطانه على صاغة
القريض ، فقد اتصلت تلك التراكيب الشعرية
بالأذهان ، وتمكنت في الملسكات ، وهي تعرض
للشاعر اعتياداً وانقياداً ، ومتابعة ومحاكاة ،
وطلباً لذلك الإيقاع الموسيقي الذي نحسه في شعر
القدماء ومن تابعهم على تعاقب العصور .

أليس يخلص لنا من هذا أن قواعد النحو
في أغلب تفصيلاتها تسجيل لظواهر التراكيب

الشعرية ، غير مفتقر إليها ولا معول عليها من
يتصرف ناثراً في فنون الكلام ؟

ولو تدبرت الأمثلة التي يستشهد بها النحاة
أو يصوغونها صوغاً لتصوير بعض الفروض
التي يبدطونها في تفريعات القواعد ومحتجزاتها
وقيودها ، لاستبان لك أنها لا تسوغ عادة في
البيان المرسل ، وأنها ليست من مألوف ما تجرى
به عذبات الألسن في القول المنشور .

وإن اليسير من هذه الأمثلة - بما لا تكلف
فيه ولا تعقيد - لو استعمله كاتب على جهة التأنق
في السبك ، لوضح للقارئ أن نثر هذا الكاتب
يدخل في باب الشعر ، ولمر بالخاطر أن هذا
الكاتب يستعير تلك الأمثلة من محفظه الشعرية
ويجريها مجرى التمثيل ، تحلية وزينة ، وذلك لما هو
قار في النفوس من أن للنثر أساليب في نسق
الجل والتراكيب . غير الأساليب الشعرية
المتوارثة .

ربما يقال إن تلك التفاصيل النحوية تفيد
في فهم الشعر ومعرفة أساليبه ، وهذا حق
لا خلاف عليه . ولكن يجب أن نفرق بين
أمهات القواعد التي هي طبيعة اللغة ، وعليها يدور
مرسل الكلام ، وبين التفريعات والتنويعات
التي أملاها على النحاة ما وجدوه في قصيد الشعراء
من تراكيب ألجأ إليها وزن الشعر وقافيته ،
وأصبحت طابعاً للشعر العربي كله أوجله .

وإذا كان النحاة قد بسطوا قواعد شاملة لم
يميزوا فيها بين شعر ونثر ، فذلك لأن الشعر
- كما أسلفنا القول - كان معروفاً في الاستنباط ،

ولأنهم في مطلع وضع العلوم وتعميد الفنون
جردوا عنايتهم لتسجيل ظواهر الكلام العربي
مرسله وموزونه على وجه عام .

وشأن النحو في هذا الصنيع كشأن
« البلاغة » بدأت أول ما بدأت لوامع وملاح
في كتب الأدب ، لا تميز فيها ولا تقسيم ،
وما زالت تنمو وتتطور حتى انقسمت بيانا
ومعاني وبديعا ، ولكن النحو ظل ينمو ويزدهر
دون أن ينقسم نحوا للنثر ونحوا للشعر ، ومن
حق هذا أن ينماز عن ذاك ، وأن تكون لكل
منهما أحكامه وضوابطه .

لقد أحسن النحاة الأولون صنعا حين حصلوا
كل شيء وجدوه ، وأقاموا من قواعده وأحكامه
علما واسع الأبواب والفصول ، ضافي الذبول ،
إلا أنه بقي على حاله منذ مطلعته ، فلم يصب حظه
من ذلك التطور الذي أصابه غيره من العلوم ،
وما أحقه هو بأن يتطور ، وفقا لما تقتضيه
قواعده وأحكامه التي تشمل جنسين متمايزين من
الكلام ، هما المنظوم والمنثور ، والجمع بينهما
في القواعد والأحكام خلط وإيهام .

فعلينا اليوم أن نخرج بالنحو من جموده ،
وأن نخطو به خطوة جديدة ، فنستقرى أبوابه
بابا بابا ، ونستقرى قواعد الباب قاعدة قاعدة ،
مستقصين ما لكل من محترزات وقيود ، ومن
ضوابط وشرائط ، منتخلين ما يساق عليها من
أمثلة وشواهد ، ثم ننظر : أترجع هذه الصورة
إلى الشعر وحده ، أم تسوغ في نسق الكلام

(١) نماذج توضح فكرة البعث وسنده .

المرسل ؟ وقليلة هي أم كثيرة ؟ وعامة هي أم
مقصورة على إحدى اللهجات ؟

فإن نحن أخذنا هذا المأخذ في دراسة النحو ،
أفردنا أمهات القواعد ورءوس الأحكام من
أشبات الفروض والصور التي ترد بين القلة
والندرة والشذوذ ، واستصفينا نحو النثر من نحو
الشعر .

ذلك قول في النحو ، أجملته في هذا الفصل ،
وقد اختمرت عندي فكرته منذ عهد ، فرأيت
أن أكشف به ، عسى أن يكون مدرجة إلى
توجيه النحو العربي وجهة جديدة ، فيها لمعلية
تيسير ، وفيها لذلك العلم المسكين مزيد من الدقة
وحسن التقسيم .

صفحة من نحو الشعر (١)

صور من ضمير الشأن

(١) يكون في الفعل ضمير الشأن ، كما ضمير
اسم كان في قوله :

إذا مت كان الناس صنفان شامت

وآخر مشن بالذي كنت أصنع

ومن ذلك قول الشاعر :

إذا ما المرء كان أبوه عبس

فحسبك ما تريد إلى الكلام

ومنه قول آخر :

متى ما يفد كسبا يكن كل كسبه

له مطعم من صدر يوم وما بكل

وكا ضمائر اسم ليس في قول الشاعر :

هي الشفاء لداء لو ظفرت بها

وليس منها شفاء الداء مبذول

(ب) وضمير الشأن منوي في ظن وأخواتها ،
وأن وأخواتها كما ضمارة في (إخال) في قول
الشاعر :

أرجو وآمل أن تدنو مودتها

وما إخال لدينا منك تنويل

ويؤولونه كذلك على تقدير لام الابتداء
مضغرة ، كقول الشاعر :

كذاك أدبت حتى صار من خلقى

أنى وجدت ملاك الشيمة الأدب

كتاب سيويه ح ١ - ٢٦ - ٢٩٦

المفصل لابن يعيش ح ٧٧ ، ح ٣ - ١١٦

ابن عقيل - باب ظن وأخواتها

صور من الفصل

١ - بين الناسخ وما دخل عليه

(١) يفصل بين الحرف الناسخ وما دخل
عليه بالجملة ، مثل قوله :

كأنّ وقد أتى حول كميل

أثافها حمامات مشول

(ب) ويفصل بين حرف النفي ومنفيه في
(ما زال) وأشباهاها .

كقوله : ولا أراها تزال ظالمة

وقوله : ولا وأبى دهما زالت عزيزة

ويجوز تقديم الخبر على الفعل وحده ، إذا
كان النفي بما ، نحو :
ما قائما زال زيد .

ولا يمتنع تقديم خبر مادام على دام وحدها ،
فتقول : لا أصحبك ما قائما دام زيد .

المغنى ح ٢ ص ٤٩

الخصائص ح ١ ص ٣٢١

ابن عقيل - باب كان وأخواتها

٢ - بين الجار والمجرور

من مواضع الجملة المعترضة بين شيئين لإفادة
الكلام تقوية وتسديداً أو تحسينا ، الموضع
الذى تكون فيه الجملة بين الجار والمجرور ،
كقوله : اشتربته بأرى ألف درهم .

المغنى ٢ - ٤٩

٣ - بين المتضايين

مسائل الفصل الجائزة في السعة ثلاث :

أحداها أن يكرن المضاف مصدراً والمضاف
إليه فاعله ، والفاصل مفعوله كقوله : فسقناهم
سوق البغاث الأجادل .

والثانية أن يكون المضاف وصفاً والمضاف
إليه مفعوله الأول والفاصل مفعوله الثاني
كقوله : وسواك مانع فضله المحتاج .

والثالثة أن يكون المضاف لا يشبه الفعل
وأن يكون الفاصل قسما ، كفولهم :

هذا غلام والله زيد .

وغير هذه المسائل يختص بالشعر .

الاشموني - باب الإضافة

الضرائر ١٤٣

صورة من حذف المضاف إليه

يحذف المضاف إليه ، ويبقى المضاف كحال
لو كان مضافا ، فيحذف تنوينه مثل قوله :

سقى الأرضين الغيث سهل وحزنها
فنيطت عزى الآمال بالزرع والضرع

الاشموني - باب الإضافة

صور من إعمال المصدر

(١) يعمل المصدر المحلى عمل الفعل ،
فتكون الألف واللام بمنزلة التنوين ، ومنه قوله :

فإنك والتأبين عروة بعد ما
دعاك وأيدينا إلبك شوارع

لكالزجل الحادى وقد تلع الضحا
وطير المنسايا فوقهن أواقع

وقوله :

ضعيف النكاية أعداءه
يخال الفرار يراخى الأجل

وقوله :

لقد علت أولى المغيرة أنفى
كررت فلم أنكل عن الضرب مسمعا

(ب) وإذا أضيف المصدر إلى فاعله ،
ففاعله مجرور لفظا مرفوع محلا ، فيجوز فى تابعه
مراعاة اللفظ فيجر ، ومراعاة المحل فيرفع .
كقوله :

حتى تهجر فى الرواح وهاجها
طلب المعقب حقه المظلوم

فرفع المظلوم لكونه نعتا للمعقب على المحل .
(ج) وإذا أضيف المصدر إلى المفعول فهو
مجرور لفظا منصوب محلا ، فيجوز فى تابعه
مراعاة اللفظ أو المحل ، ومن مراعاة المحل قوله :

قد كنت داينت بها حسانا
مخافة الإفلاس واللياسا

فالليان معطوف على محل الإفلاس .

كتاب سيبويه - ح ١ ص ٩٩
ابن عقيل - باب أعمال المصدر

المفعول لأجله يصبح الألف واللام
ما صاحب الألف واللام يجر ، ويجوز النصب ،
ومنه قول الشاعر :

لأقعد الجبن عن الهيجاء
ولو توات زمر الأعداء

وقول الشاعر :

فليت لى يهم قوما إذا ركبوا
شنوا الاغارة فرسانا وركبانا

الأشعوني — باب المفعول له

كتاب قواعد اللغة العربية
للمدارس باب المفعول لأجله

انجزام الفعل بالاستفهام

وبما جاء منجزاً بالاستفهام ، وله :

متى أنام لا يورقنى الكرى

ليلاً ولا أسمع أجراس المطى

كأنه قال إن يكن منى نوم فى غير هذه الحال
لا يورقنى الكرى ، كأنه لم يعد نومه فى هذه
الحال نوماً .

كتاب سيبويه ح ١ — ٤٥٠

واو دخولها كخروجها

ومن أقسام الواو قسم يكون فيه دخول
الواو كخروجها ، وهى الزائدة ، أثبتتها
الكوفيون والأخفش وجماعة ، والزيادة ظاهرة
فى قوله :

فما بال من أسعى لأجبر عظمه

حفاظاً وينوى من سفاخته كسرى

وقوله :

ولقد رمقتك فى المجالس كلها

فاذا وأنت تعين من يبغي

المغنى ح ٢ — ٢٢

صير من عمل د أن ،

١ — رفعها للفعل المضارع بديرن فصل

خلاف بين البصريين والكوفيين فى تحليل
رفع المضارع بعد د أن ، فالكوفيون يقولون
لأنها مثل د ما ، المصدرية ، والبصريون يقولون
لأنها مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن
والحديث ، وقد يرد بعدها صدر الجملة الواقعة
خبراً بدون قد والنفى وما إليه ، كقول الشاعر :

يا صاحبي فدت نفسى نفوسك

وحيثما كتبنا لاقيتما رشداً

أن تحملأ حاجة لو خف حملها

وتصنعا نعمة عندى بها ويدأ

أن تقرأن على أسماء ويحكأ

منى السلام وإلا تشعرا أحداً

وكقول ابن الدمينه :

ولى كبد مقروحة من يديعى

بها كبدأ ليست بذات قروح

أبى الناس ويح الناس أن يشترونها

ومن يشتري ذا علة بصحيح

وكقول الآخر :

إبى زعيم يا نويقة

إن سالت من الرزاح

أن تهبطين بلاد قوم

يرتعون من الطلاح

وكقول الآخر :

إذا كان أمر الناس عند عجوزهم

فلا بد أن يلقون كل يساب

وكقول الآخر :

علموا أن يؤملون فجادوا
قبل أن يسألوا بأعظم سؤال

٢ - نصبها للفعل المضارع بدون ذكر

ينصب الفعل المضارع بأن مضمرة ، ومنه
قول طرفة :

ألا أيها الزاجري أحصر الوغى
وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

فأضمر أن أولاً ، ثم أظهرها ثانياً في بيت واحد .
وتقديره : ألا أي هذا الزاجري أن أحضر الوغى .

ومن طريف ما يروى أن دماذ ، كتب
إلى بكر المازني النحوى يقول :

تفكرت في النحو حتى ملكت
وأتعبت نفسى به والبدن

فكنت بظاهره عالماً
وكنت بباطنه ذا فطن

خلا أن باباً عليه العفاء
في النحو يا ليتـه لم يكن

إذا قلت : لم قيل لى هكذا
على النصب قيل بأضمار أن

فقد خفت يا بكر من طول ما
أفكر في أمر د أن ، أن أجن

٣ - بروز اسمها ، إن خفت

إذا خفت د أن ، بقيت على ما كان لها من

العمل ولكن لا يكون اسمها إلا ضمير الشأن
محذوفاً ، وخبرها لا يكون إلا جملة ، وقد يبرز
اسمها وهو غير ضمير الشأن كقوله :

فلو أنك في يوم الرخاء سألتنى
طلاقك لم أبخل وأنت صديق

وكقوله :

لقد علم الضيف والمرملون
إذا اغبر أفق وهبت شمالا

بأنك ربيع وغيث مريع
وأن هناك تكون الشمالا

المفصل ح ٧-٩ ، ١٥ ، ح ٨-١٤٣

ابن عقيل - باب أن وأخواتها

عيون الاخبار - الجزء الثاني ذيل أمالى القالى .

شرح التبريزى للقصائد العشر

شر العربية للشعاى .

صورة من تنكير ماحقه التعريف

حد الكلام في اسم كان وخبرها إذا جاء
أحدهما نكرة والآخر معرفة أن تكون النكرة
هي الخبر والمعرفة هي الاسم .

ولكن د ابن مالك ، يقول في شرح
التسهيل : د يخبر في بابى كان وان بمعرفة عن
نكرة اختياراً .

ويقول د الرخيمى في المفصل أن ذلك :

من القلب الذي يشجع عليه أمن الإلباس .
ومن النجاة من يذهب إلى أن كل ذلك
يجوز ، ولا يعد من الضرورات .

وهن شواهد وأمثلته قول القطامي :
قفي قبل التفرق يا ضياعا
ولا يك موقف منك الوداعا

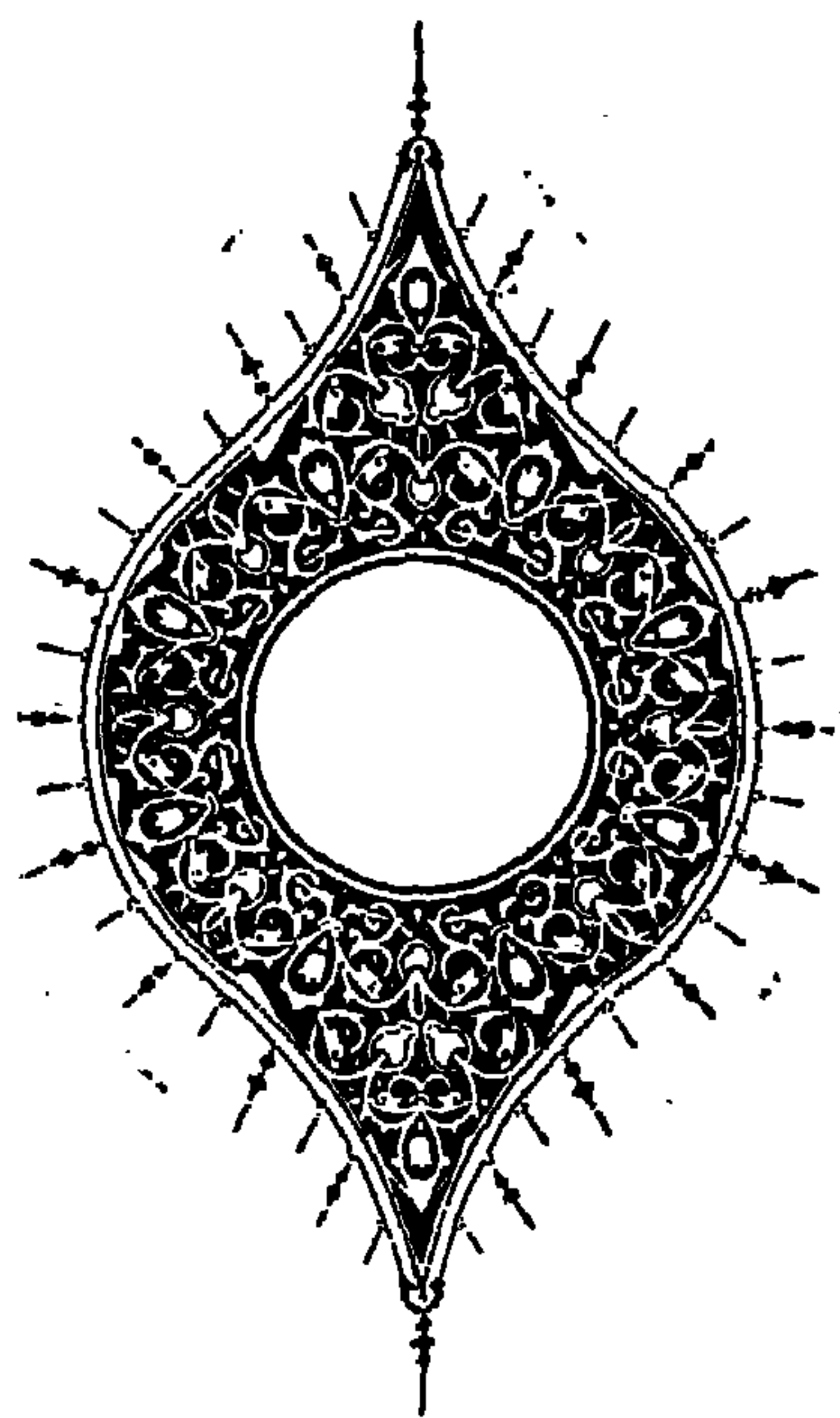
وقول حسان :
فإنك لا تبالي بعد حيول
أظني كان أمك أم حمار

كان سيئة من بيت رأس
يكون مزاجها غسل وماء

وقول أبي قيس الأنصاري :

ابن يعيش - ح ٧ - ٩١
المغني - ح ٢ - القاعدة ١٠
الضرائر - ص ٢٣٥

محمد شوقي أمين
عضو المجمع



مفهوم الجمال في اللغة العربية

للدكتور عثمان أمين

نكاد

اللغة العربية تنفرد عن
اللغات الحية الأخرى

بتخصيص جديرة بالتدبر ، وإن تكن قد خفيت
زماناً على الكثيرين : تلك هي وفرة الألفاظ الدالة
على الشيء منظوراً إليه في مختلف درجاته وأحواله
ومتفاوت صورته وألوانه . وهذه الميزة العربية ،
ميزة التلوين الداخلي الذي كأنما يرسم للماهية
الواحدة ، بالأطياف والظلال ، صوراً متعددة ،
تغنينا باللفظ الواحد عن العبارة المطولة نحدد بها
المعنى المقصود .

واللغة العربية ، كما قال « ابن جني » ، من
أكثر لغات الأرض دلالة معنوية ، بل إن الكثير
من ألفاظ العربية قد فقد على مر الزمان دلالاته
الحسية . وإن ما يجعل اللغة العربية أكثر مرونة
من غيرها من اللغات الحية المعروفة هو أنها أكثر
اللغات قبولاً للاشتقاق . والاشتقاق باب واسع
تستطيع به اللغة أن تؤدي معاني الحضارة على
اختلافها ، وهو يقوم بدور لا يستهان به في تنوع
المعنى الأصلي وتلوينه ، إذ يكسبه خواص مختلفة
بين طبع وتطبع ، ومبالغة وتعدية ، ومطاوعة
ومشاركة ومبادلة ، مما لا يتيسر التعبير عنه في
اللغات الآرية مثلاً إلا بالألفاظ خاصة ذات معان
مستقلة . وصيغ الألفاظ العربية تفرق تفرقة

واضحة بين « الجرائي » و « البراني » ، بين ما هو
حركة في النفس وما هو حركة في الجوارح (١) .

« وعلم البديع ، في اللغة العربية - كما عرفوه -
هو « علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد
رعاية مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، ورعاية
وضوح الدلالة ، أى الخلو من التعقيد المعنوي »
وهذا التعريف نفسه يدل على أن هذه اللغة تجعل
استقامة المعنى ووضوح الدلالة مقياساً لفن البلاغة
وشرطاً لجمال العبارة .

وهذه الخصائص تصدق في اللسان العربي على
لفظ « الحسن » ومفهومه الأصلي واشتقاقاته كما
تصدق على غيره من ألفاظ ومفاهيم .

المفهوم الرئيسى : « الحسن » بمعنى « الجمال »
المفاهيم المشتقة منه : الحسنى - الإحسان -
الاستحسان - الحسنة - التحسين

والمفاهيم المشتقة من الجمال : التجميل -
الإجمال - المجاملة .

فيقال حسن أى جميل ، فهو حسن وهى حسناء ،
أى جميل وجميلة ، . والحسن والجميل هو ما يرتاح
له الحس والعقل والخلق والذوق . ويكون الحسن
والجمال فى الصورة والهيئة ، والقول ، والفعل .

(١) عثمان أمين : « فلسفة اللغة العربية » (القاهرة ١٩٦٥)

ويعطينا « الثعالبى » أمثلة لغوية تدل على تقسيم الحسن ودرجاته الحسية : « الصباحة » تكون فى الوجه ، و « الوضاعة » فى البشرة ، و « الحلاوة » فى العينين ؛ و « الملاحاة » فى الفم ؛ و « الرشاقة » فى القصد ، و « الظرف » فى اللسان (٢) وعن محاسن خلقة المرأة يقول « الثعالبى » إذا كانت رقيقة الجلد ناعمة البشرة فهي « بضعة » ؛ وإذا كانت لطيفة الخصر فهي « هيفاء » ؛ وإذا كانت لطيفة الخصر مع امتداد القامة فهي « ممشوقة » ؛ وإذا كانت متبينة من اللين والنعمة فهي « غادة » و « غيداء » (٣)

وعن « محاسن الصوت والسمع » يقول السراج الطوسى : « روى فى الحديث عن النبي « صلعم » أنه قال : ما بعث الله نبياً إلا حسن الصوت ... وروى عنه قوله : زينوا القرآن بأصواتكم ... وقد ذم الله تعالى الأصوات المنكرة بقوله عز وجل : « إن أنكر الأصوات لصوت الحمير » ، وفى « ذم الأصوات المنكرة » لمحمد « الأصوات الطيبة ... وعن يحيى بن معاذ الرازى أنه قال : « الصوت الحسن روحه من الله تعالى لقلب فيه حب الله تعالى » (٤) :

وكان العرب يرون للغناء شرائط من الحسن إذا توفرت للمغنى كان « محسناً » . قال مالك بن أبى السمع : سألت ابن أبى إسرائيل عن المحسن المصيب من المغنين ، فقال : « هو الذى

يشبع الألفان ، ويملا الأنفاس ، ويعدل الأوزان ويفنم الألفاظ ، ويعرف الصواب ، ويقم الأعراب ، ويستوفى النغم الطوال ، ويحسن مقاطع النغم القصار ، ويصيب أجناس الإيقاع ، ويختلس مواضع النبرات ، ويستوفى ما يشاكلها من النقرات » (٥) .

فواضح أن لفظ الحسن أو الجمال لم يقف عند حد الدلالة على الحسن الظاهر أو الجمال المحسوس ، بل جاوزه إلى الدلالة على الحسن والجمال فى المعانى والنيات والمواقف والتصرفات وهذا الانتقال يتفق تمام الاتفاق مع منطق اللغة العربية فى تدرجها من الظاهر إلى الباطن ومن المحسوس إلى المعقول .

ومادة « الحسن » فى اللغة العربية — بما لها من اشتقاقات — مرتبطة إرتباطاً وثيقاً بالأخلاق فألفاظ : الاحسان ، والمحاسنة ، والحسنى ، والتحسين والاستحسان ، والحسنة تعبر كلها فى اللغة العربية عن دلالات جمالية أخلاقية .

فيقال : الاحسان فعل ما هو حسن : « إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم » (قرآن كريم) .

وفى هذا المعنى روى صاحب العقد الفريد عن أرسطو أنه كتب إلى الاسكندر : « أملك الرعية بالاحسان إليها ، تظهر بالمحبة منها :

(٢) الثعالبى : « فقه اللغة » ص ٦٧ (القاهرة ١٩٣٨) .

(٣) المصدر السابق : ص ١٦٢ .

(٤) أبو نصر السراج الطوسى : « اللامع » القاهرة ١٩٦٠ ص ٢٣٨ — ٢٣٩ .

(٥) النويرى : « نهاية الأرب » ج ٥ ص ١٢٢ .

فإن طلبك ذلك بإحسانك أدوم بقضاء منه
باعتسافك ، (٦) .

وأحسن الشيء : أجاد صنعه أى أتقنه ، قال
تعالى : « خلقكم فأحسن صوركم » وقال الإمام
على : كفى بالعلم شرفاً أنه يدعيه من لا يحسنه ،
ويفرح به إذا نسب إليه . وقال : قيمة المرء
ما يحسنه ، (٧) .

وحسن الشيء أى جعله حسناً وزينه .
وحسنه بمعنى رقاؤه وأحسن حاله . و « الحسنى »
هى العاقبة الحسنة ، وفى القرآن : « فله جزاء
الحسنى » و « المحسنة » هى ما يحسن ، فيقال :
هذا الطعام محسنة للجسم . و « الاحسن » هو
الأفضل ، قال تعالى : (الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه) ، وجمعها أحاسن .
وفى الحديث : « إن أقربكم منى بحالسى يوم
القيامة أحاسنكم أخلاقاً » . وقال الإمام على :
« جزعك فى مصيبة صديقك أحسن من صبرك ،
وصبرك فى مصيبتك أحسن من جزعك » .
والحسن بمعنى الجمال فى الأفعال والتصرفات .
ومثاله قول الإمام على : « حسن التدبير مع
الكفاف أكره لك من الكثير مع الإسراف » .
وقوله : « حسن اليأس خير من الطلب من الناس
والحسن يضاف إلى النية وإلى الصنعة وفى ذلك

يقول الإمام على : « من لم يحمد صاحبه على
حسن النية لم يشكره على جميل العطية » . ويقول
كذلك : « أحسن العفو ، فإن العفو مع العدل
أشد من الضرب لمن كان له عقل » . ويقول :
« وأحسنوا صحبة النعم ، فإنها تزول وتشهد على
على صاحبها بما عمل فيها (٨) » ، وأحسن بمعنى
كامل كقوله صلى الله عليه وسلم : « أدبى ربى
فأحسن تأديبى » .

ومادة « الجمال » مرتبطة كذلك بالأخلاق
ارتباطاً وثيقاً . فكما أن « جل » جمالا تؤدي
معنى أنه حسن خلقه . ويقال : أجمل فى الطلب ،
أى اتشد واعتدل . وفى الحديث : « أجملوا
فى طلب الرزق ، فإن كلا ميسر لما خلق له » .
ويقال : أجمل الصنعة أى حسنها وكثرها .
ويقول الشاعر العربى :

ولما لنى زمن ترك القبيح به

من أكثر الناس إحسان وإجمال

والجميل بمعنى الخير والمعروف . فيقال : أسدى
إليه جميلاً ، أى معروفًا وإحساناً . والمجاملة هى
التلطف فى المعاملة ، فيقال : فلان جامل فلاناً ،
أى عامل بالجميل وأحسن عشرته . والتجمل
بمعنى تكلف الجمال والظهور بما يجمل ويليق ،

(٦) ابن عبد ربه : « العقد الفريد » ١٣٢١ م ، ج ١ ط ٨ .

(٧) على ابن أبى طالب : شعره وحكمه . تصنيف أحمد تيجور باشا (القاهرة ١٩٥٨) ص ٧٣ .

(٨) (سجع الحمام فى حكم الإمام - القاهرة ١٩٦٧) .

فيقال: تجمل فلان بالصبر. ويقول « المتني » .

خليلك أنت لا من قلت تحلى
وإن كثر التجميل والـ كلام

المحيرات لسكافة الخلق وإفاضتها عليهم على الدوام
إلى غير ذلك من الصفات الباطنة أدرك بحاسة
القلب» (١٠)

وفي هذا المعنى نفسه يقول الإمام على
ابن أبي طالب: « جمال المرء وقارة » ، و« جمال
المرء في الحلم » ، و« جميل المقصود يدل على طهارة
المولد » (١١).

ويرى أغلب الباحثين من الأخلاقيين أن
الجمال مركوز في نفس الإنسان . وفي ذلك يقول
مسكويه : إن كل من له غريزة من العقل
ونصيب من الإنسانية ففيه حركة إلى الفضائل
وشوق إلى المحاسن ، لاشيء آخر أكثر من
الفضائل والمحاسن التي يقتضيها العقل وتوجبها
الإنسانية ، وإن اقترن بذلك في بعض الأوقات
محبة الشكر وطلب السمعة والتماس أمور آخر .
ولو أن محبة الشكر وما يتبعه أيضا جميل وفضيلة
لما رغب فيه (١٢) ..

ومفهوم الحسن والجمال — في لغة القرآن —
مفهوم ذو وشائج أخلاقية روحية قوية ،
والصفات الجوهرية للجمال في تعاليم القرآن هي
الانسجام والاعتدال والنظام والكمال والنبل
والطهر والرفعة والتقوى ، وجميعها قد جاوزت

والجميل يقال على الصفات الحسنة . وفي هذا
المعنى يقول على بن أبي طالب : « من مدحك
بما ليس فيه من الجميل وهو راض عنك ، ذمك
بما ليس فيك من القبيح وهو سخط عليك » .
ويرى الفارابي أن لافس صحة ومرضاً . فصحتها
في أن تكون هيئاتها وهيئات أجزائها هيئات
تفعل بها أبدا الخيرات والحسنات والأفعال
الجميلة ، ومرضها أن تكون هيئاتها وهيئات
أجزائها هيئات تفعل بها أبدا الشرور والسيئات
والأفعال القبيحة » (٩) .

ولفظ الجمال ، كما يقول الغزالي ، قد يستعار
فيقال إن فلانا جميل ، ولا يقصد به الصورة إنما
يقصد به « أنه جميل الأخلاق » ، محمود الصفات ،
حسن السيرة ، حتى يحب الرجل بهذه الصفات
الباطنة إستحسانا لها كما تحب الصورة الظاهرة » .

ويرى الغزالي أن الجمال ظاهر وباطن . فهو
« إن كان يتناسب الخلقة وصفاء اللون أدرك
بحاسة البصر ، وإن الجمال بالجلال والعظمة وعلو
الرقبة وحسن الصفات والأخلاق وإرادة

(٩) الفارابي : فصول المدنى . نشر دتلوب - ٢٩٦١ . ص ١٠٣ .

(١٠) الغزالي — إحياء علوم الدين : ج ٢ . ص ٢٦٧ .

(١١) على ابن أبي طالب . تصنيف أحمد تيمور باشا ص ٣٨ ، ص ٦٤ .

(١٢) أبو حيان التوحيدى ومسكويه : المرامى والشواهد (القاهرة ١٩٥١ ص ١٩٢ .

نطاق المحسوسات إلى نطاق المعقولات والتصرفات والأفعال .

وللقرآن عناية بالقيم الجمالية في كل ما يعرض له من مجالات : وفيه دعوة إلى توخي الجمال في جميع جوانب الحياة الإنسانية :

فالأوصاف التي يوصف بها الله في القرآن أوصاف أخلاقية على الأصالة : « له الأسماء الحسنى » : والله هو الرحمن الرحيم ، الغفور الودود ، السميع ، البصير ، العليم الحكيم ... والله هو مالك الجمال المطلق ، وهو مفيض الجمال على الكائنات : « الله نور السماوات والأرض » (القرآن : ٢٤ : ٣٥) (١٣) . وهذه الآية من أعمق الآيات وأبعدها دلالة : فالنور جمال ، كما أن الظلمة قبح ، كما في الآية : « والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها ، وترهقهم ذلة . ما لهم من الله من عاصم . كأنا أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً » (١٠ : ٢٧) .

أما بالنسبة إلى الكون فإن الله لما كان هو مالك الجمال المطلق فقد خلق كل شيء في العالم في صورة الجمال : « الذي أحسن كل شيء خلقه » (٢٢ : ٧) . والخلق يشمل جميع الأشياء في السماوات والأرض ، والأجرام السماوية التي تحيط بالأرض يقول ، القرآن فيها : « ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين » (١٦ : ١٥) .

ويقول : « إنا زينا السماء الدنيا بزينة » (٦ : ٢٧) . ويؤكد القرآن وجود الجمال على الأرض متمثلاً في الحيوان والنبات إذ يقول : « والأنعام خلقها لكم ، فيها دفء ومنافع ، ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون » (١٦ : ٥ ، ٦) ويقول : « والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ، ويخلق ما لا تعلمون » (١٦ : ٨) وفي جمال النبات يقول : « حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت » (١٠ : ٢٤) . ويرى القرآن أن الحجارة عبارة عن الاتزان والانسجام ، فيقول : « وأنبتنا فيها من كل شيء موزون » (١٥ : ١٩) .

أما الجنة والحياة الأخرى فيصفها القرآن بالحسن ، إذ يقول : « خالدين فيها ، حسنت مستقراً ومقاماً » (٢٥ : ٧٦) : يقول : « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » (٢٢ : ١٧) وواضح أن التعبير « بكرة الأعين » كناية عن المتعة الجمالية . ويقول القرآن أيضاً « وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة » (٧٥ : ٢٢) والناظرة في الآيتين معناها الجمال والإشراق .

ويرى القرآن أن للكائنات البشرية جمالا ظاهراً وباطناً ، فهو يقول : « لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم » (٩٥ : ٤) . و « في أحسن تقويم » أي في أجمل صورة وبنية . ويقول : « وصوركم فأحسن صوركم » (٤٠ : ٦٤) ؛

(١٣) انظر : محمد القليل : « تحديد بناء الفكر الديني في الإسلام » (بالإنجليزية) لندن ١٩٣٤ ص ٦٠ بح

ويقول : « ونفس وما سواها » (٧ : ٩١) .
و « سواها » : أى وهبها التناسب والنظام . وإد
عرفنا أن التناسب والاتساق صفتان جوهريتان
للجمال ، فهذه الآية تشير إلى الجمال والباطن ،
جمال الشخصية الإنسانية (١٤) .

بوالديه حسناً » (٨ : ٢٩) . وإلى مراعاته في
الدعوة إلى الدين : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن » ،
(١٦ : ١٢٥) .

وفي الآيات القرآنية التي أوردناها دلالة على
أن بيان القرآن يشيد بالقيمة الجمالية ، في كل
بجال ، ويؤكد صفة الجلال في الله وفي الكون
وفي الإنسان

أما الحياة الدنيوية فقد دعا القرآن إلى تجميلها
فقال : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده
والطيبات من الرزق » (٧ : ٣٢) . وأشار
القرآن إلى العناية باللباس ، باعتبار أن من
وظائفه تجميل الشخصية الإنسانية ، فقال : « يا بني
آدم ، قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم
وريشاً ولباس التقوى ، ذلك خير » (٧ : ٣٦)
وقوله « يوارى سوءاتكم » يشير إلى استتار
القرآن أساليب العري التي شاعت في بعض
المجتمعات البدائية والمعاصرة ، وكانت الأخيرة
منها حصيلة للانحرافات السيكلوجية والبدنية .
وقد روى الترمذى أن النبي كان يقول كلما ارتدى
لباساً جديداً : « الحمد لله الذي كساني ما أوارى
به عورتي وأتجمل به في حياتي » (١٥) وأصل
اللباس في رأى « وستر مارك » هو رغبة الرجال
والنساء في اكتساب الجاذبية المتممة لسمات
الجمال ، وكأن القرآن يؤكد عصر القداسة في
التجمل باللباس ، فتقول : « يا بني آدم : خذوا
زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ،
« تسرفوا » ، إنه لا يحب المسرفين » (٧ : ٣١) .

وإذا كان الأمر كذلك فهل فرض القرآن
واجبات تتعلق بالجانب الجمالي من الحياة الإنسانية؟
والجواب على هذا السؤال صريح ، وهو أن
القرآن يريد متبعية أن يتجملوا لإيمانهم بأعمالهم
وأن يجاهدوا أنفسهم لنيل الجزاء الحسن من الله؛
فهو يقول : « ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله
وهو محسن » (٤ : ١٢٥) ، ويقول : « للذين
أحسنوا الحسنى وزيادة » (١٠ : ٢٦) .
و « الحسنى » كما رأينا ، هي العاقبة الحسنة ؛ أى
الجنة ، أما « الزيادة » فقد قيل في تفسيرها إنها
النظر إلى وجهه الله الكريم .

وخلاصة القول في نظرة القرآن إلى الجمال

وفيما يتصل بالجمال في السلوك نرى آيات
القرآن داعية إلى توخي الجمال في مخاطبة الناس :
« وقولوا للناس حسناً » (٢ : ٨٣) وإلى مراعاة
الجمال في معاملة الوالدين : « ووصينا الإنسان

(١٤) انظر : محمد فضل الرحمن الأنصاري : « القانون الأخلاقي الإسلام وخليفته الميتافيزيقية » ، (رسالة
دكتوراة بالانجليزية لجامعة لاهور ، لم يطبع بعد) .
(١٥) الترمذى : « التاج الجامع للاصول » ، كتاب اللباس .

أنه يدعو دوماً إلى تجميل الحياة الإنسانية في جوانبها الحسية والعقلية والأخلاقية . و يروى عن النبي أنه قال : « إن الله كتب الإحسان على كل شيء » (١٦) وقال : « إن الله جميل يحب الجمال » (١٧) . ونلاحظ هنا ما ذكرنا من قبل : وهو أن الإحسان ، بمعنى الإتقان ، صفة من صفات الجمال ، في نظر الرسول .

* * *

ويبدو أن هذا التناظر الذي رأيناه في القرآن بين وجهتي النظر الأخلاقية والجمالية تناظر تستلزمه طبيعة اللغة العربية : فلفظ « الحسن » في العربية يعني في وقت واحد « الجمال » و « الخير » و « الذوق » ، كما أن لفظ « القبح » يعني الدمامة والشر والسماجة . واستعمالات العربية نفوسها تدل على هذا التناسب بين هذه المجالات الثلاثة : الحسن والخلق واللياقة . فاللغة الجارية تستعمل لفظ « الحسن » وصفاً للجميل والصائب والصالح فتقول : منظر حسن ، ورأى حسن ، وعمل حسن .

والإمام محمد عبده يعالج هذا المفهوم للحسن معالجة عصرية ، فيقرر أولاداً أننا نجد في أنفسنا بالضرورة تمييزاً بين الجميل من الأشياء والقبيح منها . ويبدو أن الفيلسوف المصري يستعمل لفظ « الحسن » في المعاني الثلاثة الرئيسية التي

كان يستعملها فيها المتكلمون المتقدمون (١٨) . ولكنه يضيف إليها تحليلات سيكولوجية أدق وأحدث :

(أ) المعنى الأول للحسن هو الجمال ، والقبح هو النقص ، سواء في الأمور الأخلاقية أو في الأمور العقلية : « فالحسن في المعقولات كالوجود الواجب والأرواح اللطيفة وصفات النفوس البشرية له جمال تشعر به أنفس عارفة وتنهر به بصائر لاحظيه » . ومن جهة أخرى هل في الناس من ينكر القبح في نقص العقل وسقوط الهمة وضعف العزيمة « ويكفي أن أرباب هذه النقائص المعنوية يجاهدون في إخفائها ، ويفخرون أحياناً بأنهم متصفون بأضدادها » .

(ب) والمعنى الثاني للحسن هو علاقة الملائمة إما لطبيعتنا وإما للأغراض التي يستهدفها العقل . أما الملائمة لطبيعتنا فهي ما يلذ لنا ، والتمييز بين الحسن والقبح بهذا المعنى قلما يختلف عن التمييز عند الحيوانات الراقية في سلسلة الوجود ، « اللهم إلا في قوة الوجدان وتحديد مرتبة الجمال والقبح » . وأما الملائمة للأغراض التي يستهدفها للعقل فهي النافع بمعناه الواسع . وحكم القيمة الذي يصدره الشخص تبعاً للنفعة هو عمل عقلي . وبقدر ما يرتقى الإنسان في سلم الموجودات يكون إثارته لما يقع على ما يلذ ، ويختص الإنسان بالتمييز بين الحسن والقبح بهذا المعنى إذا أخذ

(١٦) « مشكاة المصابيح » ، كتاب الصيد ، الفضل الأول ، ص ٣٥٧

(١٧) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب الكبير

(١٨) الإيجي : « المواقف » ، استانبول ١٢٨٦ هـ - ص ٥٢٩ - ٥٣٥

من أكمل وجهاته ، . وإذا فتح نصف بالحسن والجمال الأفعال التي يكون فيها منفعة للفرد أو للجماعة ، حتى ولو كانت هذه الأفعال تثير النفور أو الألم وقت حصولها ، وفي جميع الحالات تجعل للثابرة وبذل الجهود قيمة أعلى من إيثار العافية والراحة وقلة المبالاة .

ومن هنا نصف بالجمال الضال من أجل الوطن ، والتضحية في سبيل العلم ، والدفاع عن قضية نبيلة ، على الرغم من التضحيات أو الآلام التي تتطلبها معاناة مثل هذه الأعمال في أغلب الأحيان (١٩) .

(٢) والمعنى الثالث للجميل والقبح هو ما ينطبق على المدح والمذموم .

لقد ذهب الأشاعرة والمعتزلة إلى أن العقل يدرك الحسن بالمعنيين الأولين .

ولكن هذا المعنى الثالث موضع خلاف ظل قائما بين المتكلمين : فالأشاعرة يرون أنه ليس الحسن حسنا ولا القبح قبيحا من ذاتهما ولا بصفاته ، ملازمة الأشياء تجعلها تبدو خيرا أو شرا ، جميلة أو قبيحة ، بل إن الحسن ما حسنه الشرع ، والقبح ما قبحه : فالشرع يضيف على الأفعال ما نضيفه من صفات الحسن والتبجح ، وبناء على هذا يمكن أن تتصور انقلابا في قيم الأشياء إذا حلا للشارع أن يقلب أوضاع الأمور ومعايير الأحكام بحيث يصير الحسن قبيحا والقبح حسنا ، كما في النسخ من الحرمة إلى الوجوب ، ومن

الوجوب إلى الحرمة . وخالفهم المعتزلة في هذا ذاهبين إلى أن معيار الحسن والقبح هو العقل ، أو هو النور الفطري في الإنسان .

فلا عجب أن نرى الإمام محمد عبده يؤثر عن قصد وعن بينة أن ينضوي تحت لواء المعتزلة وغيرهم من ساورهم القلق على الحرية الإنسانية ذاهبين إلى أن التمييز بين الجمال والقبح أمر طبيعي يدركه الناس جميعا من غير حاجة إلى شرع أو عرف . ويضيف محمد عبده أن الإنسان يجد هذا التمييز في نفس وجدانه ، فإنه بما فطر عليه من حسن وعقل قادر على التمييز بين الحسن والقبح في جميع معانيهما ، دون انتظار لما يقضى به العرف أو يأمر به الشرع . وتعقل ذلك ميسور ، والشاهد عليه ما نراه في بعض أصناف الحيوان ، وما نشهده في أفاعيل غرار الصياد قبل تعقل معنى الشر ، وكذلك ما وصل إلينا من تاريخ الإنسان وما عرف عنه في جاهليته (٢٠) .

ونستطيع بهذا الصدد أن نلاحظ أن المناقشات التي أثارها المتكلمون المسلمون حول هذه المسألة لا تخلو من أن تكون قريبة من التمييز الذي أدخله « السفسطائيون » اليونان بين العدل العرفي والعدل الطبيعي ، وهو التمييز الذي اصطنعه بعد ذلك الرواقيون حين أكدوا أن العدل « فطري » وليس « عرفيا » .

* * *

(١٩) محمد عبده : « رسالة التوحيد » . الطبعة الخامسة . ص ٧٨

(٢٠) عثمان أمين : « رائد الفكر المصري » ط ٢ القاهرة ١٩٥٥ ، ص ١٣٣ - ١٣٨

وآراء محمد إقبال في الجمال مرتبطة ، وأوثق ارتباط بفلسفته العامة ، وعلى الخصوص بذلك الجزء من فلسفته الذي يطلق عليه اسم « نظرية الذات » .

وقد كان لنظرية الذات هذه أثرها العميق في تصور الفيلسوف الجمال : فقد رأى أن ذاتنا معيار القيم الإنسانية بوجه عام ، ومعيار الحسن والقبح بوجه خاص . فالجميل عنده هو ما تدركه الذات في سموها واعتلائها ، والقبيح هو ما تدركه في هبوطها وانحطاطها :

عالم الذات به علو وسفل
واعتراك القبح فيه والجمال
في اعتلاء الذات ما يبدو جميلا
وقبيح ما بدا في الاستفال

ويرى محمد إقبال أن الفن ينبغي أن يصور لهيب الحياة الأبدى الذي لا ينقطع : فلا قيمة للفن الذي يخرج شراراً واهناً لا يلبث أن يخمد . وحياة الأمم تدوم بدوام إبداعها وإعجازها . فالفن الذي لا إبداع فيه ولا إعجاز عارية لا تدوم : إن كان نسيم الصباح المتمثل في الشعر ، واللحن المنبعث من الموسيقى يذبل أزهار الرياض ، ولا ينضرها فأى نسيم هو ؟ فإن لم تنفذ نظرات الفنان إلى سر الكون وحقائق الأشياء ، فما هي بمبدية ولا قيمة لها .

وقد كان إقبال من المعجبين بالقوة ، لا إعجاب نبتة بها ، بل استجابة لدعوة الإسلام الذي يرى : أن « المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف » .

وكان لذلك أثره في نظرة الفيلسوف المسلم إلى الجمال : كان يرى « أن الجلال يفوق الجمال ، بما يتجلى فيه من قوة ، وما يبعث في النفوس من رهبة . لذلك كان يرى في الشجاعة التي تتجلى في ركوب الأخطار جلالة ، ويرى في سجود الأفلاك للقوة روعة وبهاء . بل ذهب الشاعر إلى أنه هو لا يجب أن يعذب إلا بنار قوية تلتهب النهاباً فقال :

وأرى جمالا في بهاء أن ترى
في سجدة للقوة الأفلاك
ولنعمة من دون نار نفخة
ما الحسن إلا بالجلال يحاك
لا أرتضى نار الجزاء ولم تكن
وهاجسة ولهيبها دراك

ومن أجل ذلك نراه لا يعجب بالنهر يسائر الأرض ، بل يعجب بنافورة قوية تقذف الماء عالياً في الهواء .

وخلاصة مذهب إقبال في الفن الجميل أنه ينبغي أن يصور ذات الفنان : فالذات العاشقة ، المتحررة ، المقدرة نفسها ، تنطلق من قيود هذا العالم المتغير وتندرج في سلك الخلود ، وتفلت من سلطان الجبر ، فيكون فيها حراً مثلها .

ويرى إقبال أن الفن الذي يعبر عن قوة الذات وحرقة الحياة ومعانياتها ، الفن الذي يفتح النفس والقلب ، ويبرئ من الخوف والنعم ، ويرفع روح الإنسان ومعنوياته ، هو فن

« حلال » . أما الفن الذى يضعف الذات ويميت القلب ، ولا يقبس من نار الحياة ، فهو فن « حرام » . وهذا يصدق على الشعر والموسيقى والغناء وسائر الفنون .

من أجل هذا كان إقبال ينفر من فنون الرخاوة والمذلة ، ويرى أن الشعر وكل فن أصيل ينبغى أن يكون فى حدة السيف ، ملائماً لمعركة الحياة ، مهما تكن صورته : تلك هى النظرة الجوانية إلى الفن عند إقبال ، ولذلك أخذ الشاعر الفيلسوف يحذر المسلمين من الفنون « البرانية » المستعارة ، تلك التى تدعو إلى التطرية والاسترخاء ، والتى توقظ الجسم وتقيم الروح .

والفنان عند إقبال يسعى دائماً ، مسوقاً بما فى نفسه من شوق إلى الكمال وعشق للجمال ، إلى أن يخلق — فى ذاته وفى العالم من حوله — مثلاً أعلى خالداً (٢١) .

* * *

وهكذا يتبين لنا من النظر فى مفهوم الحس والجمل — فى الفكر الإسلامى — تدرج

ألفاظ العربية من الحس الظاهر إلى المعنى الباطن ، ومن الصورة البرانية إلى الدلالة الجوانية . وخير ما نختتم به حديثنا عن الحس والجمل ما يروى عن الإمام أبى حنيفة — رضى الله عنه — من أنه كان يوماً فى حلقة الدرس بين تلاميذه وكان من عاداته أن يجلس بينهم جلسة « مريحة » باسماً رجليه ، لأنه لم يكن يستطيع أن يثنيها من مرض أو من إعياء . فدخل عليه فى درسه ذات يوم رجل مهيب الطامة ، أبيض اللحية ، كبير العمامة ، فضم أبو حنيفة رجليه حين وقع بصره عليه ، وواصل درسه لتلاميذه — وكان الدرس فى موعد صلاة الصبح . فما كان من الشيخ الوقور إلا أن قاطع أبا حنيفة سائلاً : « ولكن ما العمل إذا طلعت الشمس قبل الفجر ؟ » فكان جواب أبى حنيفة جواباً جوانياً حاسماً ، إذ قال : « العمل أن أبا حنيفة يديط رجليه ويحمد الله » !

وحق لأبى حنيفة أن يحمد الله وقد وفق إلى أن التقدير الأخلاقى هو الأساس الصحيح للحكم الجالى .

عثمان أمين
عضو المجمع

العقاقير عند العرب

للكبير عبد العظيم هفنى صابر

« مواد تستعمل لعلاج الإنسان والحيوان من الأمراض أو لتخفيف آلامها ، أو الوقاية منها أو أنها تستعمل فى الأغراض الصيدلية ومستحضراتها » :
والأدوية إما مفردة وإما مركبة .

والأدوية المفردة هى العقاقير وقد سماها كذلك ابن سينا وغيره بسائط (مفردها بسيط) أى الأدوية البسيطة وسماها الأوريون :
Simple drugs أو Simplex ترجمة للعربية .

ولما كان العرب فى أول الأمر لا يعرفون من الطب إلا الطب التجريبي ، وهو ما كان باستعمال العقاقير فى معالجة الأمراض والجراح ؛ ومن هنا كان اهتمامهم بالعقاقير ودراستها ، وازداد ذلك وتوسع بتقدمهم فى العلم والمعرفة واتصالهم بالإنساطرة والفرس والمسيحيين والهنود ، وما ترجموه من كتبهم وعرفوه عنهم ومن كتب اليونان . فانكبوا على دراسة الأدوية مفردة كانت أو مركبة ، وتعرفوا قواها ، ووضعوا مواصفاتها وتحققوا منها وازدادوا معرفة بمنافعها وفوائدها ، وأدخلوا فى مادتهم الطبية الكثير مما استحدث معرفته وما لم يكن معروفا لدى القدماء اليونانيين ، بل كان اهتمامهم بها لايساويه ولا يعادله ما كان لآى من فروع الطب الأخرى . فقد

العقاقير

ومفردها عقار -
وهى كما وردت فى معاجم اللغة ، ما يتداوى به من النبات والشجر ، وفى الصحاح : العقاقير هى أصول الأدوية ، وقال ابن الهيثم : « العقار كل نبت ينبت بما فيه شفاء » .

ويقول البيرونى فى كتابه « الصيدنة » :
« ومفردات الأدوية تسمى عقاقير جمع عقار وخاصة إذا كان نباتاً ، وأصله من السريانية ، ثم سوّى فيه فى الكتب ، أصل النبات وفرعه وأدخل فيه أيضاً ما ليس بنبات » .

ولذا ففهوم العقاقير عند علماء العرب كما تدل عليها كتبهم تشمل الأدوية المفردة الخام نباتية أو حيوانية أو معدنية . أما الكيمياويات الدوائية النقية فيخطئ من يطلق عليها عقاقير .

أما عن الأدوية ، فيقول البيرونى : « جميع ما يتناول بقصد أو بجهل فنقسم فى أول الأمر إلى أطعمة وسموم تتوسطها الأدوية » ، ثم قال : « إن الأدوية واقعة فى البين لأنها بالإضافة إلى الأغذية مفسدة وإلى السموم مصلحة » . وأورد ابن الرين الطبرى عن جالينوس : « إن كل شئ يترى به فهو غذاء وكل ما غدى به فهو سؤل وكل شئ يغير الطبيعة فهو دواء » . أما المتعارف عليه الآن فى مدلول الأدوية ، أنها :

كانت دراسة الأدوية وبخاصة العقاقير هي حجر الأساس لدى كل مهتم بالطب والعلاج والمداواة. فلا نجد مؤلفاً من المؤلفات الطبية العربية إلا وأفرد فيه للأدوية قسم خاص تذكر فيه محلاة بأوصافها وفوائدها وقواها. فقد خصص مثلاً ابن سينا في قانونه الذي يشتمل على خمسة كتب اثنان منهما الكتاب الثاني والخامس، للعقاقير والأدوية؛ وإن الرازي خصص لها الجزء العشرين من كتاب «الخواص»، كما نجد أجزاء خاصة كذلك في كتاب «فردوس الحكمة» لابن ربن الطبري. وفي كتاب «التيسير في التدبير والمداواة» لابن زهر، الذي أورد كذلك في نهايته وصايا وإرشادات في تركيب الأدوية المركبة واستعمالاتها ووصفات من الأدوية المركبة التي أثبتتها، وكذلك بياناً بتحضير الأشربة والمراهم والمعالجين. كما يمكن ذكر كتاب «الأقرباذين الكبير» لابن التليذ وكتاب «كامل الصناعة الطبية» أو «الملكي» للجوسي، وكتاب «التصريف لمن عجز عن التأليف» للزهراوي، الذي يشتمل على ٣٠ مقالة منها ٢٧ مقالة عن الأدوية. هذا بالإضافة إلى أن كثيراً من المؤلفات خصصت جميعها للعقاقير والنباتات الطبية فقط، مثل «الجامع لصفات أشجار النبات» للإدريسي و«الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» لابن البيطار، وكتاب «شرح أسماء العقاقير» لابن الميمون وكتاب «الأدوية المفردة» للغافقي وكتاب «الصيدنة» للبيروني، وكتاب «منهاج الدكان ودستور الأعيان» لكوهين العطار، وغيرها وغيرها كثير وكثير.

العقاقير وانتقاؤها ومواصفاتها

كان العرب يتحققون من أي الأجزاء من

النبات يكون العقار أفيد وأقوم وأفضل، وكذلك مواعيد جمعها من النبات، وجنيها أو قطفها منه، وطرق تجفيفها، وكيفية ادخارها (تخزينها) محتفظة بفوائدها وقوتها في أثناء تخزينها دون أن يتطرق إليها الفساد، ومعرفة علامات فسادها، وكذلك انتقاء أجودها، وفي أي المواطن تجود، ولقد أطنب في هذا المجال الكثيرون، مثل ابن سينا، (القانون)؛ وابن ربن الطبري (فردوس الحكمة) والجوسي (الملكي) والبيروني (الصيدنة)، وابن البيطار (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) وداود الأنطاكي (تذكرة أولى الألباب) وكوهين العطار (منهاج الدكان ودستور الأعيان)، وغيرهم كثيرون. فإن سينا مثلاً يذكر أن العقاقير النباتية منها أوراق ومنها زهر ومنها ثمار ومنها بزور ومنها أصول وقضبان، ومنها صمغ، ومنها جملة النبات (أي ما يعرف الآن بالعشب)؛ وأن الأوراق يجب أن تجنى وتجفف بعد أخذها من الحجم الذي لها وبقائها على هيئتها قبل أن يتغير لونها وتنكسر قوتها فضلاً عن أن تسقط وتنتثر. والزهر يجب أن يجنى بعد التفتح التام وقبل التذبل والسقوط؛ والثمار يجب أن تجنى بعد تمام إدراكها، وقبل استعدادها للسقوط؛ والبزور يجب أن تلتقط بعد أن يستحكم جرمها وتنفس عنها الفجاجة المائية؛ والقضبان (أي السيقان والأغصان) يجب أن تجنى وقد أدركت ولم تأخذ في الذبول والتشنج (أي التقبض). أما المأخوذ بجملته (أي العشب) فيجب أن يؤخذ على غضاخته عند إدراك بزره. أما الصمغ (ويقصد بها جميع ما ينتجه النبات أو يسيل منه، كالصمغ

والرأينيج واليتوع والبلاسم إلخ) فيجب أن تجنى بعد الانعقاد قبل الجفاف المعد للانفراك .

ولقد عثم كوهين العطار كل ذلك في كتابه « منهاج الدكان ودستور الأعيان » فقال :

« لا تجنى العقاقير إلا بعد استحكام نضجها وإكمال إدراكها ، فإن الكاملة الإدراك في مكانها مفيدة ، والفجة قليلة الفائدة » . كما ذكر أنه يجب تنظيف العقاقير بعد جنيها من طينها ثم تجفيفها أولاً في الشمس ، ولا يتم تجفيفها إلا في الظل وبهذا تأمن من فسادها ، ولا تضعها قريباً من الشمس فيفسدها حر الهواء ، ولا في أماكن رطبة أو قريبة من الماء فإنه يندبها ويفسدها بالتعفن . كما أنه قد خصص الباب الرابع والعشرين من الكتاب نفسه « في كيفية اتخاذ الأدوية المفردة ، وفي أي زمان تجنى ، ومن أي مكان تجلب ، وكيف تخزن ، وأي الأوعية فيها تخزن ، وما يفسدها فيتق ، وما يصلحها فيعتمد عليه ، وكيفية استدراك ما بدا فيه الفساد ، وما يعمل مع بعض الأدوية ليمتنع فسادها .

وكان العرب يدركون إدراكاً تاماً بما للبيئة التي ينمو فيها النبات ، والتربة التي ينبت عليها من أثرين على القيمة العلاجية للعقار الذي ينتج منه ، ودرجة جودته وفعاليته ، فيقول ابن سينا مثلاً : « إن المحتنى من أجزاء النبات في صفاء الهواء أفضل من المحتنى في حالة رطوبة الهواء وقرب العهد بالمطر ، والبرية كلها أقوى من البستانية (أي المنزرعة) وأصغر حجماً ؛ والجبلية أقوى من البرية ؛ والتي بجانبها المروج ومشرقات الشمس أقوى من غيرها ؛ والذي

أصاب جنه (أي الذي جمع في الزمن المناسب) أقوى من الذي أخطأ زمانه ؛ وما يلتقط في الصيف كان أقوى مما يلتقط في الشتاء . كما ذكر مثلاً أن الصبر السقطري أي الذي من سقطري أجود من العربي والحضرمي ، والراوند الصيني أجود من التركي ، وهكذا . ويقول ابن ربن في كتابه « فردوس الحكمة » : « رأينا دواء واحداً قد نفع قوماً وأضر آخرين ، والعلة في ذلك اختلاف مزاج العال أو عفونة (عتق) الدواء وفساده أو لأنه من البلد الذي لا يوجد فيه مثل الهلياج الذي لا يوجد إلا ما كان من كابل ، والكمرن من كرمان ، والصبر من سقطري ، والصعتر من فارس ، والأفاويه من الهند وما شابه ذلك » . ويقول داود الأنطاكي في كتابه « تذكرة أولى الألباب » وكذلك ابن سينا : « إن نبات اللبخ يقتل (أي أنه سام) في فارس (أي الذي ينبت في فارس) ويؤكل (أي عديم السمية) في مصر (أي الذي ينمو في مصر) » .

كل هذه الإرشادات والملاحظات جديرة فعلاً بالتنويه عنها إذ مازلنا إلى الآن نأخذ بها كما أثبتت الأبحاث الحديثة صحتها ودقتها ووجاهتها في الحكم على درجة جودة العقار وقيمتها العلاجية وفعاليته .

ولما كانت النباتات الطبية هي مصدر العقاقير النباتية التي هي المحور الأساسي عند العرب في دراسة الطب ، ومزاولة المهن الطبية ، وعلاج الأمراض ، فإنهم كانوا يولونها عناية خاصة بالدراسة والاهتمام ، لتعرفها ومعرفتها أوصافها

والتأكد من حصولهم على العقار من مصدره الاصيل ، فلم يكتفوا بما كتبه عنها من سبقهم ، ولم يرتضوا بما سمعوه من الرواة ، بل كان الكثير من علماءهم يجوبون البلاد ويرتحلون إلى مناطق نموها ، فطافوا بجميع بلاد العرب من المحيط إلى الخليج بل إلى الهند والصين وإندونيسيا وأفريقيا وآسيا الصغرى وغيرها ، بحثا عن النباتات الطبية ومعرفة موطنها الاصلية وأسمائها ولتتعارفوها على طبيعتها في مناطق نموها الاصلية ، وكذلك ليتعرفوا ما يستعمله منها أهالي هذه المناطق ، فيحققوا ما كان معروفا لديهم وياضعوا الأوصاف والطباع للجديد منها الذي لم يسبق معرفته .

ولشدة عنايتهم بهذه الدراسات كانوا يسجلون لهذه النباتات من الأشكال والألوان وغير ذلك من الأوصاف والتحليلات التي يشاهدونها ما يحدد نوعها أو جنسها ، بل كثيرا ما كانوا يضعون لها الرسومات وأحيانا يخلونها بألوانها الطبيعية . فنجد مثلا أن الغافقي قد ساج كثيرا في إسبانيا وشمال أفريقيا وراء هذه الغاية ، فذكر في كتابه «الادوية المفردة» كل نبات وعقار بأسمائه العربية والبربرية واللاتينية مع أوصافه . كما أن ابن البيطار الذي ألف كتابين في هذا المجال أهمهما كتاب «الجامع لمفردات الادوية والأغذية» ذكر فيه المعلومات اليونانية والعربية في علم النبات والأقرباذين ، ولا سيما المعلومات التي اكتسبها بخبرته ومن أبحاثه وتجاربه الشخصية ورحلاته في إسبانيا والمغرب وشمال إفريقيا ومصر وسوريا وآسيا الصغرى كما استشهد في كتابه هذا بما ذكره أكثر من ١٥٠ مؤلفا وعالما غيره . أما أبو القاسم

الزهراوي فقد خصص بابا في كتابه «التصريف لمن عجز عن التأليف» لتحضير العقاقير من النباتات والعناية بالاحتفاظ بالأجزاء المجففة ، كما ناقش استخلاص العصائر مثل الصبر وكذلك تحضير وتصفية الصمغ واللبن من نباتات معينة . كما نص فيه عن مواطن النباتات حيث تنمو أو تستورد منها ، ووصف هذه النباتات وكيفية الحصول منها على الجزء أو الأجزاء التي تستعمل في الطب وكذلك موعدها وجمعها وفصوله .

كما أن الشريف الإدريسي (١١٠٠ - ١١٦٦ م) قد طاف بمصر وآسيا الصغرى والقسطنطينية والاندلس وفرنسا وغيرها ووصف نباتات كل قطر (عن كتاب الأعلام لعباس بن ابراهيم) وكتابه «الجامع لصفات أشجار النبات» له أهمية خاصة . كما أن عبد اللطيف البغدادى قد امتاز في وصف أعشاب مصر .

أما رشيد الدين المنصورى بن السورى (١١٧٧ - ١٢٤٣ م) فكان يصطحب معه في رحلاته مصورا ومعه الأصباغ ويريه النبات في موطنه - بعد التحقق منه - ويطلب إليه أن يرسمه بأجزائه في جميع أطوار نموه بألوانه الطبيعية التي يظهر بها في هذه الأطوار (عن ابن أبى أصيبعة) ، ولذلك كان مؤلفه «الادوية المفردة» مزيينا برسومات للنباتات بألوانها الطبيعية ، والذي وصف فيه حوالى ٤٦٦ نباتا منها كثير لم يكن معروفا قبله . كما أن كتاب «الأعشاب» لأحمد الغافقي فيه حوالى ٣٨٠ رسما بالألوان لبعض النباتات والحيوان .

ولقد خصص ابن فضل الله العمري الجزء

الثاني عشر من كتابه «مسالك الأبصار» الموجود في مكتبة البلدية بالإسكندرية - للنباتات وفيه صور ملونة لأنواع مختلفة منها . ومن مشاهير العرب الذين اهتموا بالنباتات ولهم فيها مؤلفات تعتبر إلى الآن من المراجع القيمة جدا والمهمة لعلمائنا بالبحث والدراسة : أبو حنيفة الدينوري الذي ألف كتاب «النبات» ، وأبو العباس أحمد ابن الرومية (١١٧٠ - ١٢٠٩ م) الملقب بالنباتي وكتابه «الرحلة» وصف فيها نباتات كثيرة وذكر أنواعها وضرورها وكان قد قام برحلة طويلة في شمال إفريقيا وبلاد العرب وسوريا وما بين النهرين . وكذلك ابن العوام الذي ألف كتاب «الفلاحة» .

امتحان العقاقير وفحصها :

كان الصيادلة عند العرب مرصون على جودة العقاقير ونقاوتها من الغش والتدليس ، ويفحصون ما يجلب لهم منها للتعرف عليها وكشف غشها كما تعلوه وتلقوه لينجوا من العقاب فقد كانت هناك رقابة مشددة عليهم من الحكومة يقوم بها المحتسب ، يمثله في كل مدينة كبيرة موظف (مفتش) يعتبر كبيرا للصيادلة فيها أو عميداً لهم يشرف على تنفيذ القوانين ومراقبة تحضير الأدوية ونقاوة العقاقير في الصيدليات ويتأكد من سلامتها من الغش والفساد .

ومن الأمثلة الكثيرة الواردة وبخاصة في «الحسبة عند الصيادلة» : الأفيون ، وقد كان يغش بالماميثا وعصارة الخن البري والشحم والصمغ إلخ ، وكانوا يكشفون عن ذلك بإذابة الأفيون في الماء فإن ظهرت رائحة كرائحة الزعفران

كان مغشوشاً ، كما كانوا يحلونه بالماء ثم يصفونه فإن بقي فيه ثقل كان مغشوشاً وإلا فهو خالص ، ورائحة الخالص منه قوية جداً وفي طعمه مرارة ، فإن كانت رائحته ضعيفة وهو خشن كان مغشوشاً بعصارة الخس ، والذي هو مر صاف في اللون ضعيف القوة كان مغشوشاً بالصمغ وهكذا . وكانت السنامكي تغش أحياناً بالعشيق الذي هو أقل منها مفعولاً وكان يجلب من صعيد مصر فكانوا يميزون الأول بأن ورقته ملساء الطرفين ذات خضرة بها صفرة ، أما الثاني فطرف ورقته مدور ولونها شديد الخضرة .

تصنيف العقاقير

أورد العرب في كتبهم عدداً كبيراً من العقاقير يبلغ في كتاب «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» لابن البيطار مثلاً ما ينوف على ١٥٠٠ عقار ، منها ما كان منقولاً عن اليونان ، ومنها ما أدخله العرب جديداً على مادتهم الطبية ؛ وكانت هذه العقاقير تذكر في المؤلفات العربية ، إما مرتبة بأسمائها بحسب الحروف الأبجدية كما في الكتاب الثاني من قانون ابن سينا وكتاب «الجامع لصفات أشات النباتات» للإدريسي ، وإما مرتبة بأسمائها بحسب حروف الهجاء أي حروف المعجم كما في كتاب «الصيادلة» للبيروني ، وكتاب «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» لابن البيطار ، وكتاب «الحاوي» للرازي ، وكتاب «النبات» للدينوري ، وكتاب «تذكرة أولى الألباب» لداود الأنطاكي . كما كانت العقاقير تصنف في بعض الأحيان إلى مجموعات بحسب مفعولها وفوائدها ، فهذه أدوية مسهلة ، وهذه مقبحة ، وتلك مسكنة ، وهذه

مقدمة للبول، إلخ، كما في كتاب «فردوس الحكمة» لابن دبن، وكتاب «الأدوية المفردة» لابن الصلت. أما المجوسى فقد نحا نحواً آخر، فقسم المفردات إلى مجموعات بحسب طبيعتها، ورتبها في كل مجموعة بأسمائها مع نبذة مختصرة عن أجودها ومنافعها معنونة كما يأتي :

مجموعات المفردات النباتية : وتشمل مجموعات الحشائش وذكر منها (٨٩) : البزور والحبوب (٩٠) ، الأوراق (٣٨) ، والألوان (٣٤) ، ثمر الشجر (٣٧) ، الأصول (وأضاف إليها القشور) (٤٠) ، الأدهان (٢٩) ، الصمغ (٢٤) ، الطبائع والعصارات (٢٣) .

مجموعات المفردات الحيوانية : تشمل مجموعات الأدهان (مفرداً دم) ، الألبان ، الزبد ، الإنفحات ، البيض ، الإفرازات ، المرات ، الزبل إلخ .

مجموعات المفردات المعدنية : وتشمل : مجموعات الأطيان (مفرداً طين) ، الحجارة ، الملح ، الأجساد .

التداوى بالعقاقير

لقد كان المأثور عند نطاسى العرب أنهم لا يرون التداوى بالأدوية ما أمكن بالأغذية أو ما يقرب منها ، وإذا اضطر إلى الأدوية فلا يرون التداوى بالمركبة ما وجد سبيل إلى المفردة وإذا اضطر إلى المركب لم يكتروا التركيب بل يقتصرون على أقل ما يمكن .

فقد ذكر المجوسى في كتابه «كامل الصناعة الطبية أو الملكى» : «إن أمكن أن تعالج العليل

بالغذاء فلا تعطه شيئاً من الدواء ، وإن أمكنك أن تعالج بدواء خفيف مفرد فلا تعالج بدواء قوى ولا دواء مركب ، ولا تستعمل الأدوية الغربية المجهولة » . كما ذكر الرازى في كتابه «الحاوى» : «إن استطاع الحكيم أن يعالج بالأغذية دون الأدوية فقد وافق السعادة» ، وقال : «العمر قصير عن الوقوف على فعل كل نبات الأرض فملك بالاشهر عما أجمع عليه» ، ودع الشاذ واقتصر على ما جرب » .

وهذه نظريات عادلة ومبادئ علمية سليمة يأخذ بها الأطباء في عهدنا الحديث ، ويناديون بها وبخاصة كبار العلماء منهم .

ولقد نوه المجوسى وابن سينا وغيرهما بأن قوى الأدوية وتأثيرها تتوقف على طبائع الأبدان واختلاف حالاتها في الصحة والمرض ، وطبائع الأمراض واختلافها من شدة وضعف ، وما يتبعها من أعراض ، وأسنان الأبدان (عمرها) وأمزجتها ، وأوقات السنة ، وحالة الجور ، والبلد الذى يسكنه المريض ، وعاداته ، ومهنته .

هذا ما قاله العرب القدامى وما كانوا يتبعونه في علاج المرضى وهو أصدق وأعمق ما يكون وما زلنا نعمل به ونسير بهديه .

مصادر العقاقير عند العرب

كانت العقاقير في أيام العرب تجنى إما من النباتات البرية أى التى تنمو على سلبقتها دون أية رعاية خاصة ، وهى ما يسمونه في مصر بالنباتات الشيطانية أو البرية ، وإما من النباتات

التي تزرع لهذه الغاية وهي ما كانوا يسمونها بالنباتات البستانية . كما أنهم كانوا يجلبون العقاقير من مواطنها الأصلية أى حيث تنمو نباتاتها وذلك بطريق البر عبر آسيا وأفريقيا أو بطريق البحر ، إذ كانت لها تجارة واسعة عندهم . فهذه العقاقير من إسبانيا ، وهذه من شمال أفريقيا أو شرقها وتلك من بلاد فارس أو من الهند أو من الصين أو من بلاد شرق آسيا وبخاصة جزر الهند الشرقية .

تسمية العقاقير

كان العرب يسمون العقاقير بالأسماء الوطنية التي يطلقها عليها أهل بلادها مثل الراوند وهو اسمه في الهند ؛ ولما يعربون تلك الأسماء بحيث تنفق في نطقها والذوق العربي ، فلفظة كافور مثلاً أصله كابور بالهندية ؛ وقنبيل أصلها كامبيل في الهند ، والأفسنتين هو من أبسنت اليونانية ؛ ودارصيني من الفارسية دارشين ؛ وخيار شبر من الفارسية خيار جنبر ؛ وجزر فارسيته كزر ؛ وتنبول هندية ؛ وبنفسج من الفارسية بنفشه .

ولما بترجمة الأسماء الأجنبية إلى العربية مثل : جار النهر ترجمة فوطاموغيطن اليونانية (نهر - جار) كرفس جبلي ترجمة أوراسالينون اليونانية (أورا = جبل ، ساليون = كرفس) بلوط الملك من الفارسية شاه بلوط ، ولما يضعون لها أسماء عربية خاصة كالتمر هندي (أى الثمر الوارد من الهند) وجوزة الطيب (أى الجوز الذي يتطيب به) والجاوى (أى الوارد من جاوة) وهكذا .

هذا بالإضافة إلى الأسماء التي استعملوها عن

ترجموا أو نقلوا عنهم . وفى كثير من الأحيان كان العقار يعرف بأسماء عديدة . فقد كان كثير من المؤلفين العرب يذكر العقار بأسمائه المعروفة بالعربية واليونانية واللاتينية والبربرية والاندلسية والقوطية والفارسية والسريانية كلما أمكن ذلك ، فذكر الشريف الإدريسي مثلاً أن الدارصيني سماه ديوسقوريدس « قيامر من » ويسمى بالفارسية « دارجيني » وبالسريانية « مولون » ، وبالبربرية « أسطاخس » .

ما أدخله العرب من العقاقير في المادة الطبية :

لقد أدخل العرب كثيراً جداً من الأدوية المفردة في مادتهم الطبية ولم ينقلوها عن أخذوا عنهم من اليونانيين والذساطرة . وأوردوا هذه المفردات في كتبهم محلاة بأوصافها وقوة مفعولها ومنافعها وفوائدها في العلاج .

ولكن كان ذلك إما لاتصالهم بالهند وبلاد الشرق الأقصى ، وإما بتجوالهم في البلاد عامة وبخاصة ما كانت لهم بها علاقات وتقصيصهم في أثناء تجوالهم عما كان يستعمله أهالى هذه البلاد من عقاقير كان يجملها أهل العلم في ذلك الزمان ، ولما لاكتشافهم الجديد من العقاقير .

وقد أورد الإدريسي في كتابه : « الجامع لصفات أشات النباتات » كثيراً من العقاقير وذكر أن ديوسقوريدس « لم يذكرها » (فى كتبه) أو أغفلها ، إما لأنه لم يبلغه عليها ولا سمع عنها أو كان ذلك ضناً منه أو تعمداً ، وإما لأن أكثر هذه الأدوية ليست من شئ من بلاده .

كما أن ابن البيطار قد أورد في كتابه «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» حوالي ٣٠٠ مفرد لم يذكرها ديوسقوريدس ولا المؤلفون قبله ، ومن هذه يمكن ذكر ما يأتي مع الأسماء العلمية للنباتات ، حسب تحقيقها الآن :

(انظر القائمة المرفقة)

ولقد كان العرب أول من حشّر حمض الكبريتيك ، وحمض النيتريك ، والماء الملكي والقلويات (لايدروكسيد الصوديوم وغيره) والساماني (كلوريد الزئبق) ويوديد الزئبق ، والانتيمون ، والنشادر ، ونترات الفضة ، والراسب الأحمر ، والبورق ، وحمض الطرطير ، والكحول واستعملوها في صناعاتهم وعلاجاتهم . ويلاحظ أن كثير من هذه الأسماء مازالت مستعملة باللغات الأوروبية بشكل يدل على أصلها العربي .

تحية العقاقير: وقبل أن أنهي كلمتي أرجو أن نذكر النقاط التي كانوا يرونها أساسية في مقالاتهم عن العقاقير . لو استعرضنا مؤلفات العرب وبخاصة ما كان منها مخصصاً للأدوية ، نجد أنهم حددوا عدة نقاط لاستيفاء كل ما يتعلق بالعقار من ذكر أوصافه ونعته وقوته وفوائده ، بل إن داود الانطاكي ذكر أن كل مفرد يحتاج للنقاط الآتية:

(١) ذكر أسمائه بالألسن المختلفة

(٢) ذكر ماهيته من لون ورائحة وطعم وتلزوج وخشونة وملاسية وطول وقصر (٣) ذكر جوده ورديته ليؤخذ أو يترك (٤) ذكر درجانه في الكيفيات الأربع (حار - بارد - رطب - يابس) ليتبين الدخول به في التراكييب . (٥) ذكر منافعه في سائر أعضاء البدن (٦)

كيفية التصرف به (٧) ذكر مضاره (٨) ذكر ما يصلحه (٩) ذكر المقدار المأخوذ منه مفرداً أو مركباً مطبوخاً أو منشفاً بجرمه (١٠) ذكر ما يقوم مقامه إذا فقد (١١) الزمان الذي يقطع فيه الدواء ويدخر (١٢) من أين يجلب الدواء إذ يترتب على ذلك فوائد مهمة في العلاج ، فقد قال أبقراط : «عالجوا كل مريض بعقائير أرضه فإنه أجلب لصحته»

وهذا أتم وأوفى ما يحلى به العقار إذ ليس هناك ما يزداد على هذه النقاط حتى في عصرنا الحاضر ، اللهم إلا التعمق في كل منها بحسب وسائل تقدمنا في العلوم وفي طرق البحث واستعمال الميكروسكوب بأنواعه المختلفة والمتقدمة وكذلك الأجهزة العلمية الحديثة، وذكر المحتويات الفعالة والتشخيصية للعقار .

• • •

Melia azadirachta	أزاديرخت
Phyllanthus (Myrobalan) emblica	الأمليج
Berberis sp	أمير باريس
Aegles marmelos	بل = قماء هندي
Terminalia bellerica	بليج
Salsola rosmarinifolia	بهرامج = بلخينة
Aconitum napellus or A. ferox	بيش
Iiper betel	تانبول = تامول
Tamarindus indica	تمر هندي
Ipomoeia turpethum	تربد
Amomum zedcaria	جدوار
Lathyrus sativa	جلبان
Myristica fragrans	جوز طيب - جوز بوا

<i>Datura metel</i>	جوز ماتل	<i>Anamirta paniculata</i>	ما هي زهرة (سم السمك)
<i>Cyperus aesculentus</i>	حب الزلم . . حب الحزين	<i>Prunus mahleb</i>	محب
<i>Ipomoea hederacea</i>	حب النيل - قرطم هندي	<i>Salvadora persica</i>	مسواك (أراك)
<i>Alpinia galanga</i>	خلنجان	<i>Glossostemon burghieri</i>	مغات
<i>Cassia fi-tula</i>	خيار شبر	<i>Corchorus olitorius</i>	ملخية
<i>Croton tiglium</i>	خروع صيني - دند	<i>Manna</i>	من
<i>Ca'anus draco</i>	دم الاخرين	<i>Cocos nucifera</i>	نارجيل
<i>Jatropha curcas</i>	دند بري	<i>Citrus aurantium var amara</i>	نارنج
<i>Zingiber zerus bat</i>	زرنباد	<i>Melilotus officinalis or Medicago ciliaris</i>	كفيل
<i>Cassia acutifolia</i>	سنا (مكي)	<i>Flemingia congesta</i>	ورس
<i>Santalum album</i>	صندل	<i>Jasminum sp.</i>	ياسمين
<i>Lier nigrum</i>	فيل أسود	<i>Civette</i>	زباد
<i>Areca catechu (nut)</i>	فوفل	<i>Amlergis</i>	عنبر
<i>Cakile maritima</i>	قافلي	<i>Muskus</i>	مسك
<i>Eugenia caryophyllata</i>	قرنفل	<i>Sugar</i>	سكر
<i>Mellotus philippinensis (Kamal)</i>	قنبيل	<i>Cha'k</i>	طباشير
<i>Piper cabela</i>	كبابه	<i>Cinnabar</i>	زنجفر
<i>Cinnamomum camphora (Camphor)</i>	كافور	<i>Bozar stone</i>	باد زهر - با زهر
<i>Curcuma domestica</i>	كرم	<i>Ruby</i>	ياقوت
<i>Pandanus odoratissimus</i>	كاذي	<i>Anathyst</i>	زمرد
<i>Citrus medica</i>	ليمون	<i>Peridot = Chrysolite</i>	زبرجد
		<i>Coral</i>	بسند - مرجان
		<i>Limestone</i>	خجر النار - حجر النورة

التأريخ للعربية

أهمية ودراسة ومناهج

للكاتب محمد سالم الجرج

١ - نظرة تمهيدية :

إن أى مقارنة مهما كانت عابرة أو سريعة، يجربها دارس يدرك قدرأ كافيامن طبيعة اللغات، وظروف تطورها، بين لغتنا العربية المجيدة ، وأى لغة إنسانية أخرى، قديمة أو حديثة، راقية، — كما يقولون — أو بدائية، داخل الأسرة السامية التى تنتمى إليها لغتنا العربية أو خارجها — تنتهى دائماً إلى اقتناع هذا الدارس الذى يقوم بتلك المقارنة بأن اللغة العربية من صفات التميز، وأوضاع التفرد، ما يكاد يجعلها وحدها نوعاً قائماً بذاته بين اللغات، يختلف عنها جميعاً فى العديد من النواحي، والكثير من الأحوال.

فلغتنا العربية المجيدة تتفق مع اللغات الكلاسيكية القديمة كالإيونانية واللاتينية، بل والسكسكريتية، فى العراقة والقدم، وقد أثبت ذلك، بمنطقه المفهم، النابغة الراحل المرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد فى كتابه، « الثقافة العربية أسبق من الثقافتين اليونانية والعبرية، الذى استفتح به السلسلة الشهيرة للكتابة الثقافية التى تصدرها وزارة الثقافة المصرية . ونحن هنا

نريد ما قاله الأستاذالعقاد إيضاحاً، فنقرر أن وضع اللغة العربية كلغة مركزية داخل الأسرة السامية، أقرب فى شئون تصریفها، ونهج اشتقاقها إلى اللغة السامية الأم يؤكّد قدمها على اللغات الأكادية والبابلية والآشورية التى جاءت منها نصوص أدبية، وكتب تشريع، وملاحم وأشعار وترانيم دينية، ترجع إلى ما قبل الألف الثالثة السابقة على ميلاد السيد المسيح عليه الصلاة والسلام. ومعنى ذلك أن لغتنا العربية المجيدة كانت تستعمل على الصورة التى تعتبر لغة الشعراء الجاهلي، ولغة القرآن الكريم، امتداداً لها، وتطوراً عنها، قبل الألف الرابعة السابقة على الميلاد — حين انسلخت اللغات الأكادية والبابلية والآشورية عنها — وبدأت تخضع لدوافع تطورية عنيفة فى بيئتها الجديدة فى العراق القديم، بل إننا بهذا الاعتبار نستطيع أن نقول إن اللغات الأكادية والبابلية والآشورية ليست إلا لهجات عربية قديمة نزحت من وطنها الأصيل القديم فى الجزيرة العربية إلى بيئات جديدة فى أرض الرافدين، وتعرضت لآلوان من الصراع اللغوى

مع لغة كالسومرية لا تنتمي إلى الأسرة العربية أو السامية، وآل بها هذا الصراع — مع عوامل التطور الأخرى — إلى أن تختلف تلك اللغات عن الوضع الذي كانت عليه في الوطن الأصلي الأول . ومعنى ذلك أن تاريخ اللغة العربية يرجع إلى الوراء ألوفا من السنين قبل أن تكتب بها قصائد الشعر الجاهلي القديم، ويوحى بها القرآن الكريم، وتحزبها ذخائر الأدب والمعرفة الإنسانية على مختلف فروعها وأشكالها، وترجم إليها كنوز اللغات الأخرى على تنوع فنونها وألوانها . وهكذا كله يؤكد شبه اللغة العربية المجيدة للغات الكلاسيكية المعروفة في العراقة والقدم، وفي سعة التراث الأدبي المتوارث وراثته، بل إن العربية لتفوق اللغات الكلاسيكية الأخرى في هذا المجال .

وبينما تتشابه اللغة العربية مع اللغات الكلاسيكية القديمة كالإيونانية واللاتينية فإنها في ذات الوقت تتشابه مع اللغات المعاصرة الحديثة كاللغة الإنجليزية، أو الفرنسية، أو الألمانية، أو الروسية . فاللغة العربية كهؤلاء جميعا، لغة حضارة حية معاصرة، وأدب نشيط متجدد، فهي ما تزال مستعملة مثلما تستعمل هذه اللغات جميعا، في التأليف الأدبي، والبحث العلمي، والجهد الإعلامية، والبيانات السياسية والنشرات العسكرية، والحوار القضائي . . إلخ . جوانب استعمال اللغات الأدبية المعاصرة، مشافهة أو كتابية، ارتجالا أو تأليفا، في الجوانب التطبيقية العملية للحياة، أو النواحي الفلسفية النظرية منها . وهكذا نستطيع أن نصف لغتنا

العربية المجيدة، بأنها قديمة حديثة، أو كلاسيكية ومعاصرة، في نفس الوقت والآن .

وليس من هذا الجانب وحده تتفرد اللغة العربية بين اللغات حتى لتكاد توصف بالشئ وضده، والنعت ونقيضه . فإنها — حتى في داخل الأسرة السامية ذاتها — كثيرا ما يصدر عليها من الأوصاف والنعوت ما يبدو متضاربا متناقضا . فمن المؤلف أن تستمع إلى علماء المقارنات السامية وهم يقررون « أن اللغة العربية هي أم اللغات السامية جميعا، أو أقرب هذه اللغات إلى الأم المفقودة، وأنها بهذه المكانة أكر اللغات السامية حرصا على القديم، ومحافظة على الملاحم اللغوية الأولية، — ومثل هذا الكلام يؤكد الطبيعة المحافظة أو البدائية للغة العربية . ولكن علماء المقارنات السامية أنفسهم كثيرا ما يرددون أن « اللغة العربية هي أوسع اللغات السامية على الإطلاق في ثروتها من الألفاظ والمفردات، كما أنها أقدرها على التعبير المجرد، وأسلسها للأديب والشاعر، وأكثرها تطورا في فنون الأدب، وبراعة في الأساليب، — ومثل هذا يؤكد تطور اللغة العربية وارتقاءها وازدهارها بين أخواتها — أو بناتها ١ — من سائر اللغات السامية الأخرى . فهل اللغة العربية بدائية محافظة على القديم، أو هي متطورة قطعت من مراحل النضج والارتقاء، والتطور والازدهار، ما لم تبلغه واحدة من اللغات السامية الأخرى ؟ إن مثل هذا التعارض في وصف العربية، وما يبدو من أنه تناقض فيما يقال عن أحوالها، قد حير

الكثيرين ، حتى العلماء المتخصصين إلى حد أننا نجد عائلة متخصصة لامعة كالذكورة عائشة عبد الرحمن تنعنى على علماء الساميات (ومن بينهم إسرائيل ولفنسون) محاولاتهم ربط العربية باللغات السامية ، على نحو قد يوحى بجمود العربية أو بدائيتها بين هذه اللغات ، مع أن العربية مشهورة لها بالازدهار الأدبي بين هذه اللغات نفسها . ولذلك تدعو الذكورة عائشة عبد الرحمن في كتابها الذى ظهر مؤخرًا بعنوان « لغتنا والحياة » إلى الإعراض عن كل ما يقوله علماء الساميات من ربط بين اللغة العربية وبين هذه المجموعة من اللغات .

ولكن الأمر أهون من أن تضيق به الذكورة عائشة عبد الرحمن أو تنفر منه ؛ فالتناقض فيما يصدر عن علماء اللغات السامية خاصًا باللغة العربية شكلى أكثر منه حقيقيا ، ومظهرى أكثر منه جوهرى . ويمكن حل هذا التناقض المظهرى *apparent paradox* فى أن وصف اللغة العربية بالمحافظة والحرص على الأوضاع الأولية الأصلية يصدق عليها فى اعتبارنا ، بينما يصدق عاينها الوصف بالتقدم والازدهار والتطور والارتقاء فى اعتبار آخر . فلذى يدرس الأنماط الصرفية مثلا للغة العربية واللغات السامية ، يخرج باقتناع شديد ، وإيمان أكيد بأن اللغة العربية قد حافظت فى الأغلب على الأوضاع الأصلية للظواهر اللغوية على هذا المستوى ، بينما سبقت اللغات السامية الأخرى عاميات اللغة العربية فى تطوير هذه الأنماط وتغييرها ، وإذا كنا لا نستطيع إنكار تطور العاميات المعاصرة للغة العربية

عن هذا الوضع أو ذاك من أوضاع اللغة فى مراحلها القديمة الأقرب إلى الفصحى ، فإننا لا نستطيع بالتالى أن ننكر أن الصيغ الصرفية فى اللغات السامية الأخرى كالعبرية أو الآرامية ، التى تشابه مع نظائرها فى عاميات اللغة العربية ، أو تتجاوزها فى سلم التطور والتغير ، يتحتم أن تكون أبعد من صيغ العربية الفصحى عن الوضع اللغوى الأولى أو الأصل . فنمط صرفى مثل تفعل (*tafaʿʿala*) حين تجده فى الفصحى على هذا الوضع دون تغيير كما فى فى تكسر (*takassara*) تم تجده فى عامية كالمصرية مثلا متغيراً عن ذلك كما فى قولنا : اكسّر (*ʔikassar*) أو حتى - اكسّر (*ʔikassar*) نجزم أن وضعه فى الفصحى هو الأصل أو هو الأقرب إلى الأصل من وضعه فى العامية المصرية ، وإذا تشابه الوضع فى لغة سامية كالعبرية أو الآرامية مع الوضع فى العامية ، أو جاوزه فى التغير ، ونواحى الاختلاف ، استطعنا أن نجزم كذلك بأن هذا النمط فى العربية الفصحى وهو تفعل أكثر محافظة على الأصل من نظيره العبرى : (*hitthpaʿʿel*) ونظيره الآرامى : (*ʔippaʿʿal*) مثلا وهكذا نقبل - دون تردد - ما يقال من أن لغتنا العربية المجيدة هى أكثر اللغات السامية محافظة على الأوضاع اللغوية الأصلية ولكن النظرة السريعة إلى محيط الثروة اللفظية ، وإلى الأنماط الأدبية التى تحوزها اللغة العربية ، تؤكد طبيعة الارتقاء التطورى ، والازدهار الأدبى لهذه اللغة المجيدة عن سائر أخواتها الساميات . وهكذا يصدق أيضاً الشق الثانى من وصف اللغة العربية بالازدهار والارتقاء

ويصبح حل هذا التناقض المظهرى في وصف اللغة العربية منحصراً (في رأينا) في إضافة يسيرة، لكننا جوهرية على كل من شقي الوصف، بحيث نقول : إن اللغة العربية هي - لغوياً - أكثر اللغات السامية محافظة على الأوضاع الأولى، وإن كانت - أدبياً - أكثرها تقدماً وارتقاء.

ونستطيع أن نضيف الكثير من هذه الأوصاف المزدوجة - التي قد تبدو متناقضة - على اللغة العربية : فهي لغة كلاسيكية كاللاتينية، وهي في الوقت نفسه لغة معاصرة كالإنجليزية أو الفرنسية، وهي اللغة الأكثر محافظة بين اللغات السامية، وهي في الوقت نفسه الأكثر ازدهاراً وارتقاءً بينها جميعاً . وهي لغة قرآن ربانيّ منزل ودين سماويّ موحى، وهي في الوقت نفسه لغة حياة دنيوية عملية حافلة . بل إن هناك من يقول بأنها - في صورتها الفصحى - لغة ميتة أو كالميتة لا يتم التمكن منها إلا بالتعلم والممارسة لسنوات عديدة، بينما نجدها - في لهجاتها المعاصرة - لغة فطرية طبيعية، يتلقاها الطفل بالتلقائية عن أمه وأبيه، وأهله وسائر أفراد مجتمعه، وينمو ليستعملها بالسليقة أو الفطرة كما كان يستعمل العربي الأول صورة أخرى منها بالسليقة والفطرة أيضاً .

ولإدراك هذه الجوانب العديدة في طبيعة اللغة العربية، وفهم ما قد يبدو فيها من تضارب أو تناقض، وتفسير أسباب تميز اللغة العربية على سائر اللغات الأخرى قديماً أو حديثاً، سامياً أو آرياً، يستلزم دراسة متعمقة وافية

لتاريخ هذه اللغة المجيدة الطويل، وصمراعها العتيق مع الأيام والسنين، ومع العديد من الأجناس واللغات، وفي الكثير من الأوطان، والمختلف من الحضارات .

فمن الواجب على من يعنى بدراسة العربية دراسة تتصف بأي قدر من العمق أن يتسلح بوعى مستوعب لتأريخها الطويل . وقد ظل «التأريخ» للعربية مجالاً قليل الإغراء للباحثين والدارسين . حتى انعدم فيه الإنتاج أو قل . وقد آن الأوان لنستدرك هذا الجانب الهام . ونستكمل هذا النقص الواضح . ونقوم بالتأريخ للغتنا العربية المجيدة .

٢ - مجال التأريخ للعربية ومجالات أخرى للتأريخ الأدبي والمفوى :

وحين نقول إننا ينبغي أن نتدارس تاريخ لغتنا العربية المجيدة، أو نقوم من جديد بالتأريخ المنهجي الشامل لها، فإننا لا نقصد بذلك إلى التأريخ للأدب العربي، فقد كان ذلك ولا يزال موضع عناية فائقة، واهتمام شديد، تتدارسه كل المعاهد والجامعات، وتؤلف فيه الكتب بال عشرات بل بالمئات داخل العالم العربي وخارجه . فمخلاً عن أن تأريخ اللغة العربية يسبق للمرحلة التي حفظ لنا التاريخ نماذج من إنتاجها الأدبي بقرون طوال . ومعنى هذا أن التأريخ للأدب العربي لا يمكن أن يغنى عن التأريخ للغة العربية .

وعلى الرغم من الأهمية الشديدة للتأريخ للآداب العربي ، فليس هو ما يعنى به المتخصصون اللغويون في المقام الأول ؛ لأن مثل هؤلاء المتخصصين اللغويين يحاولون فهم طبيعة لغتهم الفهم الحق ، وتحليل ظواهرها على مختلف المستويات التحليل الصحيح . وهذا وذاك بما لا يغنى فيه كثيرا ما قد كتب في الماضي أو عساه يكتب في المستقبل عن تاريخ الأدب العربي . وهكذا يتضح لنا حتى بالنظرة السريعة ، واللمحة العاجلة ، أن تاريخ الأدب العربي قد يمثل سلاحا إضافيا لدارسى اللغة العربية ، يستعمل جنباً إلى جنب مع سلاح « التأريخ للعربية » ، ولكنه لا يمكن أن يحل محله ، ولا يجوز أن يغنى عنه .

وكذلك فإننا حين نقول « تاريخ العربية » . لا نقصد التأريخ لما كتب عن العربية من دراسات نحوية ، أو ألف حولها من بحوث لغوية ، أو عن تطور جمع مادتها في المآجم والقواميس . لأن ذلك على الرغم مما قد يفتيه من أضواء على طبيعة اللغة ، ويحققه من عرض المناهج التي اتبعت لفهم ظواهرها ، وتحليل أبنيتها وتراكيبها ، وشرح ألفاظها ومفرداتها ، وهو ما لا يفعل التأريخ للآداب العربي منه شيئا - لا يزال قاصرا عن الذي نريده وندعو إليه من وجوب للتأريخ اللغة العربية ذاتها ، تأريخا يتبعها منذ مراحل نشأتها في البداية البعيدة الموعظة في القدم (التي يرتد من أجل استقصائها إلى الوراء حتى أبعد ما تمكنت الظروف من الرجوع إلى الوراء) ثم يواصل السير معها بعد مراحل

نشأتها الأولى فيحاول التعرف على ظروف نموها وارتقائها ، وتغيرها وتطورها ، خلال ماضيها الطويل ، بمنعطياتها العديدة ، ونحلوطة استنباطها المعقدة وتحدياته الكثيرة المتلاحقة ، حتى يبلغ معها المسكنة التي استأهلت إعداد الدراسات النحوية لها ، وكتابة البحوث اللغوية عنها .

ولكننا - خلافا لما تفعل الدراسات اللغوية والنحوية بصفة عامة - لانقف في تأريخنا للعربية عند بلوغها هذا « الوضع » الذي استأهل تركيز الدراسات النحوية عليه ، وبلوغها تلك المسكنة التي استحققت تكرير البحوث اللغوية لها ، والآليف المعجمية عنها ، وإنما نمضي معها بعد ذلك ، متتبعين خطاها الواثقة عبر القرون ، وثباتها العنيد أمام عوامل الدهر وتحديات الزمان حتى نبليغ معها إلى عصرنا الحاضر ، ونرى كيف صارت من أجل بقائها وازدهارها خلال ذلك الماضي الطويل من قبل ، وكيف لا يزال هذا الصراع متصلا ومستمرا إلى الآن ، وإلى ما بعد الآن . وكيف أن هذا الصراع في الماضي والحاضر يكون هينا لينا حيننا ، ومريرا عنيدا حيننا آخر ...

وهكذا فإننا في عنايتنا بالتأريخ للعربية ، وتتبع خطاها الثابتة عبر القرون ، لانقف عند تصوير الوضع الحاضر ومشاكله ، أو الموقف المعاصر وتحدياته . وإنما ننطلق إلى ما هو أبعد من ذلك فذستعين بما نكون قد عرفناه عن ماضي العربية الطويل ، وما نكون قد أدركناه عن حاضرها المضطرب لنستشرف آفاق مستقبلها

القريب أو البعيد، ونتوقع ما عساها تقابله في هذا المستقبل من أمجاد وانتصارات ، أو تجاهاه من عواصف وأعاصير - توقعا يكون محسوبا مدروسا ، مبنيا على مقارنة النظائر الماضية من ناحية ، واستنطاق الشواهد القائمة والمؤشرات الماثلة من الناحية الأخرى . بحيث لا تندفع في التفؤل بالنسبة لمستقبل العربية ، فنغفل الحيلة والتخطيط لانطلاقها ، أو نغرق في التناوم فترتمى في أحضان الاستسلام والسلبية ، ونترك اغتسا المجيدة - كما فعلنا مرارا من قبل - تمضى حين تمضى لا بجهدنا ، ولكن على الرغم منا ، وتواجه تحدياتها لا بتوجيهنا ولكن في غفلة منها .

فإذا كان التأريخ للعربية - كما بينا - يعتنى بماضيها كله بحيث يحاول رد بداياتها الأولى إلى أبعد ما يمكن تتبع هذه البدايات، ثم يمضى معها بعد ذلك في جميع أطوار نشأتها ونموها إلى أن يبلغ بها الحاضر المعقد المتشابك فيجتهد في تحليله بأعمق ما يتأتى التحليل ، ثم يتجه بعد ذلك - بالحساب المتزن والإدراك الواعي - إلى استشراف آفاق مستقبلها ، لكي يخطط لدعم ما يتوقع في هذا المستقبل من إنجازيات ، ويتحوط لمقاومة ما يخشى فيه من سلبيات - نقول : إذا كان التأريخ للعربية هو ذلك كله ، فإنه يكون بلا شك أمرا مختلفا أشد الاختلاف عن التأريخ لنحو اللغة العربية ، أو للبحث اللغوي والنشاط المعجمي فيها .

إن التأريخ للعربية على النحو المنهجي الذي

نريده ، ونحاول التخطيط له الآن ، لا ينبغي أن ينحصر في التأريخ للأدب العربي (بالمعنى الواسع أو الضيق لكلمة الأدب) ، ولا ينبغي أن ينحصر في التأريخ لنحو اللغة العربية أو للبحث اللغوي فيها . وتاريخ العربية لا ينحصر في تاريخ مفرداتها أو المعجم التاريخي لمثلها . وتاريخ العربية ليس هو تاريخ لهجاتها وبيان الطرائق المختلفة للاستعمال اللغوي في هذه اللهجات . وتاريخ العربية ليس تاريخ أهلها والذين نطقوها أو كتبوا بها أو ترجموا منها أو ألقاها . وتاريخ العربية ليس هو تاريخ المستوى الحضاري لشعوبها أو الحصيلة الفكرية لأبنائها . وتاريخ العربية لا ينبغي أن ينحصر في تاريخ النصوص المقدسة - من قرآن كريم وحديث نبوي شريف - التي أوحيت بها ، وتركت على الإنسانيه خالد آثارها . وتاريخ العربية لا يعني التبع التاريخي لبعض ظواهر هذه اللغة أو أنماط الاستعمال فيها الخسب .

إن تاريخ العربية الذي نرجو له أن يكتب قد يلتقى في جانب أو آخر مع بعض ذلك أو كله ، ولا بد أنه سيستعين في هذا المنحى أو ذاك من مناحيه بكل ذلك أو جله . ولكن التأريخ للعربية سيكون في النهاية شيئا مختلفا عن أي واحد من ذلك ، ويختلفا عن كل ذلك . فكل هذه المجالات لا تمثل سوى دراسات جزئية متعددة ينبغي أن يستعين التأريخ للعربية بها جميعا ، ويفيد منها جميعاً لكي يأتي كاملاً شاملاً ، متصل العرى متتابع الحلقات .

* * *

٣ - بين التاريخ للعربية والتاريخ للبحث اللغوي فيها

وفي جهدنا هذا الذي نحاول فيه إبراز أهمية التاريخ للغة العربية ذاتها ، ونحدد مناهجه ، ونميز بينه وبين مجالات التاريخ اللغوي أو الأدبي الأخرى ، فإنه يهمنا هنا بصفة خاصة أن نميز تمييزاً واضحاً بين هذا الجهد المنهجي الهادف في التاريخ للعربية من ناحية ، وبين محاولات التاريخ للنحو العربي ، والبحث اللغوي في العربية من الناحية الأخرى . وبرجع هذا الحرص الشديد من جانبنا على التمييز الواضح بين هذين المجالين إلى عدد من الاعتبارات المنهجية التي نعرض أهمها فيما يلي :

أولاً : ان الخلط قد تم في الماضي بين « اللغة » من ناحية و « النحو » من الناحية الأخرى ، بصورة أدت إلى الكثير من المفاهيم الخاطئة ، والتصورات الواهمة بحيث صار الكثيرون منا يحسبون أن أي دعوة إلى تيسير النحو تعنى بالضرورة الدعوة إلى تخيير اللغة ، أو أن أي محاولة لإعادة تفسير أي ظاهرة نحوية في اللغة ، إنما هي ثورة على اللغة نفسها . وأمثلة هذا الخلط في حياتنا اللغوية كثيرة ، أوضح من أن تحتاج إلى إفاضة أو بيان . ولعل من أهم أسباب هذا الخلط في لغتنا أننا نسمح بإطلاق كلمة « اللغة » مع إرادة « علم اللغة » أو « علوم اللغة » — على حذف المضاف والاكتفاء بالمضاف إليه — وهكذا أصبح الناس يقولون « اللغة » ويقصدون بذلك — حيناً — وسيلتنا في التعبير عن الأفكار والانفعالات ، أو ما ننطقه أو نكتبه في شئون حياتنا ،

أو لحظات إلهامنا ، من وجوه التخاطب ، أو فنون الأدب . ثم يقصدون بذلك نفسه - حيناً آخر - « نحو اللغة » أو « علم اللغة » أو « معجم اللغة » . وقد أدى هذا الاشتراك اللغوي بين المدلولين إلى الخلط المعنوي والذهني بينهما ، وحسبنا هنا أن نشير إلى أن من أبرز مظاهر الخلط انتقال عدوى الحب والتقدير والغيرة من « اللغة » إلى « نحو اللغة » . حتى إن أستاذاً في جامعاتنا حين يحاول أن يذبه طلابه إلى أن النحو العربي أغفل كذا ، أو أهمل النظر في كذا ، يواجه بالطلاب ثائرين محتجين ، موضحين أن ذلك ما كان يمكن أن يفوت عبقرية اللغة العربية ، ولكن لعل كذا أو كذا — هو السبب في إهمال اللغة المظهرى لهذه الظاهرة . ويفوت هؤلاء أنه شتان بين من ينقد النحو العربي ، ومن ينقد اللغة العربية . وأن الفرق هائل بين قولنا مثلاً : « لقد أغفل نحاة العربية دراسة ظاهرة النبر » وبين قولنا : « إن اللغة العربية — لغة امرئ القيس ، والناطقة ، ولغة القرآن الكريم والحديث الشريف ، ولغة طوائف العرب في كل زمان ومكان — تخلو من النبر » .

ولا يتوقف الخلط بين « اللغة » و « النحو » عند الطلاب والدارسين ، بل يمتد ليشمل الكثيرين من العلماء والمتخصصين في القديم والحديث . فقد ادعى ابن فارس مثلاً أن علم النحو في اللغة العربية قديم كقدمها ، ومنزل كتنزيلها . ولم يشأ متخصص معاصر كالدكتور أحمد مختار عمر أن يرفض ذلك رفضاً صريحاً

— وهو ما ينبغي — فقال في كتابه « البحث اللغوي عند العرب » (ص ٦٤) : « وفي رأينا أن النحو العربي قد نشأ فناً قبل أن يكون علماً ، أى أن هذه الطرق الخاصة بالأداء في اللغة العربية قد التزمت باضطراد في تراكيبها ، وأسايلها ، ومرنت عليها ألسنة العرب ، وتمكنت من طبائعهم ، قبل أن توضع لها القواعد النحوية » . ونحن نرى في مقال الدكتور مختار من التكلف والافتعال ما لا داعي له أبداً . فنألق اللغة الطبيعية — اللغة الأولى التي يولد الطفل بين أهلها ، ويتلقاها عن أمه مع ارتضاع لبنها ، والنمو على رعايتها وحنانها — يستعملها استعمالاً فطرياً أو سليقياً ، دون حاجة إلى معرفة أى نحو — كفن أو كعلم — بينما يبدأ الجهد النحوي — حين يبدأ على الإطلاق — عند ما يتم تحليل هذا النطق الفطري ، واستنباط القواعد التي يخضع لها .

ولأن الخلط بين « اللغة » و « النحو » كثيراً ما وقع في القديم والحديث . إلى حد أن عالماً بارزاً كان فارس — وهو من هو — قد أراق إليه فإننا نخشى أشد الخشية أن يتم خلط آخر بين « تاريخ اللغة » و « تاريخ النحو » ، ولذلك فإننا نحرص أشد الحرص على التمييز الواضح بين المجالين .

ثانياً : إن عناية الباحثين والدارسين والمؤلفين قد اتجهت اتجاهها واضحا منذ القديم إلى التاريخ للنحو والدراسات اللغوية ، وتمثل ذلك في التراث الهائل الذي تحويه مكتبتنا الآن

من كتب طبقات النحاة والغويين . فضلاً عما ورد من التاريخ للنحو ، وأعلام رجاله ، وأشهر كتبه في الموسوعات ودوائر المعارف . وقد انتقلت هذه العناية بالتاريخ للنحو من القديم إلى الحديث فأصبحنا نرى تاريخ النحو ، أو تاريخ البحث اللغوي ، أو تاريخ المدارس النحوية . منها مقرر يدرس للطلاب في كثير من الجامعات والمعاهد ، كما أنجز في هذا المجال العديد من البحوث والرسائل الدرجات العلمية العليا ، وأصدرت المطابع فيه العشرات من الكتب والمؤلفات .

أما التاريخ للغة العربية على النحو الذي نتصوره وتخطط له فلم يحظ (على ما نعرف) باهتمام يذكر في القديم . وحين بدأت همم العلماء تتجه إليه في الحديث بادرهم وهم في التصور ، أو خطأ في المنهج ، أو عاجلهم الخلط بين اللغة والنحو ، فلم يقدموا في تاريخ اللغة العربية ما يروى ظمناً أو يشفى غليلاً ، ونحن نعرض هنا لأربع دراسات معاصرة في تاريخ العربية لندري كيف بعدت عن الهدف المقصود .

الدراسة الأولى : أخرجها الأب أنستاس ماري الكرملي بعنوان « نشوء اللغة ونموها واكتناها » المطبعة المصرية بالقاهرة ١٩٣٨ — وقد يحسب من يطل على العنوان أن الكتاب هو غاية المريد في التاريخ للعربية في جميع مراحل حياتها ، تأريخها منهجياً . ولكننا لا نلبث حين نتصفح الكتاب أن ندرك بعده عن المطلوب تماماً . ولنقرأ بعض ما كتبه المؤلف في تصدير

كتاباه لنعلم أنه يمضى فى واد ، وما يريد المؤرخ
للعربية يقع فى واد آخر مختلف عنه كل الاختلاف .
يقول المؤلف :

هذا بحث آخرى . جريت فيه على الأسلوب
الحديث ، تمحيصا للحقيقة ، ودفاعا عن اللغة
المضربة ، وإيضاحا لما فيها من دقات الأوضاع
وخفايا الأسرار ، وغوامض الحروف
وخمائنصها ، وبدائع الصيغ وأوزانها وما فيها
من مختلفات لغى القبائل متوقعا به البلوغ إلى
الحق ، غير مبتغ أجرا ولا شكورا ، إنما كل
أمنيى خدمة العربية وحمل أبنائها على السير فى
هذا المنهج . . . وهكذا لا يثل الكتاب تأريخا
منهجيا للغة العربية ، وإن من بعض جوانب
التطور اللغوى فيها تكوين الجذور اللغوية
وكيف بدأت ثنائية ثم ثلثت ، ثم رבעت ،
أو خمست . . . والمقابلة بين الألفاظ العربية
ونظائرها فى الأسرة السامية أو الهندو - أوروبية
ولا يمس المؤلف ما يمكن أن يسمى تأريخا
للعربية إلا فى صفحة ١٠٦ من كتابه حين
يتحدث فجأة عن بلوغ العربية عمر السكولة -
والغريب أنه يعنى به اكتمال قواها الداخلية
والخارجية - وكأنما يرادف بين الاكتمال
والاكتمال - فيقول : . . . فقد مرت مئات
من السنين ، وبلغ المتكلمون كل غاية ومدى ،
حتى لم يبق لهم إلا أمر واحد ، هو الاحتفاظ
بما وقع فى أيديهم ، وألا يساء التصرف فيه .

ويمضى المؤلف فى بيان ما اكتمل للعربية
عند ذلك من أوزان ، وما ظهر فيها من إبداع
برت به اللغات الأخرى حتى من بنات أمها

كالعربية والآرامية ونحن لانستطيع أن نعتبر
مثل ذلك بحال تأريخا منهجيا للغة العربية ، رغم
صراحة الصلة بين عنوان الكتاب وبين هذا
المجال المنشود .

الدراسة الثانية : أخرجها فضيلة الأستاذ
الأبى المرحوم الشيخ محمد الخضر حسين شيخ
الجامع الأزهر . وعضو مجمعى القاهرة ودمشق ،
فى كتاب اسمه « دراسات فى العربية وتاريخها »
طبعة ثانية ، مكتبة دار الفتح بدمشق ١٩٦٠ -
ويضم دراسة مستقلة أسمها المؤلف « فى حياة
اللغة العربية » . والمطلع على العنوان العام لهذا
الكتاب ، وعلى عنوان هذه الدراسة المستقلة قد
يأمل أن يجد فيها تأريخا منهجيا للغة العربية ،
ولكنه يرتد حين يقرأ صفحات الكتاب -
على ثراء ما فيها - بقدر كبير من الشعور بالخيبة
لعدم عبوره على ضالته المنشودة وهى التأريخ
للعربية . إن أبحاث الكتاب تنحصر فى : القياس
فى اللغة - حياة اللغة - الاستشهاد بالحديث
التضمنين - تيسير وضع المصطلحات الطبية
وتوحيدها - حول تبسيط قواعد النحو والصرف
والرد عليها - الإمتاع بما يتوقف تأنيته على
السمع ، وهى فصول قد يتصل بعضها بتاريخ
العربية ، ولكنها لا يمكن أن تعتبر دراسة
موضوعية منهجية لهذا المجال الهام من دراسة
اللغة العربية .

أما الدراسة المستقلة وهى « حياة اللغة
العربية » التى تبدأ وحدها بدسمة ومقدمة يقول
يقول فيها المؤلف : « فالغرض إنما هو البحث

عن حال اللغة في حد نفسها ، من جهة أطوارها ومحكم وضعها ، واتساع نطاقها ، وارتقاءها مع المدنية - فإنك لا تكاد تقع في صفحاتها العديدة على ما يمكن أن تعتبره تاريخاً للعربية إلا على سطور محدودة : تقع في ص ١٢٠ حينما يقفز المؤلف في تاريخه للغة من عهد سام بن نوح إلى عصر عكاظ والناطقة الذيباني فيها لا يبلغ سطور صفحة واحدة . ثم في ص ١٥٥ حين يوضح المؤلف وجوه ارتقاء اللغة مع المدنية ، وتجاوبها مع التطورات الحضارية ، بوسائل محددة كاتراض الألفاظ وتعريب المصطلحات ونحو ذلك .

وفيما عدا ذلك فإن كتاب أستاذنا الجليل الشيخ الخضر لا يقدم علاجاً منهجياً للتأريخ للمرية ، ولا مادة كافية يستطيع أن يستعين بها من يهدف إلى القيام بمثل هذا العلاج .

الدراسة الثالثة : أخرجها المؤلف الجواد المرحوم جرجى زيدان بعنوان « اللغة كائن حي » الذي أصدرته دار الهلال بتقديم طويل للمرحوم الدكتور مراد كامل ، والواضح لمن يفحص هذه الدراسة - التي يتضح من عنوانها أنها تأريخ لنشأة اللغة ونموها وارتقاءها ، كما يؤرخ للكائن الحي - أن تصور مؤلفاتها للتأريخ للغة ، أوسع مما شملته مادة هذه الدراسة .

فالتأريخ للغة في نظر المرحوم جرجى زيدان - كما يقرر في مقدمته لهذا الكتاب - لا تقتصر على تناول النظر في ألفاظ اللغة وتراكيبها بعد تمام تكوينها ، بحيث يبحث

فيها طرأ عليها من التغيير بالتجدد أو الدور... مع قيام الأحوال التي دعت إلى دور القديم وتولد الجديد - وإنما يتناول البحث في تاريخ اللغة أيضاً :

١ - النظر في نشأتها منذ تكونها مع ما مر عليها من الأحوال قبل زمن التاريخ ، كتكون الأفعال والأسماء والحروف وتولد صيغ الاشتقاق وأساليب التعبير ونحو ذلك .

٢ - النظر فيما طرأ على اللغة من التأثيرات الخارجية بعد اختلاط أصحابها بالأمم الأخرى ، واكتسابها من لغاتهم ألفاظاً وتعابير جديدة ، كما يقتبس أهلها من عادات تلك الأمم ، وأخلاقهم وآدابهم ، وما يرافق ذلك من تنوع معاني الألفاظ بتنوع الأحوال ، مع حدوث صيغ جديدة ، وألفاظ جديدة .

٣ - النظر في تاريخ ما حوته اللغة من المعارف والعلوم والآداب .

وجميل من جرجى زيدان أن يعترف - بعد بيان هذه الجوانب الأساسية التي ينبغي أن يغطيها أي تأريخ شامل للغة العربية - بأنه ليس في وسعه في ذلك الكتاب أن يدرس تاريخ العربية على هذا النحو من الاتساع والشمول . ولذلك فإنه سيقصر على تأريخ العربية في الدور الثاني من هذه الأدوار الثلاثة ، وهو الذي يعنى بالتأريخ لألفاظ العربية وتراكيبها بعد تكوينها وبالفعل جاء هذا الكتاب لجرجى زيدان ، محاولة للتأريخ للألفاظ العربية في مختلف العصور ،

ابتداء من العصر الجاهلي ، وبيان ما اقترضته العربية من غيرها من اللغات ، سواء من داخل الأسرة السامية أو خارجها ، وهكذا فإننا لا نستطيع اعتبار هذه الدراسة لجرجى زيدان تأريخاً للغة العربية ، بقدر ما هي محاولة لتتبع ظاهرة التعريب في مختلف العصور . وحتى في هذا المجال الضيق فإننا نأخذ على هذه الدراسة أمرين :

الاول : عدم إيضاح الوسيلة العلمية المتبعة في التمييز بين ما يكون مشتركاً من الألفاظ بين اللغة العربية وأخواتها السامية منذ الأصل والابتداء من ناحية ، وما تكون العربية قد اقتترضته أو عربته من هذه اللغات من الناحية الأخرى . فمجرد التقارب اللفظي والمعنوي لا يكفي دليلاً على الاقتراض .

الثاني : عدم إيضاح الوسيلة التاريخية المتبعة التي مكنت المؤلف من تحديد عصر دخول هذا اللفظ أو ذاك إلى العربية من لغة أخرى . فكيف استطاع المؤلف مثلاً أن يحدد أن لفظاً بالذات قد عرب منذ الجاهلية ، أو في عصر لاحق من العصور الإسلامية حتى العصر الحديث ؟

والكنا مع ذلك نذكر هذه الدراسة للرحم جرجى زيدان . فهي محاولة جادة لتغطية جانب محدد من التأريخ للعربية ، هو التأريخ لمفرداتها ، والمؤلف بسعة أفقه يعرف أن مجال التأريخ للعربية أوسع من هذا المجال . بل إنه ليلبذولنا أن تصور المؤلف لمجال تأريخ العربية أوسع من تصور الدكتور مراد كامل الذي قدم الكتاب ، والذي ركز على الحاجة إلى المعجم التأريخي للغة ، حتى لسكانه حسب

أن التأريخ للغة ليس إلا وضع معجم تأريخي لألفاظها ، فيقول الدكتور مراد في مقدمته (ص ١٧) : « ومن هذا نرى أن النقص في دراسة تاريخ اللغة العربية واضح ، إذاً فإننا بين ما تناولته كتب اللغة في الواقع ، وما كان ينبغي أن نتناوله ... فهمة العالم اللغوي أن يحصر الألفاظ ويجمعها ، كل كلمة على حدة . عن أصلها واشتقاقها ، وعن درجة قدمها ، وعن وجودها في اللغة العربية وحدها ، أو اشتراكها فيها مع أخواتها السامية كلها أو بعضها ، وعن مصدرها إذا كانت دخيلة أو مبتكرة أو مولدة ... ومن تغير شكلها أو معناها وبهذا يكون لكل كلمة في اللغة تاريخ وترجمة لحياتها . ويتكون المعجم من هذه الكلمات وتواريخها » . ولا يشير الدكتور مراد كامل إلى أي جانب آخر من جوانب التأريخ للغة وهكذا تبقى هذه الدراسة لجرجى زيدان ومقدمتها المراد كامل محدودة النفع . قليلة الجدوى لمن يريد أن يكتب تاريخاً شاملاً منهجياً للغة العربية .

الدراسة الرابعة . أصدرها الدكتور محمود حجازي في الكتاب رقم ١٩٧ من سلسلة المكتبة الثقافية التي تصدرها وزارة الثقافة المصرية بعنوان « اللغة العربية عبر القرون » ، — يناير ١٩٦٨ — وقد يخال من يهتم بدراسة تاريخ اللغة العربية حين يطالع عنوان هذا الكتاب أنه قد وقع على طلبته من العرض المنهجي للتأريخ لأطوار العربية منذ مهبها الأول إلى عصورها الأدبية المشرقة ، ثم إلى حاضرها المسكين ، بل ومستقبلها الزاهر (إن شاء الله) . ولكن مرة أخرى يحس المعنى بالدراسة المنهجية لتأريخ العربية

بشيء من خيبة الأمل حين ينتهي من مطالعة صفحات هذا الكتيب . ولا بد أن نشأ على صراحة المؤلف وصدقه حين يقول في مقدمته : « هذه محاولة متواضعة لرسم القسبات البارزة في تاريخ اللغة العربية في رحلتها الحافلة عبر القرون . وهذه الصفحات عرض موجز لهذا الموضوع الزاخر بالصعاب المنهجية والقضايا العلمية . وفيها ثغرات وجوانب قصور تعكس قلة الأبحاث الجزئية في الموضوعات قيد البحث . ولكنني آمل أن يجد القارئ الكريم فيها ما ينشده من الفكرة الشاملة ، والعرض العلمي المبسط . »

والحق أن القارئ المنصف ، المعنى بتاريخ العربية قد يجد في الفصول العشرة التي يضمها هذا الكتيب حلقات من تاريخ العربية منشورة نثراً غير متصل أو مترابط . إن الكتاب لا يقدم عرضاً منهجياً متصلاً لتاريخ العربية حدثت فيه بعض الثغرات ، وإنما هو حلقات منفصلة قد تضيق إلى حد ما من الاتساع الخفيف للثغرات القائمة في تاريخ العربية ، ولكن تبقى تلك الثغرات واسعة رهيبة بين كل حلقة وأخرى . هذا فضلاً عن أن الكتاب لم يبدأ بمقدمة توضح خطته ، ولم ينته بخاتمة تلخص نتائجه ، ولم يعط أي قوائم بمصادر يكون المؤلف قد استعان بها . ليستطيع الدارسون من بعده استشارتها . وهذه كلها نواحي قصور لا يبررها صدور الكتاب في سلسلة للثقافة الشعبية ، لأن المفروض أن المنهجية في العرض تجعل المتابعة والفهم أكثر يسراً وأقل عناء . فكلما قلت خبرة القارئ وضافت حدود معرفته وجب على المؤلف

أن يبذل جهداً أكبر في الالتزام بالمنهجية ، والتتابع المنطقي ، والربط بين النتائج ومقدماتها . وليس النكر .

وعلى الرغم من بعد هذا الكتيب القيم عن تحقيق ما نبتغيه من تقديم دراسة منهجية منسقة ، مشكلة الحلقات لتاريخ اللغة العربية فإنه يأتي أقرب النماذج التي عرضناها إلى تحقيق ما نريد ، وإن كان لا ينهض لسداد الحاجة القائمة .

ولعلنا بعد هذا الغرض الهادي لتلك الدراسات الحديثة في مجال التاريخ للعربية تلمس صدق ما قررناه من أن مجال التاريخ للغة العربية على خلاف مجال التاريخ للنحو العربي ، قد أهمل إهمالاً يكاد يكون تاماً في القديم ، كما اضطربت الدراسات المحدودة التي اتجهت إليه في الحديث ، فقصرت عن بلوغ الغاية وتحقيق المراد .

ثانياً : إن مجال التاريخ للغة يختلف اختلافاً كبيراً عن مجال التاريخ لنحوها أو للبحث اللغوي فيها ، فمجال التاريخ للغة أوسع زماناً ومكاناً ، وأكثر بالبشر احتشاداً من مجال التاريخ لنحوها بكثير .

أما في مجال الزمان فحسبنا أن ندرك أن التاريخ يحاول أن يرجع إلى الوراء حتى يصل إلى أقدم ناطق يمكن الرجوع إليه يكون قد استعمل هذه اللغة في صورتها الحالية أو في أي صورة يمكن أن تكون الصورة الحالية تطورا عنها . وامتدادا لها . بينما لا يرجع تاريخ البحث اللغوي

إلا إلى أقدم نحوى ، أو باحث لغوى ، يكون قد جعل هذه اللغة مادة لدراسته وتحليله ، فأول أن يصف عناصرها ، ويحلل تراكيبها ، ويجمع مادتها ، ويستقرئها ويستنبط قواعدها التي تخضع لها . والفرق الزمني بين أقدم ناطق باللغة ، وأول باحث لغوى لها ، قد يكون مئات أو ألوفاً من السنين . فنحن نعلم — أو ينبغي أن نعلم — أن اللغة قد تمضى عليها مراحل طويلة من الزمان ، وتجتاز العديد المتتابع من القرون ، يستعملها أهلها دون أن يفكر أحد في تحليلها أو التعميد لها . بل إن هناك في العالم في وقتنا الحاضر المئات من اللغات التي يستعملها أصحابها منذ كان آباؤهم وأجدادهم وجود على هذه الأرض . وقد يرتد ذلك إلى عصور ضاربة في أغوار ما قبل التاريخ . ولم تقم حتى الآن لهذه اللغات دراسة لغوية ، ولم يوضع لها بعد أى نحو . واهل مثل ذلك الواقع أن يوضح الفرق في المجال الزمني بين « التاريخ » للغة ، من ناحية ، و « التاريخ » لنحوها ، من الناحية الأخرى .

إن تاريخنا للغة العربية يجب أن يبدأ من حيث نستطيع أن نضع يدينا على أول مجموعة بشرية تكون قد أقامت في جزيرة العرب ، ونطقت بلغة عربية ، حتى ولو لم تكن هذه الجماعة قد عرفت بعد باسم العرب ، وحتى ولو لم تكن اللغة التي كانوا ينطقونها قد أطلق عليها حينذاك اسم « العربية » . ولا يهتم أن تكون اللغة التي نطق بها أولئك القوم شديدة الشبه ، أو

قوية التماثل بالعربية التي عرفناها في عصورها التاريخية المتأخرة . بل يكفي أن يكون بينهما من الشبه والتماثل ما يتيح للدارس والباحث أن يتلمس خطوط التطور بين المرحلتين السابقة واللاحقة ، ووجوه العلائق بين الوضعين الأقدم والأحدث . وإذا ما قبلنا حقيقة أن التاريخ للعربية يبدأ — أو ينبغي أن يبدأ — من تلك البداية الحقيقية ، وأدركنا أن التاريخ للبحث اللغوى عند العرب لا يستطيع أن يبدأ إلا من العصر اللاحق لظهور الإسلام عندما دعت الظروف التاريخية المعروفة إلى ظهور رجال يهتمون بدراسة اللغة العربية والتعميد لها ، كعليّ ابن أبي طالب (رضى الله عنه) وأبو الأسود الدؤلى — على احتمال — أو كالحليل وسيبويه ومعاصريهم وتلاميذهم من الباحثين والدارسين بقدر كبير من اليقين — فإننا نستطيع أن ندرك الفرق الشاسع في المجال الزمني بين التاريخ للغة من ناحية ، والتاريخ لنحوها والبحث اللغوى فيها من الناحية الأخرى .

والفرق في مجال المكان بين التاريخ للغة والتاريخ لنحوها لا يقل ضخامة أو اتساعاً عن الفرق في مجال الزمان . فالمؤرخ للغة لابد أن يمتحن معها ويتبع خطاها إلى أى مكان تكون قد بلغت ، وأى رقعة حدث أن وصلتها ، واستعملت فيها . فالمؤرخ المنهجى للغة لا يتنعم بالسمعى ورامها في العواصم السياسية أو الثقافية ، أو في مراكز التدريس والبحث ، أو في مقار

الحكم والسلطان ، أو في دواوين الإدارة ، أو أسواق التجارة ، أو أما كن التجمع الزراعي أو الصناعي ، في هذا أو ذاك ، لأن المؤرخ للغة يعلم أن كل ناطق فطري باللغة حجة فيها ، وأن عليه أن يقتفي آثار الناطقين بها جميعا حيث يوجدون ، وأينما يذهبون ، حتى في الغيافي والمصحراء والجوع والكفور ، والقري والساكن ، بل وفي البر والبحر ، وفي القارة والجزيرة — بحيث لا يهمل مكانا استعملت فيه اللغة دون أن يخطيه ، ولا يغفل رقعة دارت فيها دون أن يأخذها في الاعتبار .

أما المؤرخ للبحث اللغوي فيجب نشاطه اللغوي على مراكز التجمع الثقافي والإشباع الفكري ، والمؤسسات التربوية . فهو يتجاهل الملايين من الناطقين باللغة في الألوف من البقاع والأماكن التي لم يظهر فيها عالم نحوي ، أو يبرز بين جنباتها باحث لغوي ، ليقتصر نفسه على الآحاد من العلماء والباحثين الذين عنوا بمداينة نحو اللغة ، أو قاموا بالبحث اللغوي فيها . وهؤلاء عادة يستقرون في العواصم الثقافية ، ويتركزون في المؤسسات التربوية والتعليمية . ولذلك لا نعجب إذا وجدنا المؤرخين للنحو العربي يتنبهون أنشطة البحث اللغوي في مراكز معدودة ، وعواصم محدودة . طالما أن الذي يحدث هو أن العالم اللغوي (مهما انتهى في الأصل إلى قرية نائية أو بادية صحيقة) تحمله الرغبة في نشر علمه ، ولقاء العدد الأكبر من تلاميذه ، وتحقيق ذاته ، وفي الحصول على

الجزء المادي والأدبي لجهوده إلى هجرة وطنه الأول ، وترك مسقط رأسه الأصيل ، والاستقرار في حاضرة للعلم والمدارس ومركز للإشباع والثقيف . ونظرة سريعة إلى واحد من أحدث كتب التأريخ للنحو العربي ككتاب الدكتور شوقي ضيف عن « المدارس النحوية » (دار المعارف بمصر ١٩٧٢) تؤكد صدق ما نقول . فهذا الكتاب الضاني يؤرخ للمدارس النحوية في المراكز التالية : البصرة - الكوفة - بغداد - الأندلس (وبخاصة في قرطبة) - مصر (وبخاصة في القاهرة) . وهكذا فإن المجال المنكفي للمؤرخ للنحو العربي قد لا يتجاوز عددا محدودا من الحواضر ، بينما يتحتم على مؤرخ اللغة أن يتبعها في كل بقعة استعملت فيها مهما كانت منعزلة أو موحشة ، وفي كل رقعة وصلت إليها مهما كانت بعيدة أو نائية .

يبقى علينا أن نسجل الفرق الشاسع في العنصر البشري الذي يتحتم على كل من مؤرخ اللغة ومؤرخ النحو ملاحظة نشاطه . وتسجيل إنتاجه . فالتأريخ للغة يعني بنشاط كل ناطق طبيعي لها منذ كانت ، إلى الآن ، سواء تمثل هذا النشاط في حوار منطوق ، أو أثر مكتوب . إن على مؤرخ اللغة بدسالة أن يحاول التعرف على كيفية جريان اللغة على لسان كل ناطق طبيعي بها أو قلبه ، مهما كانت حرفته ، ودرجة ثقافته . وبنيته وعصره ، وعمره الزمني ، ومستواه العقلي والاجتماعي ، ودينه ولونه . فكل واحد من ملايين الملايين الذين استعملوا اللغة على أنها

لغتهم الأم جدير - إذا ما توصلنا إلى كيفية استعماله للغة - أن يأخذ حظه من اهتمام من يؤرخ لتلك اللغة . إذ أن طريقة استعمال كل واحد من هؤلاء الملايين أو البلايين هي التي تحدد السمات العامة للغة التي وُرخ لها ، والتي تميزها عن غيرها ؛ كما أنها هي تميز بين المختلف من لهجاتها ، وتبرز الصفات التي تحدد ظروف تطورها ، والأسباب التي تؤدي إلى تفاوت أنماطها ومستوياتها الأدبية .

بل إن المؤرخ للغة لا يكتفى بالاهتمام بالنشاط اللغوي المنطوق أو المكتوب لأبناء اللغة الطبيعيين ، فكثيراً ما يتجاوز اهتمامه ذلك إلى ملاحظة كيفية استعمال اللغة على لسان غير أبنائها من يتلقونها بالتعلم ، ويستعملونها كلغة ثانية أو ثالثة . وذلك لأن مثل هؤلاء قد يتركون آثارهم الباقية على اللغة مما لا يستطيع أن يتجاهله من وُرخ لأحوال اللغة في عصورها المختلفة ، ومراحلها المتتالية .

وأبعد من هذا ، فإن على المؤرخ أن يلاحظ استعمال أبنائها لغيرها من اللغات ، فالكثير من خصائصها قد يتكشف في تلك الحالات بصورة أجلى ، ويبرز على نسق أوضح ، وذلك عند مقارنة العسر أو اليسر الذي يلقاه أبناء اللغة التي وُرخ لها عند استعمال لغة أخرى سواها ، أو محاولة لي لسانهم بنظام لغوي مخالف لها . فالواحد ما عندما يستعمل في التفكير أدواته اللغوية الطبيعية كاللغة العربية ، ثم يحاول التعبير بلغة مكتسبة كاللغة الإنجليزية ، فإن قدراً من الانحرافات في استعماله للغة الإنجليزية يكون

مردّه إلى تفكيره بالعربية ، وقدراً آخر إلى العادات النطقية للعربية التي ترسخت عنده وتمسكت منه . ودراسة هذه الانحرافات دراسة علمية تقود إلى إدراك أدق النواحي للخلاف بين اللغتين ، مما يعتبر جزءاً من تاريخهما معاً .

وهكذا يتسع ميدان العنصر البشري أمام المؤرخ للغة اتساعاً شديداً بحيث لا يستطيع المؤرخ أن يكتفى بمراقبة استعمال أبناء اللغة الطبيعيين لها ؛ بل تشمل ملاحظاته استعمال غير أبنائها الطبيعيين لها أيضاً ، كما تشمل استعمال أبنائها الطبيعيين لغيرها من اللغات .

فإذا نحن قارنا هذا بنشاط العنصر البشري الذي تلزم ملاحظته في مجال التأريخ للغة ضمن العدد إلى كسور ، وتضامات النسبة إلى جزء من الآلاف أو من الملايين . فالعنصر البشري في مجال مؤرخ البحث اللغوي مقصور على العلماء والباحثين الذين عنوا بدراسة اللغة ، والتفكير لها ، حتى ولو لم يجيدوا نطقها ، أو يكونوا من أبنائها . ومثل هؤلاء في تاريخ البحث اللغوي لأي لغة قد يتجاوزون العشرات أو المئات ، أو يبلغون الآلاف ، ولكن من المستبعد جداً أن يعدوا بالملايين أو البلايين التي يمكن أن يبلغها العنصر البشري الناطق باللغة ، والذي يتيم أن يؤخذ في الاعتبار عدد التأريخ للغة على مر العصور .

كانت هذه هي الأسباب الثلاثة الرئيسية التي تدعونا إلى التمييز الواضح بين مجال التأريخ للغة

من ناحية ، ومجال التاريخ للبحث اللغوي فيها
من الناحية الأخرى .

٤ - لماذا نحتاج الى التاريخ للعربية ؟

لعله من الحق علينا أن نتساءل عن الدوافع
الى التاريخ للعربية ، ولعل من أقوى مبررات
توجيه مثل هذا التساؤل ما يبدو من أن علماء
العربية الاقدمين لم يوجهوه . أما لماذا لم يوجه
علمائنا الاقدمون مثل هذا التساؤل ولم يفكروا
— كما نفعل نحن الآن — في وجوب تسجيل تاريخ
العربية ، فإننا نرى لذلك أسبابا ثلاثة رئيسية :

السبب الأول : هو الربط بين اللغة العربية
المجيدة والقرآن الكريم ، ثم التكريم والتقديس
للذان نالتهما العربية من جراء هذا الربط ،
وكما تعمق الاعتقاد بأن القرآن الكريم هو كلام
الله ، اشتد الإيمان بأن لغته (وهى اللغة العربية)
إنما هى لغة السماء، اختص الله بها العرب ، ومنحها
لهم ، وميزهم بها عن سائر شعوب الأرض . فى جميع
حقب التاريخ .

وما دامت العربية هى لغة القرآن ، ولغة
السماء ، فكيف يتم التاريخ لها أو تتبع أطوارها ،
أو بيان انشقاقها عن غيرها من أخواتها فى
الأسرة السامية ، أو اكتشاف التطور الطبيعى فى
ظواهرها ، والنمو التدريجى فى مادتها ومفرداتها؟
لقد أدى ارتباط اللغة العربية المجيدة بالقرآن
الكريم الى تصور أن اللغة العربية خلقت منذ
البداية كاملة ، ثم منحها السماء للعرب على هذا
الوضع من الكمال قبيل الإسلام بفترة وجيزة من

الوقت ، تهيؤا لنزول الوحي بها ، وصوغ
القرآن الكريم فى كلماتها وأساليبها .

ثم لما صارت هذه اللغة التى اصطفتها العناية
الإلهية لينزل بها القرآن لغة الشعب العربى ،
وبدأت تتعرض بعد الإسلام لما تتعرض له
سائر اللغات البشرية من التغير والتطور ، وبدأ
الإحساس بالخوف أن يبعد بها ذلك التطور عن
الوضع الذى كانت عليه حينما أوحى بها القرآن
الكريم — رفض عشاق العربية ومحبوها ،
وعلمائها ودارسوها الاعتراف بأى من هذا
التحريف أو التعديل ، أو قبول شئ من ذلك
التغيير أو التبديل . وإنما أصرروا على تجميد
لغة العربية المجيدة على الوضع الذى نزل القرآن
الكريم بها عليه ، والحال التى أهدتها السماء
للعرب فيها . وما دامت العربية التى تحظى
بالإجلال من الناس والاحترام هى تلك التى
منحتها السماء للعرب قبيل الإسلام بما لا يزيد
كثيرا عن قرن من الزمان ، والتى لم يمكن صونها
على حالها بعد ظهور الإسلام بما لا يزيد كثيرا
عن قرن من الزمان — فإنها لا تحتاج أى تاريخ
يغطى حياتها ، ويتتبع أطوارها فى مثل هذا المدى
القصير ، الذى لا يمكن أن يدع لوقوع تطورات
هائلة ، أو حدوث تغير كبير .

السبب الثانى : هو أن اتجاه الدراسات

الأولى للغة كان تعليميا فى معظم الأحوال .
والفائدة التعليمية أو التطبيقية التى ترتب على
التاريخ للغة تبدو ضئيلة أو منعدمة؛ إذ أن معرفة
تاريخ اللغة لا يمكن أن يقرم للنالح بها لسانا،

أو ينسر عليه حين استعمالها بياناً ، وهذا على خلاف دراسة نحو اللغة أو صرفها ، أو بلاغتها أو عروضها ، أو معجمها أو أدبها . ولقد يقال إن التأريخ لنحو اللغة حظى بالعناية والاهتمام منذ القديم على الرغم من ضآلة الغاية التعليمية فيه ولكننا نقول في الرد على ذلك بأن النحو وجد أوليقيم اللسان ، وينسر التمكن من اللغة ، فلما تراكت مادته ، وتكاثر علماءؤه ، وتعددت كتبه وجدت الأجيال اللاحقة من ذلك تراثا ضخمها تحوطه هالة كبيرة من التقدير والإجلال . فاتخذت من ذلك التراث مادة لكتابة تاريخ النحو وطبقات النحاة . أما التأريخ للغة نفسها فقد انصرف عنه الأولون ؛ لأن اللغة لم يكن لها في نظرهم بعد أي تاريخ ؛ ولأن تسجيل أي تاريخ لها ما كان يمكن أن يؤدي إلى غاية عملية أو يحقق فائدة تعليمية . ثم انصرف عنه المتأخرون حتى عصرنا الحاضر ؛ لأن الأولين لم يتركوا لهم فيه تراثا ، أو يمهّدوا لهم إليه طريقا

السبب الثالث : هو أن التصورات المتاحة لنا عن الظاهرة اللغوية ، والتي تحفزنا إلى التأريخ للغة ، لم تكن متاحة للأقدمين ، أو لم تتجه إليها في معظم الأحوال أفكارهم . أو تذبذبهم عقولهم . فتصورنا مثلاً عن انتهاء اللغات الإنسانية إلى سلالات وأسر وفصائل ومجموعات أمر لم تتمثله الأقدمون على نحو ما تتمثله نحن الآن ، وكذلك فإن حتمية التطور اللغوي وضرورة تفتت اللغات إلى لهجات ثم تباعد اللهجات بالتدريج حتى يتعذر تبادل التفاهم بينها

فتصبح لغات ، ثم تتعرض هذه اللغات مرة أخرى للتفتت إلى لهجات . . . وهكذا دواليك . أمر آخر لا نعتقد أن علماءنا الأقدمين قد أدركوه أو استوعبوه . وبالإضافة إلى هذا وذاك فإن مشاكل الصراع اللغوي بين العديد من اللغات ، وآثاره من الاطراف المشتركة فيه سواء خرجت منه ظافرة منصوره ؛ أو متهالكة مقهورة تمثل أمراً ثالثاً نظن أن الأقدمين لم يتصوروا أبعاده أو يقدروا آماده .

وكل هذه الأمور ونحوها هي التي يستفهم حسن إدراكها مهمة المؤرخ للغة ويجذب انتباهه وبدون الوعي الكامل لمثل هذه الموضوعات والمسائل لا يمكن أن يكتب للغة تاريخ موضوعي منهجي مقنع .

* * *

كانت هذه في نظرنا هي الأسباب الثلاثة الرئيسية ، التي صرفت المتقدمين من علماء العربية والمتأخرين منهم عن التأريخ للعربية ، حتى مشارف نهضة الثقافة المعاصرة ، ويذبح أن يؤدي زوال تلك الأسباب إلى إزالة العقبات التي عوقت ظهور التأريخ المنهجي للغة العربية حتى الآن . وليس هناك من شك في زوال الأسباب الثلاثة لسابقة الذكر من آفاقنا الثقافية هذه الأيام

فيما النسبة للسبب الأول : فإننا على الرغم من إيماننا بالنصر الإلهي في القرآن الكريم ، تؤكد الطبيعة البشرية في اللغة العربية . إن اللغة

العربية تمثل في نظرنا لغة قد ميزتها العناية الإلهية حين اختارتها لتكون لغة القرآن الكريم ولسان خاتم الأنبياء ، والوسيلة التعبيرية للتشريع الإسلامى . ولكن ذلك كله لا يخرج اللغة العربية عن كونها لغة إنسانية ، كسائر اللغات الإنسانية الأخرى . ومن ثم فهي تخضع لما تخضع له تلك اللغات الأخرى من سنن النشوء والتطور وتعرض لما يتعرض له جميعا من أحوال التبدل والتغير ، وينبنى على هذا أن تاريخ العربية لا يمكن أن ينحصر فى مدى لا يزيد عن قرن واحد قبل ظهور الإسلام ، وما لا يزيد كثيرا عن قرن آخر من ظهور الإسلام وإنما يمتد هذا التاريخ فيرجع إلى الوراء ، حتى يباغ - إن استطعنا - جدنا الأول آدم وجدتنا الأولى حواء ، ثم تتسابع حلقاته وتتصل ، حتى تبلغ الآن ، وما يحس بعد الآن من قابل الأزمان .

وبالنسبة للسبب الثانى : فإننا لم نعد نقف على ما نتدارسه عن لغتنا العربية على ما تكون له فائدة تطبيقية ، أو غاية تعليمية . وإنما نسعى جاهدين أن نفهم كل شئ عن العربية ، سواء أفاد مباشرة فى تفسير تعليمها أم لم يفد ، لأننا نؤمن بوجود الفهم العلمى السليم لجميع جوانب الظاهرة اللغوية . والتاريخ المنهجى للغة من خير ما يعين على بلوغ ذلك الفهم . ولقد أثبتت التجربة أنه كلما زاد فهم الإنسان لظاهرة ما ، زادت قدرته على شرحها وتعليمها ، واللغة لا تمثل استثناء من هذه القاعدة . ومعنى ذلك أن حسن فهمنا للظاهرة اللغوية يعنى زيادة قدرتنا على تعليم اللغة . وهكذا فإن التاريخ المنهجى للغة العربية

والذى يزيد من فهمنا لطبيعة اللغة - يمكن أن تكون له فوائد عملية وتعليمية .

وبالنسبة للسبب الثالث : فإننا نستمتع الآن بما لم يتوفر للسابقين من دارسى اللغة العربية من الاطلاع على حصيلة الدراسات العصرية للظاهرة اللغوية . وهذه التصورات العلمية الجديدة فى المجال اللغوى تؤكد أن لكل لغة تاريخا ، وأنه ينبغي لفهم طبيعة أى لغة معرفة تاريخها ما أمكن . ولهذا فإننا ندعو إلى العناية بالتأريخ للغتنا العربية .

* * *

هل ترانا ما نزال بحاجة إلى الإجابة عن السؤال عن الدوافع إلى التأريخ للعربية ؟ إن كان الأمر كذلك فإننا نستطيع أن نقرر أن أهم الدوافع التى تدعو إلى العناية بالتأريخ للعربية يمكن أن تلخص فيما يأتى :

١ - تعميق فهمنا لطبيعة لغتنا العريقة المجيدة ، لعلنا نكشف بإدراك تاريخها - عن طاقاتها الكامنة ، ومقدرتها على مواجهة التحديات والاستجابة لمقتضيات الحياة فى مختلف البيئات والعصور .

٢ - التعرف على كل الظروف والأحوال التاريخية التى مرت بها لغتنا العريقة وتفاعلت معها حتى نرى كيف تأثر نظامنا اللغوى على مختلف مستوياته بكل مجموعة من مجموعات تلك الظروف .

٣ - إبراز جوانب التميز التي توفرت للغتنا وهيأت لها أن تنتصر في صراعتها مع غيرها من اللغات ، وأن تمتد بها الحياة وتتصل بينما عانى غيرها من الفناء والمهات .

٤ - التمكن من الإسهام الناجح في حل ما يواجه لغتنا المجيدة في الحاضر والمستقبل من مشاكل وتحديات ، في ضوء ما تقدمه لنا معلوماتنا عن تاريخها من كيفية مواجهتها في الماضي لظروف مماثلة ، وتحديات مشابهة .

٥ - حسن تصورنا للإطارات الداخلية في نظامنا اللغوي على مختلف مستوياته ثم الإطارات الخارجية التي تتفاعل مع هذا النظام اللغوي وتؤثر فيه ، والتعرف على مدى مرونة الإطارات الداخلية للنظام اللغوي عندنا في الاستجابة لما تقتضيه الإطارات الخارجية من تعديلات ، وسنعود إلى شرح ذلك في القسم الخامس من هذه الدراسة .

ولستطيع أن نضيف إلى كل ما ذكر من دوافع التاريخ المنهجى للعربية أن لغتنا المجيدة تكاد تحتل وضعاً فريداً بين اللغات الإنسانية ، فعمرها الأدبي يبلغ ألفاً ونصف ألف من السنين ، وعمرها الاستعمالي - كما تدل على ذلك الدلائل العديدة - يسبق ذلك بما لا يقل عن ثلاثة آلاف أخرى من الأعوام ، فضلاً عن أن اتساع أوطان لغتنا العربية ، وتكاثر مستعمليها من عرب ومستعربين ، ومن تمثل بالنسبة لهم اللغة الأولى ، أو اللغة الثانية ، وتوافر ذخائر المعرفة الإنسانية التي حررت بها أو ترجمت إليها

كل ذلك يجعلها لغة جديرة بالتأريخ لها ، مستأهلة لتسجيل جميع مراحلها وأطوارها ، متميزة على أي لغة أخرى في القديم أو الحديث سواها .

فإذا كانت معظم اللغات الحية المعاصرة قد حظيت بوفرة ماحرر من التأريخ لها فلماذا نسمح أن تبقى لغتنا العربية المجيدة دون تأريخ لها كامل شامل ؟

٥ - كيف نقوم بالتأريخ للعربية؟

ينبغي قبل أن نبدأ في الإجابة على هذا السؤال أن نبادر إلى نفي ما عساه أن يكون قد استقر في الأذهان ، بما قيل في هذه الدراسة من شرح وبيان ، أن على مؤرخ اللغة أن يتشبع كل فرد استعملها نطقاً أو كتابة ، أو حتى تفكيراً - وإن كان قد نطق بغيرها - ليرى كيفية استعماله لها ، ثم إن عليه أن يغوص وراء كل كلمة من كلمات اللغة ، وكل صوت من أصواتها ، وكل صيغة من صيغها ، وكل تركيب من تركيبها ، وكل أسلوب أدبي من أساليبها ، ليرى كيف تم تفاعل هذا أو ذاك مع مر العصور وكر الدهور؟ وكيف تجاوزت هذه الكلمة ، أو تلك الظاهرة ، لأفاعيل الأيام ، وتأثيرات السنين - فإن مثل هذا - وإن كان يعطى المثالية السكاملة ، والأمانة التامة في عمله الاستقراء والبحث والتأريخ - يخشى أن يغرق المؤلف لتاريخ العربية في خضم عميق من بلايين البلايين من التفاصيل ، بحيث يتوه فيها ويضيع فلا يصل إلى نتيجة ولا يباغ مقصداً .

إننا نعرف جميعا أن كمال الاستعارة بهذه الدرجة من الالتزام والعنف في جميع الأماكن والبقاع ، وفي كل المراحل والعصور تبلغ حد الاستحالة والتعذر . وينبغي أن نميز في التخطيط لاي بحث علمي بين المثاليات المتعذرة والحالة التحقيق وبين الأهداف الممكنة تحقيقها في الواقع والغايات المحتملة بلوغها بالفعل ، وذلك فإن على المؤرخ للغة أن يحاول تتبع السكليات دون أن يفرق نفسه في خضم التفاصيل والجزئيات كما أن عليه أن يتتبع التطورات العامة والتغيرات الواضحة ، دون أن يجهد نفسه في لخص النماذج المتماثلة المتكررة . ثم عليه ألا يفرط في السعي وراء الاستقرار الكامل ، وإنما يكتفي في الاستقرار باختيار « عينات » ممثلة للوضع العام Selection of Representative Samples. فضلا عما سبق أن قررناه من أن المؤرخ للغة لابد أن يعتمد على الجهود العديدة لغيره فيستعين بالدراسات عن أدب هذه اللغة وتاريخه ، ولهجات هذه اللغة وتاريخها ، وتراث هذه اللغة وتاريخه ، والناسطين بهذه اللغة وتاريخهم ، والعقائد والديانات التي اتخذت هذه اللغة وسيلة لها ، وأداة للتعبير عنها ، والعقائد التي اتخذت هذه اللغة كذلك وسيلة للتعبير عنها ، والحضارات واللغات التي احتكت هذه اللغة بها أو تفاعلت معها - فكل ذلك ونحوه من الدراسات الجزئية الأساسية في التأريخ للغة ، ينبغي أن يضعها المؤرخ للغة أمامه دائما لكي يستفيد منها ويستعين بها ، فإذا ما توفر لمؤرخ اللغة ذلك كله فإن كتابة تاريخ اللغة - رغم مشقتها الشديدة - تصبح ممكنة ، قابلة

للتحقيق والتنفيذ .

إن كل ما ينبغي على مؤرخ اللغة القيام به بعد ذلك هو أن يحاول وضع اللغة في كل مرحلة من مراحلها المتتابعة في إطارين رئيسيين متميزين نستطيع أن نسمي أحدهما الإطار الخارجي للغة ، وأن نسمي الثاني الإطار الداخلي لها . ومتى تم له أن يضع اللغة في مرحلة بعينها داخل كل من هذين الإطارين فإن عليه أن يحاول توضيح آثار الإطار الخارجي للغة على إطارها الداخلي في تلك المرحلة نفسها ، ثم أن يوضح العلاقة بين أوضاع الإطار الداخلي للغة في تلك المرحلة ، وأوضاعه في المرحلة التاريخية السابقة لها ، والتالية بعدها .

وحين ينجح مؤرخ اللغة في وضع اللغة بصيغة عامة ، وفي مراحلها المتتابعة ، داخل هذين الإطارين ، في كل مرحلة على حدة من ناحية ، ثم بين الإطارات الداخلية في المراحل المتتابعة للغة من الناحية الأخرى ، يكون قد نجح في تحرير تاريخ متكامل متصل الحلقات للغة .

ونحن نقصد ، بالإطار الخارجي للغة الظروف التاريخية العامة التي عاشت فيها اللغة في هذه المرحلة أو تلك من مراحلها ، ويشمل ذلك ضمن ما يشمل تحديد المجالين الزماني والمكاني للغة في تلك المرحلة ، ووصف العناصر البشرية التي استعملت اللغة فيها ، وبيان تعداد هذه العناصر البشرية ، وطبيعتها ، وأنماط حياتها ، وعاداتها الاجتماعية ، وظروفها الحضارية ، والعقائدية ، والثقافية والسياسية ، والاقتصادية ، والعسكرية ... الخ . إننا نستطيع أن نقول باختصار بأن الإطار

الخارجي للغة في مرحلة ما يتسع لوصف كل ما من شأنه أن يؤثر في اللغة من عوامل غير لغوية أو خارجة عن اللغة .

وكذلك فإننا نقصد بالإطار الداخلي للغة العناصر المختلفة للغة ذاتها ، والوحدات الأولية التي تتألف اللغة منها على مختلف مستوياتها . وهكذا فإن الإطار الداخلي للغة يشتمل على حصر أصوات اللغة في مرحلة معينة ، ثم صيغها ، وتراكيبها ، والإحاطة العامة بألفاظها ومفرداتها ، والمسح الشامل لأدبها ، وتراثها ، والبيان الوافي عن لهجاتها ... الخ إن الإطار الداخلي للغة يضم باختصار كل ما من شأنه أن يوضح طبيعة اللغة وكنهها ، في المرحلة التي نحاول التأريخ للغة فيها .

ومتى استقر لمؤرخ اللغة رسم الإطار لها في أقدم مراحلها التي ظهرت إلى الوجود فيها ، والتي حفظ لنا التاريخ بصورة مباشرة أو غير مباشرة ملامحها وأوضاعها ومتى تمياً لمؤرخ اللغة الربط بين ملامح اللغة في هذا الإطار الداخلي ، وبين العوامل والمؤثرات التي يضمها الإطار الخارجي - فإنه يكون قد أرخ للغة في مرحلتها الأولى تأريخاً مقنعاً مرضياً .

ثم يبقى على مؤرخ اللغة بعد ذلك أن يقوم بتتبع المراحل التالية ، التي تختلف فيها الإطار الخارجي اختلافاً واضحاً عن وضعه الأسبق ، فيعتبر كل اختلاف بارز ، أو تغيير واضح في هذا الإطار الخارجي مرحلة جديدة من مراحل التأريخ للغة . وبعد أن يتخذ المؤرخ للغة من تغيير الإطار الخارجي أمانة مرحلة جديدة ، وبعد أن يحدد الإطار الخارجي في الوضع الجديد ، ويوضح ملامح الاختلاف بينه وبين

الإطار الخارجي في الوضع الأسبق ، يقوم ببحث آثار تغيير الإطار الخارجي في المرحلة الجديدة على ملامح الإطار الداخلي للغة وقسماته مسجلاً بذلك تطور اللغة على مختلف مستوياتها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية والأدبية في المرحلة الجديدة عما كانت عليه في الإطار الأقدم ، والمرحلة الأسبق .

وهكذا يمضي المؤرخ للغة في استعراضه . تتعدد المراحل التاريخية للغة في نظره باختلاف الإطارات الخارجية التي عاشت فيها اللغة وتعددها . ويتتبع آثار هذا الاختلاف على الإطار الداخلي للغة تتجلى مظاهر التطور في الظواهر اللغوية المختلفة ، ويتم التصور الكامل للتأريخ اللغوي .

وطالما بقي الإطار الخارجي للغة ثابتاً ، تظل المرحلة التاريخية الواحدة للغة ممتدة ، لأن التغيير في النظام الداخلي للغة في هذه الحالة يكون طفيفاً أو منعماً .

* * *

على هذا النحو نستطيع تحرير التاريخ المتكامل المتصل الحلقات المستوعب الجوانب للغتنا العربية المجيدة ، منذ أول بداية لها نستطيع أن نضع بدايتها عليها ، إلى وقتنا الحاضر وزماننا المعاصر ، بل إلى آفاق المستقبل ، ورحاب الغد . وبذلك يكتمل وعينا بلساننا العربي المبين ، وصراعه المتصل من أجل البقاء والازدهار رغم كثر الدهور ومر السنين . وكما ندعو الله مخلصين أن يوفقنا في المستقبل القريب لتحرير ذلك التاريخ

محمد سالم الجرح

ألفاظ العلم الطبيعي في صدر المحاضرة العربية للكتور مهمل شوقي

قد تخرج بها عما قصد بها أصلا في الكتابات
الفلسفية العربية .

هذا وقد رأينا من المناسب - بعد عرض
موجز لمفهوم العرب للعلم الطبيعي - أن نفرّد
هذا البحث لدراسة الألفاظ الواردة في الأمور
والصفات والخواص العامة للأجسام، كذا لدراسة
الألفاظ الخاصة بالقوى التي تتعرض لها الأجسام
من حيث شدتها ومُدتها وعِدتها .

تمهيد

العلم الطبيعي عند العرب :

حدد علماء العرب وفلاسفتهم مفهومهم للعلم
الطبيعي في كتاباتهم ، فتعرض لهذا المفهوم
كثيرون : منهم إخوان الصفا في رسائلهم ،
وأبو نصر الفارابي في كتابه « إحصاء العلوم » ،
والشيخ الرئيس ابن سينا في مؤلفاته ، والإمام
الغزالي في كتابه « معيار العلم » ، والفيلسوف
أبو البركات هبة الله بن مملوك البغدادي في كتابه
« المعتبر في الحكمة » ونقدم فيما يلي نماذج من
كتاباته العرب عن العلم الطبيعي .

كتب الحكمة النظرية

أو كتب الفلسفة العربية

تَضَمُّ

علوما كثيرة ، منها - على سبيل المثال -
العلم الطبيعي ، والحكمة الرياضية ، والفلسفة
الإلهية ، ومن ثم فإن الباحث في معارف العرب
وفضلائهم في مجال الفلسفة الطبيعية لا بد له أن
يرجع إلى كتب الفلسفة العربية ، وأن يعي
تماما ما ورد بها من تعاريف وتعابير حتى يتسنى
له تقويم أعمال العرب في مختلف جوانب الحكمة
تقويميا سليما منصفاً .

ويهدف بحثنا هذا إلى تقديم دراسة موجزة
لأهم الألفاظ والتعابير التي كان فلاسفة العرب
وعلمائهم يستخدمونها في كتاباتهم في العلم الطبيعي
بوجه عام ، وفي مجال خواص الأجسام وصفاتها
بوجه خاص ، معتمدين في هذه الدراسة على
المصادر العربية الأصلية ما بين مخطوطة ومطبوعة ،
مؤثرين لإيراد النصوص العربية في كل مقام
وموضع ، حرصا منا على بيان دلالة هذه الألفاظ
في أدق إطار ، دون تحميل الألفاظ معاني

يقول إخوان الصفا (١) في رسالتهم
الخامسة عشر (٢) .

« والأمر الطبيعي هي الأجسام وما تعرض
لها من الأعراض اللازمة والمزايلة ، وقد عملنا
في هذه العلوم سبع رسائل ، أولها هذه الرسالة
التي ذكرنا فيها الهيولى والصورة والحركة والمكان
والزمان ، إذ كانت هذه الأشياء الخمسة محتوية
على كل جسم » .

ويعرف المعلم الثاني أبو نصر الفارابي (٣)
المعلم الطبيعي في كتابه « إحصاء العلوم » (٤)
فيقول :

« فالعلم الطبيعي ينظر في الأجسام الطبيعية ،
وفي الأعراض التي قوامها في هذه الأجسام ،
ويعرف الأشياء التي عنها والتي بها والتي لها توجد
هذه الأجسام ، والأعراض التي قوامها فيها .

والأجسام منها صناعية ، ومنها طبيعية ...
ويعرض الشيخ الرئيس ابن سينا (٥) في
رسائله « الطبيعيات من غير الحكمة » (٦)
لأقسام الحكمة النظرية فيقول :

« وأما الحكمة النظرية ، فأقسامها ثلاثة :
حكمة تتعلق بما في الحركة والتغير من حيث

هو في الحركة والتغير وتسمى حكمة طبيعية .
وحكمة تتعلق بما من شأنه أن يجرده الذهن
عن التغير وإن كان وجوده مخالطاً للتغير وتسمى
حكمة رياضية .

وحكمة تتعلق بما وجوده مستغن عن مخالطة
التغير ، فلا يخالطها أصلاً وإن خالطها فبالعرض
لأن ذاتها مفتقرة في تحقيق الوجود إليها وهي
الفلسفة الأولى ، والفلسفة الإلهية جزء منها وهي
معرفة الربوبية ... » .

ولعل الفارابي يوضح مفهوم العلم الطبيعي
أكثر فيقول في كتابه « إحصاء العلوم » (٧) :

« والعلم الطبيعي يعرف الأجسام الطبيعية بأن
يضع ما كان منها ظاهر الوجود وضعاً ، ويعرف من
كل جسم طبيعي مادته وصورته ، وقاعله
والغاية التي لأجلها وجد ذلك الجسم ، وكذلك
في أعراضها فإنه يعرف ما به قوامها والأشياء
الفاعلة لها والغايات التي لأجلها فعلت تلك
الأعراض ، فهذا العلم يعطى مبادئ الأجسام
الطبيعية ومبادئ أعراضها » .

ويعرف الإمام محمد أبو حامد الغزالي (٨)
الطبيعيات في كتابه « معيار العلم » (٩) فيقول :

« ولكل علم موضوع ... » .

(١) من علماء وفلسفة القرن العاشر الميلادي .

(٢) هي نفسها الرسالة الأولى في الجسمانيات الطبيعيات .

(٣) هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي ، توفي عام ٩٥٠ م وقد ناهز الثمانين من عمره .

(٤) كتاب « إحصاء العلوم » للفارابي ، تحقيق الدكتور عثمان أمين ، الطبعة الثالثة ١٩٦٨ ، صفحة ١١١ .

(٥) عاش في الفترة : ٣٧٠ - ٤٢٨ هـ (٩٨٠ - ١٠٣٧ م) .

(٦) « تسع رسائل في الحكمة » لابن سينا ، صفحة ٣ .

(٧) الطبعة الثالثة بالقاهرة ، سنة ١٩٦٨ ، صفحة ١١٦ .

(٨) عاش في الفترة : ٤٥١ - ٥٠٥ هـ (١٠٥٩ - ١١١١ م) .

(٩) كتاب القياس - النظر الرابع في لواحق القياس - طبعة دار المعارف بالقاهرة ، صفحة ٢٥١ .

وموضوع العلم الملقب بالطبيعي : جسم العالم من جهة ما يتحرك ويسكن .

ويقول أبو البركات هبة الله بن علي بن ملكا البغدادي (١٠) في كتابه «المعتبر في الحكمة» (١١) :

«... فعمل هذا يسهل طريق التعلم الحكمي الذي يكون بالنظر والاستدلال ، وهذا القانون بعينه يستعمل في هذا العلم المسمى بالعلم الطبيعي المنسوب إلى الطبيعة ، وهو المشتمل على العلم بسائر المحسوسات من الحركات والمتحركات والحركات وما مع الحركات وبالحركات والمتحركات وفي المتحركات من الآثار المحسوسة .»

ويمضي ابن ملكا في الورقة الخامسة من نفس المخطوط قائلا :

«... وقوم سمّوا بالطبيعة كلّ قوة جسمانية ، أعنى كل مبدأ فعل يصدر عن الأجسام بما وجوده فيها ، فتكون الأمور الطبيعية هي الأمور المنسوبة إلى هذه القوة ، إما على أنها موضوعات لها ولما يصدر عنها كالأجسام ، فيقال أجسام طبيعية ، وإما آثار وحركات وهيئات صادرة عنها كالألوان والأشكال .»

والعلوم الطبيعية هي العلوم النازرة في هذه الأمور الطبيعية ، فهي النازرة في كل متحرك وساكن ، وما عنه ، وما به ، وما منه ، وما إليه ، وما فيه الحركة والسكون .

والطبيعيات هي الأشياء الواقعة تحت

الخواص من الأجسام وأحوالها ، وما يصدر عنها من حركاتها وأفعالها ، وما يفعل ذلك فيها من قوى وذوات غير محسوسة ، فالعلم يتعرض لأظهارها فأظهرها أولا ، ويرتقى منه إلى الاخفي فالأخفي»

هذا قليل من كثير من أقوال فلاسفة العرب وعلمائهم في العلم الطبيعي ، ومنها يتضح أن العلم الطبيعي - في رأيهم - هو العلم الذي يبحث في الظواهر الطبيعية المحسوسة للأجسام كمرادها وصورها وهيئاتها وأحوالها وسكونها وحركاتها وتغيرها وفعلها وانفعالها ، ومن ثم فإن العلوم التي نعرفها اليوم بعلوم السكون والحركة (الميكانيكا) والفيزياء تنطوي تحت لواء العلم الطبيعي .

(١) الأمر والخواص العامة للأجسام

نعرض في هذا الفصل الألفاظ التي استخدمها العرب كالدربة والاعتبار ، كذا للألفاظ المتعلقة بالصفات والخواص العامة للوادر كالهولي والصورة والجسمية والصلابة واللين ، والمكان والملاء والخلاء ، مع تحديد مفهوم العرب لهذه الألفاظ من واقع كتاباتهم العلمية والفلسفية .

الدربة والدرب:

اعتمد العالم العربي جابر بن حيان (١٢) في

(١٠) توفي عام ٥٤٧ هـ (١١٥١ م) .

(١١) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول - رقم ٣٢٢٢ : المجلد الثاني ، الفصل الأول ، الورقة ٣ .

(١٢) عاش في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي والجزء الأول من القرن التاسع .

دراساته اعتماداً كبيراً على التجربة حيث جعلها أساساً للاستنباط العلى ، فكان بذلك من رواد النهج التجريبي ، ونسوق في هذا المجال نصاً من المقالة الأولى من « كتاب الخواص الكبير » (١٣) :

« يجب أن تعلم أنا نذكر في هذه الكتب (يقصد كتبه في خواص الأشياء) خواص ما رأيناه فقط - دون ما سمعناه أو قيل لنا وقرأناه - بعد أن امتحنناه وجربناه ، فما صح أردناه وما بطل رفضناه ، وما استخرجناه نحن أيضاً وقايضناه على أقوال هؤلاء القوم » .

ولقد استخدم جابر بن حيان لفظ « الدربة » بمعنى إجراء التجارب ، ولفظ الدرب بمعنى المجرّب ، وجعل من هذه الصفة شرطاً ملزماً للانتماء للعلماء حيث يقول في « كتاب السبعين » (١٤) :

« فمن كان درباً (١٥) كان عالماً حقاً ، ومن لم يكن درباً لم يكن عالماً . وحسبك بالدربة (١٦) في جميع الصنائع أن الصانع الدرب يحذق ، وغير الدرب يعطل » .

(١٣) مختارات پول كراوس : صفحة ٢٣٢ .

(١٤) مختارات پول كراوس : صفحة ٤٦٤ .

(١٥) Experienced .

(١٦) Experience .

(١٧) عاش في الفترة . ٣٥٤ - ٤٣٠ هـ (٩٦٦/٦٥ - ١٠٣٩ م) .

(١٨) Experimentation .

(١٩) Experimenter .

(٢٠) مخطوط مكتبة القامح باستانبول - رقم ٣٢١٥ .

(٢١) أى جرب (to experiment) .

الاعتبار والمعتبر :

ورد في كتابات الحسن بن الهيثم (١٧) تعبير « الاعتبار » (١٨) في معنى التجربة ، وتعبير « المعتبر » (١٩) في معنى القائم بالتجربة ، من ذلك قوله في الفصل الثالث من المقالة الرابعة في كتابه « المناظر » (٢٠) في معرض دراسته لانعكاس الضوء بالقياس على ما يحدث لكرة صغيرة ملساء من الحديد أو النحاس أو ما يجري مجراها عندما تصدم سطحاً مانعاً لحركتها فترتد عنه . يقول ابن الهيثم بلفظه :

« وكلما كانت حركة القذف أقوى فإنه يجد (يشير إلى المعتبر) رجوع هذه الكرة أقوى ، وإن اعتبر (٢١) هذا المعنى بحسب غير المرآة ، ويكون فيه بعض اللين كالخشب أو ما يجري مجراه ، وجد رجوع الكرة بقوة دون القوة الأولى » .

ويمضي ابن الهيثم في دراسته هذه قائلاً :

« فيتين من هذا الاعتبار أن المتحرك على استقامة إذا لقي مانعاً يمنعه من الحركة فإنه يتحرك راجعاً ، وتكون قوة رجوعه بحسب قوة

الحركة التي تحرك بها في الأول ، وبحسب قوة
المانع وامتناعه من الانفعال

والمقصود من كلمة « الاعتبار » واضح
تماما وهو معنى التجربة .

الهيولى والصورة :

يقول إخوان الصفا في رسالتهم الخامسة
عشر (٢٢) :

« لعلم وفقك الله أن معنى قول الحكماء
« الهيولى » إنما يعنون به كل جوهر قابل
للصورة .

وقولهم « الصورة » يعنون به كل شكل
ونقش يقبله الجوهر .

واعلم أن اختلاف الموجودات إنما هو
بالصورة لا بالهيولى .. »

ويزيد الشيخ الرئيس ابن سينا الأمر وضوحا
فيقول في رسالته « الطبيعيات من عيون
الحكمة » (٢٣) :

« إن كل جسم طبيعي فهو متقوم الذات
من جزئين :

أحدهما يقوم مقام الخشب من السرير ،
ويقال له هيولى ومادة (٢٤) .

والآخر يقوم مقام السرير من السرير ،
ويسمى صورة ... »

أما أبو الوليد محمد بن رشد (٢٥) فيعرض
لمعنى « الهيولى » و « الصورة » في المقالة الثانية
من كتابه « ما بعد الطبيعة » فيناقش مذهبين
متباينين في هذا الصدد فيقول :

« إن قوما جملوا أول شيء يحل في الهيولى
الأولى غير المصورة الأبعاد الثلاثة ، وأنها أول
شيء تتصور بها الهيولى ، ورأوا أن اسم الجسم
على هذا المعنى ،

ثم يعرج ابن رشد إلى المذهب الثاني فيقول
عنه :

« رأوا أن الأبعاد الثلاثة تابعة لصورة
بسيطة موجودة في الهيولى الأولى ، وأن هذه
الصورة هي التي من شأنها أن يقبل بها الجسم
الانفصال والاتصال ، فزعموا أنها واحدة مشتركة
لجميع الأشياء المحسوسة كالحال في المادة الأولى .
والذي يرى هذا الرأي هو ابن سينا .

ويناقش هذا الرأي قائلا :

« وأما أصحاب القول الثاني فإن كانوا أرادوا
أن هاهنا صورة بسيطة بالفعل غير صور
الاجسام والبسائط التي هي الثقل والخفة وبالجملة

(٢٢) هي نفسها الرسالة الأولى في الجسمانيات الطبيعيات .

(٢٣) « تسع رسائل في الحكمة » لابن سينا ، طبعة القاهرة ، صفحة ٤ .

(٢٤) Matter .

(٢٥) عاش في القتر : ٥٢٠ - ٥٩٥ هـ (١١٢٦ - ١١٩٨ م) .

الميل على ما يظهر من كلام ابن سينا ، فإن مجموع هذه الصورة مع المادة الأولى هو الجوهر الذى عرض له التجسم أى عرضت له الأبعاد الثلاثة .
إذا تصور بهذه الجهة فهو لعمري باطل .

وإن كان أراد بهذا المعنى طبيعة الميل الحاصل فى المادة الأولى الذى هو كالجنس لصور الاسطقتس ، فهو لعمري حق .

الاسطقتس :

يعرّف الشيخ الرئيس ابن سينا «الاسطقتس» فى رسالته : « فى الحدود » (٢٦) فيقول :
« الاسطقتس هو الجسم الأول الذى باجتماعه إلى أجسام أولى مخالفة له فى النوع يقال له اسطقتس لها ، فلذلك قيل إنه آخر ما يتهى إليه تحليل الأجسام ، فلا توجد فيه قسمة إلا إلى أجزاء متشابهة » .

الجسمية :

الجسمية عند ابن سينا تعنى الامتداد فى الاقطار الثلاثة ، أو بتعبير آخر جثمانيتها ، وهو يفرق فى كتاباته بين الجسمية فى حد ذاتها وبين خاصية مدافعة الجسم عن حاله من سكون أو حركة ، وهى الخاصية التى سنعرض لها بالتفصيل فى بحث آخر .

يقول الشيخ الرئيس فى رسالته الرابعة « فى الحدود » (٢٧) :

« الجسم اسم مشترك يقال على معان ، فيقال جسم لكل متصل محدود بمسوح فى أبعاد ثلاثة بالقوة » ويقال جسم لصورة يمكن أن يعرض فيه أبعاد كيف شئت طولاً وعرضاً وعمقاً ذات حدود متعينة .

ويقال جسم لجوهر مؤلف من هيولى وصورة بهذه الصفة ، والفرق بين السكم وبين هذه الصورة أن قطعة من الماء أو الشمع كلما بدل شكله تبدلت فيه الأبعاد المحدودة بالمسوحة ، ولم يبق واحد منها بعينه واحداً فيه بالعدد ، وبقيت الصورة القابلة لهذه الأحوال وهى جسمية واحدة بالعدد من غير تبدل ولا تغير .

ولذلك إذا تكاثف وتخلخل لم تستحل صورته الجسمية واستحال أبعاده ، فإذا فرق بين الصورة الجسمية التى هى من باب السكم وبين الصورة التى هى من باب الجوهر .

ويقول أبو الحسن بهمنيار بن المرزبان (٢٨) - أحد تلاميذ الشيخ الرئيس ابن سينا - فى كتابه « التحصيل » (٢٩) :

« فالجسمية بالحقيقة صورة الاتصال القابل لفرض الأبعاد الثلاثة فيه ، وهو غير

(٢٦) « تسع رسائل فى الحكمة » لابن سينا ، طبعة القاهرة ، صفحة ٨٥ .

(٢٧) « تسع رسائل فى الحكمة » لابن سينا ، طبعة القاهرة : صفحة ٨٧ .

(٢٨) توفى سنة ٤٥٨ هـ (١٠٦٦ م) .

(٢٩) مخطوط المكتبة الأحمدية بحلب - رقم ١١٢٢ : الكتاب الثانى ، المقالة الأولى ، الفصل السابع ، الورقة ١٤٢ .

المقدار . وغير الجسمية التعليمية ، والجسم الذي يستعمل في التعاليم وهو المعروف بالجسم التعليمي هو الصورة الجسمية مأخوذة مع مقدار من غير التفتات إلى المادة .

فإن الجسم المطلق من حيث الجسمية لا يخالف جسما آخر بأنه أصغر أو أكبر ، ولا يناسبه بأنه مساو لهذا أو معدود به ، وإنما له ذلك من حيث هو مقدر ، وهذا الاعتبار غير اعتبار الجسمية .

ولهذا كثيرا ما يكون الجسم الواحد يتخلخل ويتكاثف بالتبريد والتسخين ، فيختلف مقدار جسميته ، وجسميته التي ذكرناها لا تختلف ولا تتغير ...

ويعضى ابن المرزبان في نفس الفصل (٣٠) يقول :

« ... فلا يجوز أن يكون جسمية محتاجة إلى مادة ، وجسمية غير محتاجة إلى مادة ، واللواحق الخارجة لا تغنيها عن الحاجة إلى المادة إذ الحاجة إلى المادة هي للجسمية لأجل ذاتها ومن حيث هي جسمية ، لا من حيث جسمية منع لاحق (أو مع لاحق) .

فقد بان أن جميع الأجسام مؤلفة من مادة

وصورة ، وهذا البيان إنما يتم عند تصحيح إمكان قبول الأجسام للانقسام إلى مالا نهاية له ، فإن البيان مبني على الاتصال والانفصال وما لم يتبين أن في قوة الجسم الانفصال إلى ما لا نهاية لم يصح هذا ، فليطلب أقاويل الذين يقولون إن الأجسام مؤلفة من أجزاء لا تتجري ،

أما الإمام فخر الدين الرازي (٣١) فيقول في كتابه «المباحث المشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات» (٣٢) في معرض حديثه عن الجسمية :

إن الجسم الواحد قد تتوارد عليه المقادير المختلفة مع بقاء جسميته المخصوصة ...

« إن الأجسام مشتركة في مفهوم الجسمية مختلفة في المقادير ... »

« إن الأجسام صح أن يكون بعضها مقدرًا للبعض ومتقدرا به ، ... وليست تلك المتقدرية بنفس الجسمية التي يستحيل أن يخالف جسم فيها جسما ، فتلك المتقدرية إنما تكون بأمر زائد على الجسمية ... »

ويزيد الفخر الرازي الأمر وضوحا حيث يقول :

« إن الجسم يسخن فيزداد حجمه من غير

(٣٠) نفس المخطوط السابق : الورقة ١٤٦ .

(٣١) عاش في الفترة : ٥٤٤ - ٦٠٦ هـ (١١٥٠ - ١٢٠٩ م) .

(٣٢) الكتاب الثاني - الفن الأول - الفصل الأول - طبعة الهند : الصفحات ١٧١ حتى ١٧٤ .

انضمام شيء إليه ولا وقوع خلاء بين أجزائه لاستحالة الخلاء ، ويبرد فيصغر حجمه من غير انتقاص شيء من أجزائه ، أو زوال خلاء كان قبل ذلك .

وذلك الجسم في حد جسميته محفوظ (٢٣) ، والجسم المحفوظ مغائر لهذه الأمور المتبدلة . . .
بهذه الكلمات يقرر الفخر الرازي مبدأ حفظ المادة ، ولا ينقص من قدره في تقرير هذا المبدأ الهام قوله بانتفاء الخلاء . وقد عبر الرازي عن المادة بالجسمية ، وقال بأن هذه الجسمية محفوظة لا تتبدل في حد ذاتها ، وإن تبدلت أبعادها وصورها ، فالرازي يقرر في هذا النص مبدأ حفظ المادة وهو المعنى الذي نعبر عنه في كتاباتنا المعاصرة بأن المادة لا تفنى ولا تستحدث .

الصلابة واللين والرخاوة :

يذكر ابن سينا في رسالته : د في الحدود ، (٢٤) :

« الصلب هو الجرم الذي لا يقبل دفع سطحه إلى داخله إلا بعسر ، وهذه الصفة يفضل تسميتها اليوم بالصلادة (٢٥) .

ويستطرد ابن سينا قائلا :

« اللين هو الجرم الذي يقبل ذلك بسهولة .

ود الرخو جرم لين سريع الانفصال . .
أما الحسن بن الهيثم فقد تعرض لظاهرة تبين درجة ممانعة المواد المختلفة عن الانفعال عند سقوط الأجسام عليها ، تلك الظاهرة التي اتخذت في عصرنا الحالي أساسا لقياس درجة الصلادة . يقول ابن الهيثم في الفصل الثالث من المقالة الرابعة في كتابه « المناظر » (٢٦) :

« إن الأجسام الثقيل إذا سقطت إلى أسفل من موضع عال ، ثم لقيت عند مسقطها جسما صلبا كالصخر أو الحديد أو ما جرى مجرى ذلك ، انعكست في الحال راجعة . ويكون رجوعها بحركة قوية .

وإذا لقيت عند مسقطها جسما رخوا كالرمل أو التراب أو ما شاكل ذلك ، انتشبت فيه ولم ترجع .

وإن صادفت جسما فيه بعض الصلابة وبعض اللين كالجص أو الخشب أو ما جرى مجرى ذلك في اللين ، رجعت رجوعا ضعيفا .

يبين من هذا النص أن الصلابة - في رأى الحسن بن الهيثم - هي خاصية « الممانعة عن الانفعال » ، وأن اللين ضعف تلك الممانعة .

ويقول هبة الله بن ملاكا البغدادي في كتابه « المعبر في الحكمة » (٢٧) :

(٢٣) conservation of Matter .

(٢٤) « تسع رسائل في الحكمة » لابن سينا ، طبعة القاهرة : صفحته ٩٧ .

(٢٥) Hardness .

(٢٦) مخطوط مكتبة الفانج باستانبول - رقم ٣٢١٥ ، الورقتان ٦٨ ، ٦٩ .

(٢٧) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول - رقم ٣٢٢٢ : المجلد الثاني - الفصل السادس .

«ولشكل جسم متناه شكل ، وقد يكون من ذلك ما هو طبيعي ، ومنه ما هو قسري» (٣٨) وغير طبيعي ، فشكل جسم من ذلك معنى طبيعي لا محالة .

فمن ذلك أن الجسم إما أن يقبل التأثير أو لا يقبل ، فإن قبل قبولاً بعسر فهو الصاب (٣٩) ، أو بسهولة فهو اللين ، (٤٠) .

المسكان :

لما كان المسكان أحد عناصر حركة الأجسام في الفلسفة الإسلامية ، لذلك فقد تصدى كثير من العلماء والفلاسفة العرب لتعريفه . ولعل أدق هذه التعاريف وأوضحها ما ورد في رسالة الحسن بن الهيثم «قول في المسكان ، حيث يقرر ابن الهيثم تعريف المسكان على النحو التالي :

«... .. فمسكان الجسم هو أبعاد الجسم التي إذا جردت في التخيل كانت خلافاً لا مادة فيه مساوياً لجسم شبيه بشكل الجسم» .

الملاء والخلاء :

يعرف الشيخ الرئيس ابن سينا : « في رسالته في الجود ، (٤١) الملاء والخلاء ، فيقول :

«الملاء (٤٢) هو جسم من جهة ما يمنع أبعاده دخول جسم آخر فيه»

«الخلاء (٤٣) بعد يمكن أن تعرض فيه أبعاد ثلاثة قائم لا في مادة من شأنه أن يملأه جسم وأن يخلو عنه» .

ولقد كان الخلاء موضع خلاف كبير بين فلاسفة العرب ، فمنهم مؤيد لوجوده ومنهم من ينكره ، ولعل الحسن بن الهيثم كان أوفقهم في تعريفه حيث يقول في رسالته «المسكان» :

«... .. والخلاء ليس بذى مادة ولا فيه مدافعة ، وإنما الخلاء هو أبعاد فقط متهيئة لقبول المواد» .

فالخلاء - في رأى ابن الهيثم - خالي تماماً من المادة ومن المدافعة ، أى خالي من المقاومة التي يتعرض لها الجسم أثناء حركته في وسط ما غير الخلاء ، وبالتالي فإن حركة الأجسام في الخلاء لا تلتقي أية معوقات أو عوائق ، وهذه حقيقة نعرفها جيداً في الوقت الحاضر .

ويستطرد الحسن بن الهيثم في رسالته فيقول :

«والجسم الطبيعي هو المادة التي هي الأبعاد المتخيلة متهيئة لقبولها مع الأبعاد ، وكل الأبعاد فهي متهيئة لقبول كل مادة ، وكل بعد فليس فيه مانع يمنع من أن تنطبق عليه ، وليس يمنع أن تنطبق أبعاد الجسم الطبيعي - الذي الخلاء

(٣٨) Forced or enforced .

(٣٩) يفضل تسميته بالصلد : Hard .

(٤٠) Soft .

(٤١) «تسع رسائل في الحكمة» لابن سينا ، طبعة القاهرة : صفحة ٩٤ .

(٤٢) أى الحيز المحتل به مادة تمنع دخول جسم خارجي في هذا الحيز ، و «عكس الخلاء» .

(٤٣) أى الفراغ أو الفضاء الخالي : Space .

مُهيء لقبوله — على أبعاد الخلاء ، التي هي أطوال لا عروض لها ولا مدافعة فيها ، وإذ ذلك كذلك فقد بطل القول بأن الجسم الطبيعي لا يداخل الخلاء لأنهما جسمان .

ويقول هبة الله بن ملكا البندادي في كتابة «المعتبر في الحكمة» (٤٤) في وصفه للخلاء :
«... فهو مقدار بلا مادة ، به امتلاء المسكان ، وهو الخلاء...»

(٢) القوى التي تعرض للأجسام

نقدم في هذا الفصل بعضاً من كتابات العرب في موضوع القوى التي يمكن أن تتعرض لها الأجسام من قوى طبيعية وقوى قسرية ، ونعرض كذلك لتفاوت القوى من حيث الشدة والمدة والعدد .

القوى وأنواعها :

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابه «النجاة» (٤٥) :

«ليس شيء من الأجسام الموجودة يتحرك أو يسكن بنفسه ، أو يتشكل أو يفعل شيئاً غير ذلك ، وليس ذلك له عن جسم آخر أو قوة فائضة عن جسم ، فليس يصدر عنه شيء إلا وفيه قوة من هذه القوى المذكورة ، عنها يصدر ذلك وكل ما يصدر عنه من الأفعال» .

هذا وقد فرق العرب بين نوعين أساسيين

من القوى هما القوة الطبيعية والقوة القسرية ، فبالقوة الطبيعية عبر العرب عن القوة التي تؤثر على الجسم لتعيده إلى مسكانه الطبيعي إذا كان قد سبق وأن أزيح عنه ، وهذه القوة هي ما نسميها اليوم بقوة الجاذبية الأرضية ، وبالقوة القسرية عبر العرب عن القوة التي تسلط على الجسم لتجبره على الحركة أو على التواجد في غير موضعه الطبيعي ، ولتورد فيما يلي نماذج مما قاله فلاسفة العرب وعلمائهم في أنواع القوى.

(١) القوى الطبيعية :

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابه «النجاة» (٤٦) عن القوى الطبيعية ما نصه :
«فمنها قوى سارية في الأجسام تحفظ عليها كالاتها من أشكالها ومواضعها الطبيعية وأفاعيلها وإذا زالت عن مواضعها الطبيعية وأشكالها وأحوالها أعادت إليها وثبتتها عليها ، مانعة من الحالة الغير الملائمة إياها بلا معرفة وروية وقصد اختياري بل بتسخير ، وهذه القوى تسمى طبيعية ، وهي مبدأ (٤٧) بالذات لحركاتها بالذات وسكوناتها بالذات ، ولسائر كالاتها التي لها بذاتها ، وليس شيء من الأجسام الطبيعية يخال عن هذه القوة» .

وعن القوة الطبيعية يقول ابن سينا في طبيعيات كتابه «الشفاء» (٤٨) :

- (٤٤) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول — رقم ٣٧٢٢ : المجلد الثاني — «فصل الخامس عشر ، الورقة ٦٢ .
(٤٥) طبعة القاهرة سنة ١٣٣١ هـ — الجزء الثاني : صفحة ١٦١ .
(٤٦) طبعة القاهرة سنة ١٣٣١ هـ — الجزء الثاني الصفحتان ١٦١ ، ١٦٢ .
(٤٧) بمعنى سبب وعلة : Cause .
(٤٨) المقالة الرابعة — الفصل الثاني عشر .

من بعضهم البعض ، وتقل بزيادة التباعد بينهما .

الثقل والخفة :

يقول إخوان الصفا في رسالتهم السادسة عشر :

« وكل جسم في مكانه الخاص ليس بثقل ولا خفيف ، لأن الثقل (٥٢) والخفة يعرضان لبعض الأجسام بسبب خروجها عن أماكنها الخاصة بها إلى مكان غريب ، »

ويستطرد إخوان الصفا في رسالتهم هذه فيعرفون الثقل والخفيف بقولهم :

« ما كان متوجها نحو مركز العالم يسمى ثقيلًا وما كان متوجها نحو المحيط يسمى خفيفاً » .

ويؤكد إخوان الصفا هذا المعنى في رسالتهم الرابعة والعشرين حيث يقررون :

« وأما الثقل والخفة في بعض الأجسام فهو من أجل أن الأجسام الكليات كل واحد له موضع مخصوص ، ويكون واقفا فيه لا يخرج إلا بقسر قاسر ، وإذا خلى رجع إلى مكانه الخاص به ، فإن منعه مانع وقع التنازع بينهما ، فإن كان النزوع نحو مركز العالم يسمى ثقيلًا ،

« كل جسم له مكان طبيعي أو حيز تقتضي طبيعته الكون فيه ، وهو يخالف سائر الأجسام لا لجسميته ، بل لأن فيه مبدأ وقوة معدة نحو ذلك المكان . »

ويقول أبو البركات هبة الله بن ملكا البغدادي في كتابه « المعبر في الحكمة » (٤٩) : « فبهذا يعلم أن لكل جسم طبيعي حيزا طبيعيا ، فيه يسكون بالطبع ، وإليه يتحرك إذا أزيل عنه ، وهذا الحيز ليس هو للجسم بجسميته التي لا يخالف بها غيره من الأجسام ، بل بصفة خاصة به هي طبيعة ففوة أو صورة خاصة بذلك الجسم خصته بذلك الحيز وحركته إليه ، فتلك الطبيعة الخاصة في ذلك الجسم مبدأ حركة بالطبع وسكون بالطبع والتحرك النقل المكاني إنما يكون عنها بعد سبب طارئ يخرج الجسم عن حيزه الطبيعي ، فتتحركه هي إليه . »

وعن قوة الجذب يقول الامام فخر الدين الرازي في كتابه « المباحث المشرقية في علم الالهيات والطبيعيات » (٥٠)

« انجذاب (٥١) الجسم إلى مجاورة الأقرب أولى من انجذابه إلى مجاورة الأبعد . »

وهذا النص سبق واضح للفخر الرازي ، حيث إن قوة الجذب بين جسمين تزيد بقربهما

(٤٩) مخطوط مكتبة أحمد الثالث - رقم ٢٢٢٢ - المجلد الثاني ، الفصل السادس والعشرون ، الورق ١٠٢ .

(٥٠) الكتاب الثاني - الفن الخامس - الفصل الثاني عشر ، طبعة الهند : صفحة ٥٧٨ .

(٥١) Attraction .

(٥٢) Weight - الثقل هو قوة جذب الأرض للجسم .

وإن كان نحر المحيط يسمى خفيفاً ، وقد بينا في رسالة السماء والعالم كيفية ذلك .

ويعرض الشيخ الرئيس ابن سينا في رسالته « في الحدود » (٥٣) للثقل والخفة ، فيقول :

« الثقل قوة طبيعية يتحرك بها الجسم إلى الوسط (٥٤) بالطبع . »

و « الخفة قوة طبيعية يتحرك بها الجسم عن الوسط بالطبع . »

القوة القسرية :

يعرّف الشيخ الرئيس ابن سينا « القسر » ، فيقول في رسالته « الطبيعيات من عيون الحكمة » (٥٥) :

« القسر ما يسلب حركة أو سكونا طبيعياً . »

ويقول بهمينسار بن المرزبان في كتابه « التحصيل » (٥٦) :

« وأنت تعلم أنه إذا توهم زوال القاسر ، لم يكن للجسم بد من أن يكون له أين وشكل وزوال القاسر ممكن بل واجب ، فإن القسر طارئ على الأمر الطبيعي . »

ويقول ابن المرزبان في موضع آخر من كتابه (٥٧)

« والحركة التي بالقسر هي التي يحركها خارج عن المتحرك ، وليس بمقتضى طبعه ، وذلك قد يكون بالجذب ، وقد يكون بالدفع ، وقد يكون مع مفارقة المتحرك المتحرك ، مثل المرمى (٥٨) والمدحرج (٥٩) والمزحوح (٦٠) »

تفاوت القوى بحسب الشدة والمدة والعدة :

يقول الإمام فخر الدين الرازي في كتابه « المباحث المشرقية » (٦١) في معرض حديثه « فيما ليس بكم بالذات بل بالعرض » - وقد جعله على أربعة أوجه - مانصه :

« الوجه الرابع أن تكون قوى مؤثرة في أشياء يقال عليها الحكم بالذات ، فيقال لتلك القوى إنها متناهية أو غير متناهية ، لأن القوة ذات كمية في نفسها ، بل لأن القوة تختلف بالزيادة والنقصان ، بالإضافة إلى شدة ظهور الفعل عنها ، أو إلى عدة ما يظهر عنها ، أو إلى مدة بقاء الفعل ، والفرق بين اعتبار الشدة والمدة من وجهين . »

أحدهما أن كل ما كان زائداً بحسب الشدة ،

(٥٣) « تسع رسائل في الحكمة » لابن سينا ، طبعة القاهرة : صفحة ٩٥ .

(٥٤) يقصد وسط العالم ، أي مركز الأرض .

(٥٥) « تسع رسائل في الحكمة » لابن سينا - طبعة القاهرة : صفحة ١١ .

(٥٦) مخطوط المكتبة الأحمدية بحلب - رقم ١١٢٢ : الكتاب الثالث ، المقالة الثانية ، الباب الأول ،

الفصل السادس ، الورقة ٢٥٨ .

(٥٧) نفس الكتاب السابق ، الورقة ٢٤٨ .

(٥٨) Projected (٥٩) Ro'led (٦٠) Displaced .

(٦١) الكتاب الثاني - الفن الأول - الفصل السادس - طبعة الهند : صفحة ١٨٧ .

كان ناقصا بحسب المدة ، فان المحرك إذا كان أشد قوة ، بلغ النهاية الموجودة أو المفروضة أسرع .

ثانيهما أن الذي تتفاوت فيه القوى بحسب المدة ، ربما لا تتفاوت فيه بحسب الشدة ، فان إبقاء الثقل في الجو لا يقبل الزيادة والنقصان بحسب الشدة ، وتختلف القوى فيه بالإبقاء الزماني بحسب الشدة ، وأما الفرق بين اعتبار المدة والعدة فلأن المدة هي في اثبات شيء واحد ، وليس اعتبار العدة في اثبات شيء واحد ، وأما الفرق بين اعتبار الشدة والعدة فظاهر .

ويقول العلامة نصير الدين الطوسي (٦٢) في معرض شرحه للفصل الخامس عشر من النمط السادس من كتاب ابن سينا والاشارات والتنبيهات :

« .. أما الشيء الذي يتعلق به شيء ذو مقدار أو عدد كالقوى التي يصدر عنها عمل متصل في زمان ، أو أعمال متوالية لها عدد ، ففرض النهاية واللا نهاية يكون فيه بحسب مقدار ذلك ، أو عدد تلك الأعمال .

والذي بحسب المقدار يكون إما مع فرض وحدة العمل ، واتصال زمانه ، أو مع فرض الاتصال في العمل نفسه ، لا من حيث تعتبر كثرته أو وحدته .

فالقوى بهذه الاعتبارات تكون ثلاثة أصناف :

الأول قوى يفرض صدور عمل واحد منها في أزمنة مختلفة ، كرماء تقطع سهامهم مسافة محدودة في أزمنة مختلفة ، ولا محالة تكون التي زمانها أقل أشد قوة من التي زمانها أكثر ، ويجب من ذلك أن يقع عمل غير المتناهية لا في زمان .

والثاني قوى يفرض صدور عمل ما - منها - على الاتصال في أزمنة مختلفة ، كرماء تختلف أزمنة حركات سهامهم في الهواء ، ولا محالة تكون التي زمانها أكثر أقوى من التي زمانها أقل ، ويجب من ذلك أن يقع عمل غير المتناهية في زمان غير متناه .

والثالث قوى يفرض صدور أعمال متوالية عنها . مختلفة بالعدد ، كرماء يختلف عدد رميهم ، ولا محالة تكون التي يصدر عنها عدد أكثر ، أقوى من التي يصدر عنها أقل عدد ، ويجب من ذلك أن يكون لعمل غير المتناهية عدد غير متناه .

فالاختلاف الأول بالشدة ، والثاني بالمدة ، والثالث بالعدة .

من هذين النصين يبين لنا أن العرب قد فرقوا بين القوة التي يجري تسليطها في فترة زمنية قصيرة كقوة الصدمة ، وبين القوة ثابتة المقدار التي تتواجد لفترة زمنية طويلة ، ففي الحالة الأولى يكون تأثير القوة أشد كلما نقصت فترة تسليطها ، وهذا النوع من القوة نعرفه اليوم

(٦٢) عاش في الفترة : ٥٩٧ - ٦٧٢ هـ (١٢٠١ - ١٢٢٤ م) .

بالقوة الصدمية ، والمثال المؤلف لها شدة تأثير الضرب بمطرقة ، وإذا عبرنا عن هذه الحالة بتعبيرنا العلى الدقيق المعاصر قلنا إنه كلما كان معدل تسليط القوة أعلى (أى كلما قلت الفترة الزمنية التى تصل فيها القوة إلى ذروتها) ، كلما كان التأثير الناتج عن القوة أشد ، وهذا ما يدخله المهندسون فى اعتبارهم فعلا عند تصميم المنشآت التى تتعرض لاحمال الصدمات .

كذلك درس العرب الحالة التى يكون فيها مقدار القوة ثابتا من حيث الكم ، بينما ينحصر الاختلاف فى طول الفترة الزمنية التى تعمل فيها القوة ، والاصان المتقدمان يوضحان الفرق بين شدة القوة ومدتها كل الوضوح ، بما يدل على دقة المشاهدة وسلامة التمثيل ، والنهم السليم الواعى لتأثير القوة من حيث المقدار والشدة ، ومن حيث المدة أى فترة تأثيرها ، ومن حيث العدة أى عدد مرات تسليطها .

ولعلنا نسوق فى ختام حديثنا عن تفاوت القوة قول الحكيم بهمينار ابن المرزبان - أحد تلاميذ ابن سينا - فى كتابه « التحصيل » (٦٣) :

« نقول إن القوة تقع بينها وبين قوة أخرى تفاوت فى أمور :

منها سرعة الفعل وبطؤه .

ومنها طول مدة استبقاء الفعل وقصرها .

ومنها كثرة عدة الفعل وقلتها .
ويستطرد ابن المرزبان ليوضح عبارة هذه بالأمثلة ، فيقول :

« ومثال الأول أن أشد الراميين قوة هو أسرعهما فى الرى لمسافة معينة قطعاً ، ومثال الثانى أن أشد الراميين قوة هو أطولهما زمان نفوذ الرى فى الجوى ، ومثال الثالث أن أشد الراميين قوة هو أكبرهما قدرة على رى بعد رى . »

قول واضح موجز سبق به ابن المرزبان كلا من الفخر الرازى ونصير الدين الطوسى :

خلاصة

يقدم هذا البحث دراسة موجزة لمفهوم العرب للعالم الطبيعى ، كذا الألفاظ التى استعملها فلاسفة العرب ، وعلماءهم فيه ، ويشتمل البحث على نصوص عديدة لبيان الأوجه التى استعملت فيها هذه الألفاظ وتحديد مدلولها فى صدر الحضارة العربية .

ويخلص البحث إلى أن العرب قد تخيروا ألفاظهم بعناية شديدة ، فلا غرو أن نجد غالبية هذه الألفاظ لازالت صالحة تماماً للكتابة العلمية المعاصرة . من هذه الألفاظ - على سبيل المثال لا الحصر - ألفاظ الجسمية والثقل والخفة ، والصلابة واللين ، والملاء والخلاص ، والقوة

(٦٣) مخطوط المكتبة الأحمدية بحلب - رقم ١١٢٢ : الكتاب الثالث ، المقالة الثانية ، الباب الأول ، الفصل الرابع ، الورقة ٢٥٢ .

الطبيعية والقوة القسرية وتوصيف القوة من حيث الشدة والمدة والعدة ، وبيان تعرض الجسم للجذب أو الدفع ، وتحديد كيفية تحريك الجسم بالرمي (أى القذف) أو الدحرجة أو الازاحة ، وهذه الألفاظ تعبر ولا شك عن معنى دقيقة متباينة .

ما أحرانا أن نفرّد مزيداً من الاهتمام لتراثنا العلمى العربى ، وما أولانا بالكشف عن ثروتنا الفكرية واللغوية العظيمة .

مصادر البحث

(١) المخطوطات :

١ - كتاب « المناظر » للحسن بن الهيثم .
المقالتان الرابعة والخامسة .

مخطوط مكتبة الفاتح باستانبول - رقم ٢٢٢٠٢٢٢ ورقة .

٢ - « قول فى المكان » للحسن بن الهيثم .
مخطوط مكتبة الفاتح باستانبول - رقم ٢٤٢٩ ف ٣ .

مخطوط المكتب الهندى بلندن - رقم ٧ / ٧٢٤ .

(نشرت هذه الرسالة دائرة المعارف العثمانية - حيدرآباد الدكن بالهند ، سنة ١٣٥٧ هـ (١٩٢٨ م) وتقع فى ١٢ صفحة) .

٣ - كتاب « تحصيل بهمينار » لبهمينار ابن المرزبان .

مخطوط المكتبة الاحدية بحلب - رقم ١١٢٢ ، ٢٤٠ ورقة .

٤ - كتاب « المعبر فى الحكمة » .

لابى البركات هبة الله بن ملنكا البغدادى .

مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول - رقم ٢٢٢٢٠٢٢٥ ورقة .

(ب) المكتب المطبوعة :

١ - « رسائل إخوان الصفا وعلان الوفا »

عنى بتصحيحه خير الدين الزركلى .

المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ،
عام ١٩٢٨ م .

٢ - مختار « رسائل جابر بن حيان » .

عنى بتصحيحها ونشرها پول كراوس .

مكتبة الخانجى ومطبعتها ، القاهرة
سنة ١٣٥٤ هـ .

٣ - « إحصاء العلوم » لآبى نصر الفارابى .

تحقيق الدكتور عثمان أمين .

مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة ، الطبعة
الثالثة ، عام ١٩٦٨ . ١٧٦ صفحة .

٤ - كتاب « الإشارات والتنبيهات »
للشيخ الرئيس ابن سينا .

مع شرح نصير الدين الطوسى .

تحقيق الدكتور سليمان دنيا .

دار المعارف بمصر - القسم الثانى - الطبعة
الثانية ، ٦٨ : صفحة .

٥ - « الكتاب الموسوم بشرح
الإشارات » .

للخواجة نصير الدين الطوسي ، والإمام
نفر الدين الرازي .

المطبعة الخيرية بالقاهرة - الطبعة الأولى ،
عام ١٢٢٥ هـ (١٩٠٧ م) .

الجزء الأول : ٢٤٣ صفحة ، الجزء الثاني :
١٤٦ صفحة .

٦ - كتاب « الشفاء - الطبيعيات »
للشيخ الرئيس ابن سينا .

تحقيق الدكتور محمود قاسم .

مراجعة وتقديم الدكتور إبراهيم مدكور .

دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ،
عام ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م) .

٧ - كتاب « النجاة » للشيخ الرئيس
ابن سينا .

طبعة روما سنة ١٩٥٣ م (بعد انتهاء كتاب
« القانون في الطب ») .

٨ - كتاب « النجاة » للشيخ الرئيس
ابن سينا .

طبع بمطبعة السعادة بمصر عام ١٣٢١ هـ ،
ثم عام ١٣٥٧ هـ (١٩٢٨ م) .

٩ - « سبع رسائل في الحكمة والطبيعيات »
للشيخ الرئيس ابن سينا .

مطبعة هندية بالموسكى بمصر عام ١٣٢٦ هـ
(١٩٠٨ م) ، ١٨٠ صفحة .

١٠ - « معيار العلم » للإمام محمد أبى
حامد الغزالى .

تحقيق الدكتور سليمان دنيا .

دار المعارف بمصر - الطبعة الثانية ، عام
١٩٦٩ م ، ٤٠٠ صفحة .

١١ - « المباحث المشرقية في علم الإلهيات
والطبيعيات » .

الإمام نفر الدين الرازي .

الجزءان الأول والثانى ، عام ١٣٤٣ هـ
(١٩٢٤ م) .

دائر المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن بالهند

١٢ - كتاب « ما بعد الطبيعة » لأبى الوليد
ابن رشد

دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن
بالهند ، عام ١٣٦٥ هـ (١٩٤٥ م) ،
١٨٣ صفحة .

١٣ - « تفسير ما بعد الطبيعة » لأبى
الوليد ابن رشد .

المطبعة الكاثوليكية ببيروت ،
سنة ١٩٣٨ م ، ١٩٤٢ م .

١٤ - « تلخيص ما بعد الطبيعة »
لابن رشد .

تحقيق وتقديم الدكتور عثمان أمين .

مصطفى البباني الحلبي بالقاهرة ، سنة
١٩٥٨ م ، ١٦٨ صفحة .

أسبوع العلم الثالث عشر بجامعة حلب
سنة ١٩٧٢ م ، مطبوعات المجلس الأعلى للعلوم
بدمشق سنة ١٩٧٤ م .

١٥ - « جابر بن حيان » .

للدكتور زكي نحيب محمود .

١٧ - « تراث العرب في الميكانيكا » .
للدكتور جلال شوقي .

سلسلة أعلام العرب - ٣ ، مكتبة مصر
بالقاهرة ، سنة ١٩٦١ م ، ٢٧١ صفحة .

عالم المكتب بالقاهرة ، سنة ١٩٧٢ م ،
١١١ صفحة .

١٦ - « أصول الميكانيك في الفكر العربي » ،
للدكتور جلال شوقي .



في القرآن والعربية : (٣) الصِّراع بين القُرَّاء والنُّحاة للشيخ محمد بن عبد الله بن محمد

* في الهمز

٢ - ومن قضايا الهمز ، إذا اجتمع الهمزتان ازداد الثقل ووجب التخفيف ، ولها حالتان :

الأولى : - إما أن تكون الهمزتان في كلمتين .

الثانية : - أو تكون الهمزتان في كلمة واحدة .

فإذا كانت غير همزة استفهام وذلك مثل (أئمة) بهمزتين . فقد قرأ ابن عامر وعاصم وحزمه والكسائي « فقاتلوا أئمة الكفر » (٢) « أئمة يهود بأمراء » (٣) « ونجعلهم أئمة » (٤) وغيرها من الآيات بتحقيق الهمزتين (٥) .

وهذا مذهب من يميل إلى تحقيق الهمز من القبائل العربية ؛ لأن ثلاثة من القراء السابقين كوفيون ، والكوفة متأثرة بقبائل شرق الجزيرة كتميم وغيرها ، وهم يحققون الهمز ، وإلهذا

يكون سيبويه قد جانبه الصواب حيث قال : « إنه ليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققا » (٦) ويسير ابن جني في طريقه حيث يقول « فالهمزتان لا تلتقيان في كلمة واحدة إلا أن تكونا عينين نحو سئال وستار (٧) ... »

لكن التقاؤهما في كلمة واحدة غير عينين لحن ، فابن جني يحكم على القراءة باللحن - وهي سبعية (٨) .

وسيبويه وأكثر النحاة لا يجيزون تلك القراءة وهم محجوجون بقراءة الكوفيين في (أئمة) وبما سمعه أبو زيد عن بعض العرب « اللهم اغفر لي خطيئتي » (٩) وعلى مثل هذا جاء :

فإنك لا تدري متى الموت جائئ
إليك ولا ما يحدث الله في غد (١٠)

(*) الحديث عن (الهمز) نعمة لما ورد في العدد السابق من المجلة

(٢) سورة التوبة آية ١٢

(٤) القصص آية ٥

(٦) الشاذية ٣ / ٦٥ والكتاب ٢ / ١٦٧

(٨) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ٣١٢

(١٠) الخصائص ٣ / ١٤٣

(٣) الأنبياء ٨٣

(٥) النشر ١ / ٣٧٨

(٧) الخصائص ٣ / ١٤٣

(٩) الشاذية ٣ / ٥٨

نزل القرآن بلهجاتها ، والقراءات جاءت على لغة
العرب قياسها (٧) وشاذها .

٣ - وفي سورة البلد آية (٢٠) « عليهم
نار مؤصدة » قرئ بالواو والهمزة من أوصدت
الباب وأصعدته إذا أطبقته وأغلقتة . وعن
أبي بكر بن عياش « لنا إمام يهمن مؤصدة
فاشتهى أن أسد أذنى إذا سمعته (٨) » ولعل
سببه انحباس الهواء في المزمار عند النطق انحباسا
تاماً ثم انفراج المزمار فجأة وهي عملية تحتاج
إلى مجهود عضلي كبير مع أن الهمز قراءة سبعة (٩) ؛
فقد قرأ أبو عمرو وحمزه وحفص بالهمز وباقي
السبعة بغير همز (١٠) .

٤ - ورد في مختصر شواذ القرآن لابن
خالوية (١١) في قوله تعالى « اشتتروا
الضلالة » (١٢) .

« أن همز الواو فيها لغة عن الكسائي
وهو عند البصريين لحن » ، وتلك اللهجة التي
جاءتنا عن الكسائي واعترف بها ، ورفضها
البصريون لهجة قيسية كما في المحتسب (١٣) ،
وعليها قول بعض العرب : « عصتوا الله
مهموزة » .

كما وردت في الآيات السابقة قراءات
أخرى :

(١) أن تخفف الهمزة الثانية يجعلها بين
الهمزة والياء (١) .

(٢) أن تزيد ألفا بين الأولى والثانية (٢)
كرامة اجتماع الهمزتين .

(٣) وآخرون من القراء يملنون إلى جعلها ياء
خالصة نص على ذلك أبو عبد الله بن شريح (٣)

وقد رمى الزخشرى هذه القراءة الأخيرة
باللحن (٤) فقال « وأما التصريح بالياء فليس
بقراءة ولا يجوز أن تكون » ، ومن صرح به
فهو لحن محرف (٥) وقد رد عليه أبو حيان
في البحر (٦) بقوله « وذلك في دأبه (يعنى
الزخشرى) في تلحين المقرئين » ، ولكنها
ثبتت قراءة فكيف تكون لحناً ؟ مع أمانة
الرواية وضحة السند ، وقرأ بها رأس
البصريين النخاعة أبو عمرو بن الغلاء ، وقارىء
مكة ابن كثير وقارىء مدينة الرسول (ص) نافع
ثم هي تصور لهجات القبائل العربية ومذاهبهم
في التحقيق والتسهيل ، وبين بين . وهذه القبائل

(٢) الشافية ٣ / ٥٨

(٤) النشر ١ / ٣٨٠

(٦) البحر ٥ / ١٥

(٨) الكشاف ٤ / ٦٤

(١٠) البحر سورة البلد

(١٢) البقرة آية ١٦

(١) الشافية ٣ / ٥٨

(٣) النشر ١ / ٣٧٩

(٥) الكشاف ١ / ٥٤٦

(٧) البحر المحيط ٨ / ٤٩٣

(٩) كتاب القراءات السبعة لابن مجاهد سورة البلد

(١١) ص ٢

(١٣) انظر ابن جني سورة البقرة آية ١٦

٥ - جاء في الجهرة من أن بني تميم : مزون
أحرفاً مما كان على وزن (فمّل) في موضع
العين من الفعل ألف ساكنة نحو : الفأس والرأس
والنكأس والرأل (١) . ولهذا يجب أن نكون
على حذر مما جاء في المصباح من أن بني تميم
ترك الهمز لزوماً في كلمة (رأس) (٢) ومن
التحقيق ما جاء في المختص عن الفارسي د أن
تيمما همز المثار - وغيرهم لا يهمزه (٣) وجاء
في ابن يعيش أن العجاج كان يهمز (المألّم)
(والخائم) وهو القائل : (فنحنف هامة
هذا المألّم) .

وعن أبي زيد أنه سمع عمرو بن عبيد يقرأ
(فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان)
فظننته قد لحن حتى سمعت العرب تقول :
دأبته وشأبته . (٤) في دأبته وشأبته وما ورد في سر
الصناعة يريد قلب الألف همزة - فاحكاه اللحياني
عنهم (نأر) (٥) في د نأر ، وهمز هذه الصيغ
الآخيرة قد أفضى إلى تقسيم الحركة الطويلة إلى
حركتين قصيرتين ، وهذا يوضح لنا كيفية
هروب بعض اللهجات من الحركات الطويلة
في المقاطع المقفلة .

٦ - يقول سيديويه د كل شيء كانت أوله
زائدة سوى ألف الوصل من (رأيت) فقد
اجتمعت العرب على تخفيف همزه (٦) وكان

سيديويه يشير إلى أن مشتقات تلك الصيغة
لا تدخلها الهمزة ، وعلى ذلك أي عدم الهمز
بقوله د وذلك لأنهم جعلوا همزة المتكلم
في أرى - تعاقب الهمزة التي هي عين الفعل
وهي همزة (أرى) وكأنهم فزوا من التقاء
همزتين (٧) وأرى أن كلام سيديويه لا يثبت أمام
الواقع اللغوي ، لأنه قد حكى عن العرب وقد
أرآهم وجاء في التهذيب د زيد يراى رأيا حسنا (٨) ،
وبيت سرافة البارقى :

أرى عينيّ مالم ترأياه

كلانا عالم بالترهات (٩)

وقد رواه أبو الحسن : مالم ترياه على
التخفيف ، ورواه أبو زيد في نوادره د مالم
تبصره . (١٠) ولا شاهد حينئذ فيها ، وفي اللسان
د مالم ترأياه ، (١١) وقد رواه الأخفش د مالم
ترياه (١٢) ، وقد عزا اللسان همز الأفعال
المستقبلة من هذه المادة (رأى) وهي :

يرى ، ترى ، نرى ، أرى - إلى تيم
الرباب فيقولون : هو يراى وترأى وترأى
وأراى ، وإذا قالوا : متى نراك ؟ قالوا : متى
نرآك ؟ مثل : نرعاك (١٣) ، وفي سر الصناعة :
يرآك بوزن يرعاك ، وعلى ذلك جاء قول
شاعرهم ، وهو للأعلم بن جرارة السعدي :

(١) الجهرة ٢ / ٢٩٣

(٢) المختص : س ١٢ ص ٢٨٧

(٣) سر الصناعة ١ / ١٠٢ ط الحلي

(٤) اللسان ١٩ / ٣

(٥) سر الصناعة ١ / ٨٦ ط الحلي

(٦) نوادر اللف : لأبي زيد / ١٨٥

(٧) المرجع السابق

(٢) المصباح ٣٧٦

(٤) ابن يعيش ١٠ / ١٣ ، سر الصناعة ٩ / ٨٣ ط الحلي

(٦) اللسان ١٩ / ٣

(٨) اللسان ١٩ / ٤

(١١) اللسان ١٩ / ٤

(١٤) ١ / ٨٧

(١٣) اللسان ٨ / ٥

ألم تر ما لاقيت والدمر أعصر
ومن يتعمل العيش يرأ ويسمع (١)

ويمكن أن تثير رواية البيت على هذا الوضع
شيئا من الشك ، لأن الشاعر من الرّباب ، وهم
يهمزون كل مشتقات (رأى) وهذا جاء
رواية اللسان :

ألم ترأ ما لاقيت والدمر أعصر
ومن يتعمل العيش يرأ ويسمع (٢)

وهي أصح لأن (ألم ترأ) في أول البيت
حيثئذ تناسب مع (يرأ ويسمع) في عجزه ،
وأعتقد أن الهمز في هذا ليس مقصورا على تم
الرّباب كما في اللسان ، بل يشمل المنطقة المجاورة
لها ومنها تميم ، وإذا علمنا أن الرّباب كانت
موصولة النسب بتميم ، وأن ديارها كانت على
كذب منها (٣) — صح ما استنبطته من أن
الهمز شمل تيمنا وتميما ، ودليل آخر وهو أن الحجاز
يتركون الهمز في الأمر فيقولون : رَ ذلك ،
واللائين : ربا ذلك ، وللجماعة : روا ذلك ،
وبنو تميم يهمزون كل ذلك فيقولون : ارأ ذلك
وارأيا (٤)

والقرآن الكريم نرى في صفحته آثار تلك
اللهجات في هذه الكلمة ، فقد ذكر أبو حيان
أنه نقل عن صاحب اللوامح : ألم ترأ كيف فعل
ربك بأصحاب الفيل (٥) ، بسكون الراء على

الأصل وعزاها لميم (٦) ، كما قرأ
أبو عبد الرحمن : ألم تره كيف ، ساكنة الراء ،
ويرى ابن جني في المحقّسب (٧) أن باب الهمز ، ضرورة
كقول الشاعر :

لعمرك إنني لأحب نجدا
وما أراى إلى نجد - ييلا (٨)

وكان الشاعر استعمل الأصل وهو الهمز
في الفعل . وهذا مثل قول الشاعر :

د فإنه أهل لأن يؤكر ما (٩) ،

كما قرأ قبل وشبل من سورة الفلق آية ٧
: أن رَأه استغنى ، بغير مدّ (البحر المحيط
٨ / ٤٩٣) وابن مجاهد يصف هذه القراءة
بأنها غلط (كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد
ص ٦٩٢ ، البحر ٨ / ٤٩٣) ولكن أبا حيان
يردّ عليه بقوله : وينبغي ألا يغلطه ، بل يتطلب له
وجهها ، وقد حذف الألف في نحو من
هذا قال :

« وصّ في الحجاج فيما وصّني »

يريد : فيما وصّاني فحذف الألف ... وإذا
صححت الرواية به وجب قبوله ، والقراءات
جاءت على لغة العرب قياسها وشاذها (البحر
المحيط ج ٨ ص ٤٩٣) فأبو حيان يدافع عن
القراءة بصحة الرواية ، على أن النبر هنا نبر

(١) سر الصناعة ١ / ٨٧ ، شرح الشافية ٤ / ٣٢٣

(٢) مسهم قائل العرب ٢ / ٤١٥

(٣) سورة الفيل آية ١

(٤) اللسان ١٩ / ٥

(٥) اللسان ١٩ / ٥

(٦) البحر ٨ / ٥١٢

(٧) ٢ / ٢٧٣

(٨) ما يميز الشاعر في ضرورة للتزاور لوحة ٥٠٥

(٩) الأشموني ٤ / ٣٤٧ ، المنتخب ٢ / ٩٨٢

ثوترو هو في قبائل شرق الجزيرة وتمثله هم
وجيرانها ، وهو يكمن في الهمز ، وأما قراءة
العامية (أن رآه) فالنبر فيها نبر طول وهو
في الحجاز .

٧ - عزى إلى هذيل أنها تبدل الواو
المكسورة المصدرة همزة فيقولون د إشاح
في معنى وشاح (١) ، الدة في ولدة (٢) ،
قال الهذلي :

له لدة سفع الوجوه كأنما
يصفعهم وعك من الموم ماهن (٣)
كما يقولون إعاء في وعاء ، (٤) وشاهده
قول الأعمى :

هواء مثل بملك مستميت
على فما في إعائك كالخيال (٥)
وعلى لغة هذيل تلك قرأ ابن جبير قواه
تعالى د ثم استخرجها من وعاء أخيه (٦) ،
(إعاء) بإبدال الواو المكسورة همزة (٧) ،
ولهذا أرجح أن الدكتور شوقي ضيف قد ألبس
عليه حين قال د وكانت قبيلة هذيل تقول
« وشاح » بدلا من « إشاح » (٨) ، ولكنني
أرجح العكس .

ولم يقتصر الأمر على الواو المكسورة بل
وردت شواهد على إبدال الواو المضمومة همزة

في شعر معقل بن خويلد ومالك بن خالد الخناعاتي
وهما من هذيل (٩) . ويرى ابن جني أن همز
(وعاء) بالضم أقيس من همز المبكسور الواو ،
على أنه يلاحظ أن قراءة (إعاء) ذكرها ابن
جني في شواذ القراءات (١٠) .

٨ - وقرأ قوم (لاسل بني إسرائيل)
البقرة ص ٢١١ وأصله ؛ اسأل . وهي لهجة
عبد القيس (١١) فنقل حركة الهمزة إلى السين
وحذف الهمزة التي هي عين . ولم تحذف همزة
الوصل ، لأنه لم يعتد بحركة السين لعروضها وفي
هذه القراءة انتقل موقع النبر إلى المقطع الأول
وقال صاحب التصريح (١٢) د ولم يحك ذلك أحد
من البصريين ، على حين اعترف بها وحكاها
لغة لهم الكسائي والفراء د التصريح على التوضيح
١/٢ : ليس في كلام العرب لابن خالو ص ١٢
وهذا يؤكد أن رواية الكوفيين عن العرب
قاعدتها أوسع ، ودائرتها أشمل .

٩ - ونعرض الآن لصيغة (مهموزة)
أصباها التشويه في بنيتها حيث حرفت في المصادر
المختلفة ونسبت لهجة لقبيلة هذيل .

فقد ورد في شعر أبي خراش الهذلي .

جمعت أمورا ينشد المرء بعضها
من الحلم والمعروف والحسب الضخم (١٣)

- | | | |
|---|-------------------------------------|-------------------------------|
| (١) الجهرة ١٦١/٢ | (٢) إبدال السكيت ٥٧ | (٣) ديوان هذيل ٩/٣ دار السكيت |
| (٤) عبث الوليد ١٨٣ دمشق | (٥) ديوان هذيل ٨٣/٢ | (٦) سورة يوسف آية ٧٦ |
| (٧) البحر المحيط سورة يوسف آية ٧٦ | (٨) تاريخ الأدب العربي ١١٤/١ ط أولى | |
| (٩) ديوان الهذليين ٤/٣ ، ٦٥ | | |
| (١٠) المختص في شواذ القراءات ٣٤٨/١ ط المجلس الأعلى . والوعاء ما يحفظ فيه المتاع ويصان . | | |
| (١١) البحر ١٢٦ ، ليس في كلام العرب ٦٨ | (١٢) ٤٠١/٢ | |
| (١٣) ديوان الهذليين ١٥٣/٢ | | |

وعقب الشارح عليها قائلا :

المرء - لغتهم . وفي اللسان (١) ساق للبيت السابق وضبطه (المرء) بكسر الميم وبالهمز ، ثم عقب عليه « هكذا رواه السكري بكسر الميم وزعم أن ذلك لغة هذيل (٢) »

وأمام هذا التناقض قمت باحصائية في ديوان هذيل متعقبا كلمة (المرء) فيه وهي :

أ - (المرء) وردت مرة واحدة من غير همز وبالتشديد ، في شعر أبي خراش الهذلي (٣)

ب - (المرء) وردت مرة واحدة في شعر أبي خراش في الشاهد السابق ، بكسر الميم وبالهمز .

ج - (المرء) ضبطت في نسخة بكسر الميم وفتحها مع الهمز (٤)

د - (المرء) وردت عشر مرات بفتح الميم وبالهمز على المبيع الفصيح في شعر أسامة ابن الحارث الهذلي (٥) ، والمتنخل الهذلي (٦) ، والمعطل (٨) ، ومعتل بن خويلد (٩) وساعدة ابن جؤية (١٠) واللاء لم في مكانين من الديوان (١١) وأبي خراش (١٢) ، وأبي المثلم

الهذلي (١٣) وأبي العيال الهذلي (١٤)

ثم اتجه البحث إلى القرآن المعجز في قراءاته فوجد قراءة للحسن والزهرى « بين المرء وقلبه » من غير همز وبالتشديد (١٥) وقراءة للزهرى وقتادة « بين المرء وزوجه » (١٦) من غير همز وبالتشديد (١٧)

ولكن ما الصلة التي بين الحسن والزهرى ، وبين هذيل حتى تتمثل فيهما لهجتهما ؟ تفيدنا كتب الطبقات أن ابن شهاب الزهرى ينسب إلى زهرة بن كلاب وينتهي نسبها إلى قريش ، وهو من حفاظ المدينة (١) ، وأما الحسن البصري فبعد لآي عشرت على رواية أضاعت لي معالم البحث - في تاج العروس (١) مفادها أن الحسن قال يوما أمام جلسائه : « توضيت ، بالياء فقيل له : أتلحن يا أبا سعيد ؟ فقال : إنها لغة هذيل ، وفيهم نشأت .

وأمام هذا التقصي أرجح :

(أ) أن - المرء - بكسر الميم وبالهزمة ليست لهجة هذلية ، لأنها جاءت في ديوانهم في البيت نفسه من غير همز وبالتشديد ، وحين جاءت في غير الديوان بالهمز وكسر الميم (زعم

(٢) أنظر التاج (مرأ) والخزانة ٣١٩/٢

(٤) كتاب شرح أشعار الهذليين ٣٨٤/١

(٦) الديوان ١٧/٢

(٨) الديوان ٣ / ٦٥ هامش

(١٠) الديوان ٢ / ٧٠ ، ٨٣ (١١) ١٥٠/٢

(١٣) الديوان ٢ / ٢٥٣

(١٥) البحر : ٤٨٢/٤ ، المختص : ٣٢٤/١ تيمور

(١٧) مختصر شواذ القرآن لابن خالويه : ٨ ، المختص : ١٠٣/١

(١٩) ١٣٤/١

(١) ١٥٠/١

(٣) ديوان الهذليين ٣٨٤/١

(٥) ديوان الهذليين ٢٠٢/٢

(٧) الديوان ٤٤/٣

(٩) الديوان ١ / ٦٩١

(١٢) الديوان ٢ / ٢٦

(١٤) الأنفال : ٢٤

(١٦) البقرة : ١٠٢

(١٨) سفة الصفرة : ٧٧/٢ وتذكرة الحفاظ : ١٠٢/١

الراوى أنها لغة هذيل (فالرواية لم تفارق منطقة الزعم والظن ، والظن لا يغنى من الحق شيئا ، ومحال أيضا أن ينطق أبو خراش الهذلي بصورتين مختلفتين ، بالهمز وبدونه .

(ب) أن — المرء — بفتح الميم وبالهمز وهى الفصحى ، ليست لهجة هذيل أيضا ، لأن كتابة الديوان وقعت تحت تأثير الفصحى ، فصقلت وهذبت . كما نرجح أن هذا الخلط فى المواد اللهجية سببه أن هذه المواد اللهجية — حين عبرت التاريخ الطويل على أيدى الرواة — لم يكن السبيل إلى نقلها التلق والمشافهة ، بل كان السبيل وحده هو التخمين والاجتهاد وتفاوت الذوق بين الرواة ، ولهذا أصيبت بالمسوخ والخلط حتى أن ديوان القبيلة — وهو الأثر الباقي من دواوين القبائل — لم يسلم من هذا العبث وسبق أن أثار الدكتور إبراهيم أنيس فى كتابه اللهجات العربية (١) نقدا بناء حول هذا .

(ج) أن — المرء — من غير همز بالتشديد هى لهجة هذيل ، يؤيد هذا أن الحسن البصرى قرأها ، وقد أثبت أن الحسن البصرى نشأ فى ديار هذيل ، فانعكس على نطقه بعض لهجاتها .

(د) أن هذيل تقع فى منطقة الحجاز ، فالتأثير والتأثر ، والاخذ والعطاء قائم بينهما ولهذا تلقفها عنهم ابن شهاب الزهري ، والمدنى الحجازى ، وكثيرا ما قرن الفراء الحسن البصرى من أهل الحجاز فى عدم همز بعضهم الصيغ (٢) ويرى ابن جنى فى تحليله للهجة هذيل (المرء)

بتشديد الراء وعدم الهمز : « أن يكون أراد تخفيف المرء على قراءة الحسن وقتادة ، إلا أنه نوى الوقوف بعد التخفيف ، فصار (المرء) ثم ثقل للوقوف على قول من قال : هذا خالد ، وهو يجعل ، ومررت بفرج ، ثم أجرى الوصل مجرى الوقف فأقر الثقيل بحاله ، كما جاء عنهم قوله .

ببازل وجناء أو عـيـل
كأن مهواها على الكـلـكـل

يريد : العيـل والكـلـكـل وكبيت الكتاب :
(ضخمها يحب الخلق الأضخمها)

فيمن فتح الهمزة ، يريد الأضخم فثقل ثم أطلق ثم يقول ابن جنى : وفى هذا « شذوذان » أحدهما الثقيل فى الوقف ، والآخر لإجراء الوصل مجرى الوقف ، لأنه من باب ضرورة الشعر ، (٣)

فابن جنى رفض هذه القراءة وحملها على الشاذ لأنه وقع تحت سطوة القواعد ومعيارياتها فحملها على الضرورة بدليل أنه خرج هذه القراءة التى مثلت لهجة هذيل على باب الشعر .

أما الحديث عن لهجة هذيل من الجانب الصوتى فيكاد ينحصر فى سقوط الهمزة وإلقاء حركتها على ما قبلها فينقل النبر إلى المقطع الأخرى من الكلمة ويضعف الساكن السابق عليها وهذا النبر فى الكلمة نبر توتر وهو فى هذيل كما أثبتنا .

١. — وفى قوله تعالى « تلك إذا قسمة ضيزى » (٤) ، يقول الفراء فى معاني القرآن (٥) « والقراء جميعا لم يهزوا ضيزى ... » ثم يؤكد

(١) ٤٤ ط ٣ (٢) معاني القرآن للفراء : ٣٥٦/٢ (٣) المحتسب لابن جنى ١٠١/١ المجلس الأعلى .

(٤) سورة النجم ٢٧ ، يعنى : جائزة أو منقوصة بخاتمة أو غير مستوية ، وجميعها متناثرة فى المعنى .

(٥) ١٨/٢

٣ - ما أنشده الأَخفش :

فإن تنأ عنها تقتضيك وإن تغب
فسهمك مضووز وأنفك راغم (٥)

٤ - وما ورد في المخصص (٦) عن أبي زيد
أنه سمع رجلاً من (غنى) يقول : هذه قسمة
ضئزى ، بالهمزة ، ولهذا نعجب من أبي حاتم
أيضاً حيث جاء عنه : لا يجوز الهمز في ضئزى
لأنها إذا همزت صارت صفة ، وفعل لا تكون
صفة ، ولو كانت مهموزة لكانت ضئوزى ،
فأبو حاتم ينكر الهمز مع وروده في قراءة
سبعية ، كما أنه سمع من قبيلة عربية وهي (غنى)

أحمد علم الدين الجندى

ذلك مرة أخرى بقوله : ولم يقرأ بها - أى
بالهمز - أحد نعلمه ، وعجبنا من الفراء ،
فقد جاء عن أبي حيان (١) : وقرأ الجمهور ضئزى
من غير همز ، والظاهر أنه صفة على وزن فعلى
بضم الفاء ، كسرت لتصح الياء ، ويجوز أن
تكون مصدرًا على وزن فعلى كذكرى ووصف
به ، وفي النشر (٢) أن ابن كثير قرأ ضئزى -
بالهمز ، ووجهه أنه مصدر كذكرى ، ويؤكد
ما جاء في النشر :

١ - ما جاء في السبعة (٣) لابن مجاهد ،
حيث قرأ ابن كثير بالهمز .

٣ - ما ورد عن الكسائي من قوله ضاز
يضز ضئزى ، وضاز يضوز ضوزى ، وضاز
يضاز ضازاً (٤) .



(١) البحر المحيط ١٦٢/٨

(٢) ٣٩٥/٢

(٣) كتاب السبعة ٦١٥

(٤) البحر ١٦٢/٨

(٥) البحر ١٥٤/٨

(٦) ٢٠٩/١٢

تعريف ونقد

لأبي العباس
أحمد بن عبد الرحمن الشيرازي



تحقيق: الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم تصريف ونقد: الأستاذ محمد عبد الفتاح حسن (١)

نقلنا عن «نفح الطيب» للمقرئ فهم كافية للتعريف
بهذا الشارح الشاعر الأديب المتبحر الكثير
الاستطراء، الذي كان قد رحل من الأندلس
إلى المشرق، فزار الشام، وشغف بها، فلما رحل
عنها قال أبياتا في التشوق إليها يقول فيها:

يا جيرة الشام: هل من نحركم خبر؟
فإن قلبي بنار الشوق يستعر
بعدت عنكم، فلا والله بعدكم
ما لذ للعين لا نـرم، ولا سهر
إذا تذكرت أوقانا نأت، ومضت
بقربكم كادت الأحشاء تنفطر
كأنني لم أكن «بالنيربين» ضحى
والغيم يبكي ومنه يضحك الزهر
والورق تفسد، والأغصان راقصة
والدوح يطرب بالتصفيق، والنهر

واقعد سبق لشرح المقامات للكروبيس أن
نشر مطبوعا في بولاق سنة ١٣٠٠ هـ بتصحيح
محمد الحسيني، وهي نسخة نفدت من زمان طبعها،
وبات الباحثون والأدباء ينتظرون طبعة جديدة

بنينا إلى أن نقول
هنا شيئا عن «مقامات
الحريري»، وابتدأنا فن المقامات في الأدب
العربي، ومنشئ المقامات غير الحريري إلى عصرنا
الحديث، واهتمام المستشرقين بمقامات الحريري
وترجمتهم لها، أو شروحيهم عليها، بعد المقدمة
الجليلة التي صنعها الأستاذ المحقق الكبير محمد أبو
الفضل إبراهيم، والتي استعان في معارفها - فيما
يختص بعلماء الاستشراق - بما كتبه إليه المستشرق
الباحث العلامة الدكتور أرنست بانرت أستاذ
اللغات الشرقية في جامعة فيينا بالنمسا.

والحق أن الترجمة التي صنعها الأستاذ المحقق
للحريري صاحب المقامات هي - على إيجازها -
من أدق ما يكتب عن الرئيس أبي محمد القاسم
المعروف بالحريري، كما أن الفصل عن شروح
مقامات الحريري يعد من أوعى الفصول عن
هذا الموضوع الذي لم يترك فيه المحقق مجالا
لقاتل، ولا سؤالا لسائل. أما الترجمة الوجيزة
لأبي العباس الشيرازي صاحب الشرح الذي نهض
الأستاذ أبو الفضل بعد، بتحقيقه ونشره، والتي

لهذا الشرح على أساس من التحقيق العلمى الحديث، ومقابلات النسخ المخطوطة . فنهض الأستاذ المحقق محمد أبو الفضل إبراهيم بهذا العبء - وهو كفاء له، وقادر عليه، بما عودنا من تحقيقات دقيقة لكتب كثيرة - ورجع إلى النسخة المطبوعة فى بولاق فجعلها من مصادر تحقيقه، كما رجع إلى نسخ خطية ثلاث أخرى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت أرقام مختلفة، بعضها كامل، وبعضها ناقص .

وعلى الرغم مما بذله المحقق الفاضل الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم من جهد فى التحقيق، وقعت بعض أوهام فى الضبط ووزن الشعر ورسمه وأسماء الأعلام ونسبة الشعر إلى أصحابه الحقيقين، نرى من الوفاء للعلم، والبر بالبحث أن نشير إليها هنا، وفاء لصاحبنا المحقق الفاضل، وإنصافاً للحق الذى عودنا دائماً أن يستمع له، ويصغى إليه . وبالله التوفيق :

* صفحة ٢ من مقدمة المحقق - السطر الثانى عشر، ورد اسم (الحجاج بن يوسف القضاءعى) من علماء الأندلس الذين وفدوا من المغرب على الحريرى وقرءوا عليه مقاماته . وفى الاسم وهم، وصوابه : (أبو الحجاج يوسف القضاءعى) كما ورد صحيحاً فى كلام الشربش نفسه صفحة ٥ من الشرح .

* صفحة ٦ من مقدمة المحقق - السطر الأول أن بطل المقامات أبازيد السروجى هو كنية لرجل حقيقى اسمه « المطهر بن سلام » بالميم فى آخره . وفى هامش صفحة ٢٧ من الشرح نفسه

أن اسمه « المطهر بن سلال » بالراء فى آخره . والذى نعرفه أن هذا الاسم ورد فى الجزء الثالث من (أنباء الرواة) للقفطى الذى حققه الأستاذ أبو الفضل هكذا : المطهر بن سلال ، بالراء فى آخره ص ٢٧٦ . ولما ترجم له صدقنا العلامة الكبير المرحوم خير الدين الزركلى فى « الأعلام »، جعله بالراء كذلك ، وقال فى الهامش : (سلال ككتمان ، كلمة أعجمية ، أظنها : سلال ، بزيادة الألف ، وهى بالفارسية الرئيس المقدم ، ثم حذفت وشددت اللام) ومن هنا يتضح أن إيرادها بالميم فى ص ٦ من مقدمة التحقيق وهم لا سند له .

* صفحة ٨٧ - ذكر المحقق أن الأبيات التى أنشدها أبو على :

لا تفخرن بلحية كثر منابتها طويله
يهوى تفرقها الربا ح كأنها ذنب الحسيه
قد يدرك الشرف الفقى يوما ، ولحيته قليله

هى فى « اللسان » من غير نسبة إلى صاحبها، وفات المحقق الفاضل أن يذكر هنا أنها فى صفحة ٢٨٢ من « الأمالى » لأبى على القالى منسوبة إلى أبى العتاهية .

* صفحة ٩٦ - السطر الخامس ، ورد البيت الآتى من شعر البيهترى هكذا :

حملت عليه السيف، وعطفك ما انشئ
ولا يدك ارتدت ، ولا حده نبا
وصدر البيت مضطرب مكسور الوزن
وصوابه كما فى ديوان البيهترى :

حملت عليه السيف ، لا عطفك انثى
ولا يدك ارتدت ، ولا حده نبا

* صفحة ١٠٠ - السطر الخامس عشر ،
ورد البيت الآتى مضبوطا بالشكل هكذا :

وتبسم عن لؤؤ كالوايع
تشقق عنه الرقاة الجفوقا
وتشديد السين المسهلة ، وكسر الميم من
الفعل : تبسم ، خطأ وصوابه :

وتبسم بكسر السين ، وضم الميم . والواقع
أن ضبط المحقق لها بتشديد السين يوهم أن اللفظة
مصدر ، مع أنها فعل مضارع .

* صفحة ١٠٩ - السطر الخامس : ورد
البيت الآتى مرسوما هكذا :

وأحسن ما فى الوجوه العيو
ن وأشبه شىء بها النرجس

وهذا الرسم ، يجعل نون العيون فى الشطر
الثانى ، يخالف الوزن ويكسره . وحق النون
أن تكون فى آخر الشطر الأول ، لأن البيت
من البحر المتقارب ، وهذا الرسم يكسره .

* صفحة ١١٨ - السطر الأول ، ورد البيت
الآتى هكذا :

بعثت إليه بعذره
من خاطرى أو فى السرور
لا تعذله فأنما
أهدى الحدود إلى الثغور

وضبط التاء من الفعل « بعثت » ولم يسناده

إلى تاء المتكلم خطأ ، وصوابه : بعثت بإسكان
التاء - وهى تاء التأنيث لا تاء المتكلم . ومن
حسن الحظ أن المحقق الفاضل قد صوبها فى جدول
الأخطاء الملحق بذيل الكتاب ، وهو جدول
ناقص ، فقد فات الأستاذ أبا الفضل تصويب
أوهام أخرى كثيرة .

* صفحة ١٢٢ - السطر الثامن عشر ، ورد
البيت الآتى هكذا :

بداهته مثل تفكيره
مضى تلقه فهو مستجمع
بالقاف فى الكلمة الأخيرة من البيت ،
والصواب أنها : مستجمع ، بالميم .

* صفحة ١٢٦ - الهامش ، وردت هذه
العبارة : (لم يرد البيتان فى ديوان المطبوع)
والصواب : (فى ديوانه المطبوع) .

* صفحة ١٣٩ - السطر الثالث ، ورد فى متن
الشارح هذه النسبة : (ولابن الجد) ، ولم يذكر
لنا المحقق شيئا عن « ابن الجد » هذا مع حرصه على
التعريف الوجيز ببعض المغمورين كما صنع فى
ص ١٢٤ - مثلا - حين عرفنا « بابن لبال »
وهو أحد شراح مقامات الحريرى . أما ابن الجد
فمن أهل الأندلس . وانظر بعض أخباره فى
« المغرب » ج ١ ص ٣٤١ ، وفى « الصلة » لابن
بشكوال ص ٥١٤ ، وفى ديوان ظافر الحداد
ص ١٣

* صفحة ١٥٤ - السطر الثامن عشر ، وردت
هذه العبارة : (فوالله ما علمته إلا ضيق الطعن)

وهو خطأ صوابه : (العطن) أى الصدر ، بتقديم
العين المهملة على الطاء المهملة .

* صفحة ١٩٦ - السطر الأخير ، ورد البيت
الآتى من شعر ابن لبّال هكذا :

كأننى - والعصا تدب معى -

قوسها ، وهى فى يدى وتر

وعجز البيت مكسور مختل الوزن لأن به
نقصا لم يصححه المحقق ، وصوابه :

كأننى - والعصا تدب معى -

قوس لها ، وهى فى يدى وتر

* صفحة ٢٤٠ - السطر السادس عشر ، ورد
اسم « عريف القوافى » ، الراء ، وصوابه : عويف
بالواو . وهو عوف بن معاوية بن عقبة ، وكان
شاعرا من أشرف قومه ، وطارت شهرته فى
الدولة الأموية بالشام ، وخاصة بمدائحه فى
الوليد بن عبد الملك ، وأخيه سليمان ، وعمر
ابن عبد العزيز ، وتوفى فى نحو سنة مائة
من الهجرة .

* صفحة ٢٥٦ - السطر السابع عشر ، ورد
البيت الآتى لبعض الشعراء من ثلاثة أبيات ،
مضبوطا بالشكل الآتى :

وحلة كساها كالحلى فى التهايه
فاستبطنت مديحا كالأرى فى نصابه
فراح فى ثيابى ورحت فى ثيابه

بضبط لفظة (كالحلى) فى البيت الاول
بتشديد الياء ، وهو خطأ به ينكسر الوزن ،
والصواب : كالحلى ، بفتح الحاء ، وسكون اللام ،

* صفحة ٢٦١ - الهامش ، علق المحقق الفاضل
على البيت الآتى :

وعزمة بعثتها همه زحل
من تحتها بمكان الترب من زحل

بقوله : (لم أجده - يعنى هذا البيت -
فى ديوانه - يعنى ديوان أبى الطيب كما ذكره
الشارح الشريشى - كما لم أجده فى شعر أبى طالب
المتنبى الأندلسى ، فيما أورده ابن بسام فى
الذخيرة ، وعلى بن سعيد فى المغرب ...) ،
وأقول : لا داعى لهذا العناء والبحث فى كتب
الأدب الأندلسى عن قائل هذا البيت ، فإنه من
شعر أبى الطيب المتنبى - كما قال الشريشى - وهو
مثبت فى كل طبقات ديوانه ، وهو من قصيدة
المتنبى التى مطلعها :

* أعلى الممالك ما يبنى على الأسفل *

وانظر ديوان المتنبى شرح عبد الرحمن
البرقوقى ج ٢ ص ٢٨ ، وانظر أيضا مختارات
البارودى ، ج ٢ ص ٣٧

* صفحة ٢٧٩ - السطر العاشر ، ورد
البيتان الآتيان :

إذا لم يعنك الله فيما تريده
فليس لخلق إليه سبيل
وإن هو لم يرشدك فى كل مسلك
ضلت ، ولو أن السماك دليل

منسويين لأبى نواس ، بالنون والواو ، وهو
خطأ مطبعى - لا خطأ من الشريشى شارح

المقامات - وصوابه : لأبي فراس ، بالفاء والراء ، وهو أبو فراس الحمداني المشهور ، والبيتان في ديوانه ص ١٥١ .

* صفحة ٢٨٢ - السطر الثامن عشر ، وردت لفظة «إبالة» في البيت الآتي مضبوطة بالشكل بتشديد الباء هكذا :

في كل يوم من ذواله
ضخت يزيد على إبالة

والصواب هنا : إبالة ، بفتح الباء من غير تشديد . فهي : الإبالة بالتشديد ، والإبالة بالتخفيف ، والأبيل ، والأبيلة . ويجب أن تكون في البيت مخففة ليستقيم الوزن ، فإن ضبطها بلغة التشديد يكسر الوزن . ومن حسن الحظ أن المحقق الفاضل تنبه لهذا الوهم فصوبه في جدول الخطأ والصواب بآخر الكتاب .

* صفحة ٢٨٣ - السطر الخامس ، وردت هذه العبارة هكذا : وقال ذو الرمة في الخمر :

رمى فأخطأ ، والأقذار غالية

فانصعن ، والويل هجيراه والحرب

بأعجام الخاء من كلمة «الخمر» - كأنها الشراب المسكر - والصواب : الخاء المهملة بغير نقط ، وهي : الخمر ، جمع حمار ، الحيوان المعروف انظر الشوايح للدكتور محمد صبرى ص ٣٤ .

* صفحة ٢٨٨ - السطر التاسع ، ورد البيتان الآتيان المرويان لحسان بن ثابت

الأنصاري شاعر الرسول عليه السلام هكذا :

إن يأخذ الله من عيني نورهما
ففي لساني وقلبي - منهما نور
قلب ذكي ، وعقل غير ذي دخل
وفي قلبي صارم كالسيف مأثور

والسطر الأخير من البيتين مكسور ، وخطأ في الرواية ، وصوابه كما في ديوان حسان ابن ثابت صفحة ١٢٨ ، شرح محمد الجناني :

قلب ذكي ، وعقل غير ذي دخل
وفي قلبي صارم كالسيف مأثور

ومع رجوع المحقق الفاضل إلى ديوان حسان ص ١٦ للتأكد من الرواية ومن وجود الشعر ، فإنه قد حرف النص ، ولم يقومه فبدأ على غير أصله .

* صفحة ٣٠٤ - السطر الثاني عشر ، ورد البيت الآتي مضبوطاً بالشكل هكذا :

كأنه لون خدى حين تدفعني
كف الرشيد ، لأمر يوجب الغسلا

بإسكان السين المهملة من كلمة الغسل ، والصواب تحريكها بالضم ، لأن البيت قبلها الذي نظمت جارية «الرشيد» على غرارته هو :

كأنه خد معشوق يقبـله
فم الحبيب ، وقد أبقى به خجلا

وتحريك السين هنا في لفظة «الغسل» هو إحدى الضرورات الشعرية التي لا يلجأ إليها الفحول من الشعراء .

* صفحة ٢٢٤ — السطر السادس عشر ،
ورد بيتان نسبهما المحقق الفاضل وهما إلى جرير
الشاعر . وعلق المحقق عليهما بقوله : (لم يرد
البيتان في ديوانه) يعني ديوان جرير .
والبيتان هما :

كأنما خلقت كفاه من حجر
فليس بين يديه والندى عمل

يرى التيمّم في بر ، وفي بحر
مخافة أن يرى في كفه بلل ١

وبالطبع لن يجد المحقق الفاضل هذين البيتين
في ديوان جرير ، وله ظل يبحث عنهما إلى أبد
الآبدن ! فالبيتان للشاعر حزين الدؤلى ، وليسا
للشاعر جرير . وقد ورد البيتان منسوبين إلى
قائلهما الصحيح : الحزين ، أو حزين الدؤلى ،
أو الديلى ، في المؤلف والمختلف ، للامدى
ص ٨٨ ، ٨٩ . أما ورودهما في الأمالى ، وفي
شرحه للبكرى ، وفي شرح المقامات للشريشى
منسوبين إلى جرير — أو الجرير — الدؤلى فهو
وهم تذهبه إليه العلامة المحقق الكبير عبد العزيز
الميمنى أستاذ العربية بجامعة عليكرة بالهند ،
وصححه في « سمط اللآلى » ص ١٩٤ من طبعة
لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة
١٩٣٦ . والشاعر « الحزين الديلى » من شعراء
العصر الأموى ، وكان هجاء خبيث لسان
يتكسب بالاستطالة على الناس بأهاجيه .

* صفحة ٣٤٢ — السطر السادس . ورد
البيت الآتى :

إذا لم أجد في بلدة ما أريده
فعندى لآخرى عزمة وركاب

منسوبا إلى الشاعر أبى الطيب المتنبي .
وقد وهم الشريشى شارح المقامات في هذه النسبة .
والحق أن البيت لآبى فراس الحمدانى ، وليس
لآبى الطيب . وكان واجبا على المحقق الفاضل
أن يصحح هذا الوهم . ولكن يبدو أنه اطمان
إلى الشريشى ووثق به في النسبة فأوقعه فيما وقع
هو نفسه فيه ...

وهذا البيت هو من القصيدة البائية لآبى
فراس التى مطلعها :

أما لجيل عندكن ثواب ولا لمسىء عندكن متاب

* صفحة ٢٦٥ — السطر السادس ، وردت
لفظة « السجن » في البيت الآتى :

وأزور السجن لولا حاكم الاسكندرية

مجرورة بالكسرة ، والصواب نصبها بالفتحة .
وهى من أوهم الطبع ، ولم تصحح في ذيل
الكتاب .

* صفحة ٢٦٩ — هامش الصفحة . ورد
فعل : « يستبسلها » بسين وسين ، كأنه من
البسالة والاستبسان . وهو وهم مطبعى ،
والصواب : يستبيل ، أى يأخذ بول الإبل بيده .

* صفحة ٣٨٥ — بالهامش . جاء أن هجاء
ابن أبى نعيم للقاضى يحيى بن أكرم هو في ديوانه
— يعنى ديوان ابن أبى نعيم ... فمن ابن أبى نعيم
هذا ؟ وأين ديوانه الذى يذكر المحقق الفاضل
أن هجاء القاضى يحيى بن أكرم في جزئه الثانى

ص ٣٠٢ ؟ وكنت أرجو أن يقف المحقق الفاضل وقفة قصيرة عند التهم الشنيعة التي اتهم بها القاضي ابن أكرم لعله يدفعها عنه أو يخفف من غلوها، كما فعل في تحقيقه لكتاب «ثمار القلوب» للشمالي حين ذكر في هامش صفحة ١٥٨ أن ابن خلدون في المقدمة قد فند ما نسب إلى يحيى بن أكرم من اللواط الذي اشتهر به حتى صار يقال في الإضافات المشهورة : « لواط يحيى بن أكرم » . وفي الجزء الثاني من « طبقات الحنابلة » دفاع كريم عن هذا القاضي الذكي المتقدم في الفقه وأدب القضاة ، والذي اتصل بالمأمون العباسي ، فولاه منصب قاضي القضاة ، وأمر ألا يحجب عنه ليلا ولا نهارا ، وأفضى إليه بأسراره ، وشاوره حتى في خاص أموره ...

* صفحة ٢٨٦ — السطر الحادي عشر ،
ورد البيت الآتي هكذا :

وكنا نرجى أن نرى العدل بيننا
فأعقبناه بعد الرجاء قنوط

زيادة هاء في آخر الفعل : فأعقبنا . وهي زيادة لا محل لها ، فوق أنها تكسر وزن البيت ، والصواب حذفها ، فيصبح البيت هكذا :

وكنا نرجى أن نرى العدل بيننا
فأعقبنا بعد الرجاء قنوط

* صفحة ٤٠٣ — السطر العاشر ، ورد البيت الآتي من شعر ابن خفاجة الأندلسي الذي يعرف أيضا بالخفاجي ، هكذا :

كم دمع عين فيك قد أجرته

وقلب صب فيك قد طارا
وصدر البيت مكسور لزيادة لفظ فيه ، وهو (قد) ؛ وهي زيادة لا أدري إن كانت من الناسخ أم من المحقق ، أم من الطابع . ولكن المحقق - على كل حال - لم يصححها ، والصواب حذف : قد ، ليصبح البيت هكذا :

كم دمع عين فيك أجرته
وقلب صب فيك قد طارا

وواضح بالطبع أن « قد » تحذف من الصدر ، ولكنها تبقى في العجز ، والبيت من بحر السريع .

* صفحة ٤٠٤ — السطر الرابع ، ورد البيت الآتي من شعر العباس بن الأحنف في طيب رائحة الفم ، هكذا :

وتذكرت بالتفاح منك سوالفا
وبالراح طعما من مقبلك العذب
وواضح أن الصدر مكسور ، لزيادة «الواو» على الفعل : تذكرت وهي زيادة لا محل لها . ولعلها من أوهام الطبع ، ولكنها لم تصحح في ثبت التصويبات بآخر الكتاب .

* صفحة ٤٠٤ — السطر الحادي عشر ، وردت الآيات الآتية من شعر أحمد بن محمد الغساني هكذا :

له مبسم برقه خاطف
عقول الرجال إذا ما ابتسم

أقول له إذ بدا دره
شهدنا لصانعه بالحكم

أرى الدر يشقبه الناظمون
وما ثقبوا إذا فكيف انتظم ؟

وواضح أن الشطر الأخير من الأبيات
الثلاثة مختل الوزن ، مختل المعنى . لأن كلمة
« إذا » لا معنى لها هنا ، والصواب : (ذا)
بدون همزة ، أى هذا التى هى اسم إشارة . وبذا
يصبح البيت الأخير هكذا :

أرى الدر يشقبه الناظمون
وما ثقبوا ذا فكيف انتظم ؟

• صفحة ٤٠٦ — السطر الرابع ، ورد
البيت الأول من شعر عكاشة بن عبد الصمد
هكذا :

سقيا لمنزلنا الذى كابه
يوم الخميس عشية أصحابا
وجلى أن (كابه) لا معنى لها ، وأنها
تحريف مطبعى لم يصححه فى ثبت التصويب ،
وصوابه : كنا به وبذا يصبح البيت هكذا :

سقيا لمنزلنا الذى كنا به
يوم الخميس عشية أصحابا

• صفحة ٤٠٦ — السطر الحادى عشر ،
ورد البيت الآتى من شعر بعض الشعراء هكذا :

كان بنانها أقلام عاج
مرصعة الرأس بآبنوس

بأفراد كلمة « الرأس » . والبيت على هذا
مكسور الوزن ، وصوابه الرؤوس بصيغة الجمع
لا المفرد . وبذا يصير البيت هكذا :

كان بنانها أقلام عاج
مرصعة الرؤوس بآبنوس

• صفحة ٤٠٧ — السطر الثانى عشر ،
ورد البيت التالى من شعر ابن لبال القاضى هكذا :

فقات ولم تكذب خشيت سقوطه
وأومت إلى فيها فنظمته ثغرا

بتشديد الياء من لفظة (إلى) — كأنها إلى
الداخلية على ياء المتكلم ، وهو خطأ صوابه إلى ،
بجدة وجارة لكلمة : فيها ، بمعنى فيها .

• صفحة ٤١٠ — السطر الثالث عشر ،
ورد البيت الآتى من شعر المعتمد بن عباد
الأندلسى مضبوطا بالشكل هكذا :

أخضر فى أبيض تبدى
ذلك آسى ، وذا بهارى

بتنوين الراء من كلمة « أخضر » ، وكان
الحقق الفاضل قاسه على تنوين الضاد من كلمة
« أبيض » فى الشطر نفسه . والصحيح أن
« أخضر » هنا تمنع من الصرف ، « وأبيض »
تصرف ، ليستقيم الوزن . وهذا الشعر من
وزن نخلع البسيط كما هو معلوم .

• صفحة ٤١١ — السطر الثالث ، ورد
البيت التالى من شعر أبى بكر البلوى هكذا :

انظر إلى ميت ولكنه

خلو من الأكفان والغاسل

بتشديد الياء من كلمة : « ميت » كما هو
الأصل في هذه اللانظية ، والصواب تخفيفها
على وزن كفعول ، كبيت ، فيصير المضبوط هكذا :

انظر إلى ميت ، ولكنه

خلو من الأكفان والغاسل

وهذا الشعر من بحر السريع .

* صفحة ٤١ - السطر الأخير من

المتن ، ورد البيت الآتي من شعر علي بن بسام
في أخيه جعفر مضبوطاً بالشكل هكذا :

أيامٌ وجهك مصقول عوارضه

وللرياض على خديك أنوار

بما يوهم أن « أيام » مبتدأ ، وخبرها :
مصقول . وهذا وهم كبير . والصواب أن
« أيام » منصوبة على الظرفية الزمانية ، وأن
« وجهك » مبتدأ ، خبره مصقول .

صفحة ٤١ - السطر الخامس ، ورد

البيت الآتي من شعر أبي تمام هكذا :

قال الوشاة : بدا في الخد عارضه

فقلت : لا تنكروا وما ذاك عائبه

زيادة دوار ، على ما النافية في السطر الثاني ،
والصواب حذفها ليصير البيت موزوناً هكذا :

قال الوشاة : بدا في الخد عارضه

فقلت : لا تنكروا ما ذاك عائبه

* صفحة ٤٢ - السطر الرابع عشر ،

ورد البيت الآتي من شعر بعض الشعراء هكذا :

أمسك سهام اللحظ أو فارمها

أنت بما ترى مصاب معنى

وواضح أن الفعل « ترى » في السطر الثاني

لا معنى له ، وصوابه : ترمى . وبهذا يصبح
البيت هكذا :

أمسك سهام اللحظ أو فارمها

أنت بما ترمى مصاب معنى

* صفحة ٤٢ - السطر الذي قبل الأخير ،

وردت العبارة الآتية هكذا : (فعبّر لي أني أرزق

علما غزيرا كعزة الكبريت الاحمر ...) ولا معنى

هنا للعلم الغزير ، من الغزارة بمعنى الكثرة .

ولكنه العلم العزيز - بالعين المهملة والزاي -

من العزة بمعنى : الندرة ، كما يوحى به قوله :

كعزة الكبريت الاحمر ، الذي يضرب به المثل

في الندرة ...

* صفحة ٤٣ - السطر الثاني ، ورد

البيت الآتي هكذا :

تراه وشيكا شكساً إسته

كأوما جناها عليه فمه

ولا معنى لقوله : شكساً إسته ، والصواب : شكاً إسته

* صفحة ٤٣ - السطر الثالث ، ورد

البيتان الآتيان من شعر أبي العباس القرطبي

مضبوطين بالشكل هكذا :

كان ألا قرا تحت دجى

فانجلى الليل ، ولاح القمر

أو كزهر في كام كام

شقت عنه فتم الزهر

باسكان راء الروى في القمر ، والزهر ،

والصواب تحريكهما بالضم ، والشعر من بحر الرمل

كما هو واضح .

وبالله التوفيق ؟

القاهرة

محمد عبد الغنى حسن

شخصيات مجعية

فى الساعة الحادية عشرة من صباح الخميس ٩ من صفر سنة ١٢٩٥ هـ (الموافق ٢٠ من فبراير سنة ١٩٧٥) أقام المجمع حفل استقبال أعضائه الجدد ، وهم السادة : الاستاذ بدر الدين أبو غازى ، والدكتور محمد يوسف حسن ، والدكتور محمود مختار . وفيما يلى ما ألقى فى هذا الحفل .

كلمة الافتتاح

للدكتور ابراهيم مذكور ، رئيس المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

زملائي :

سيداتى :

سادتى :

يسعدنا أن نستقبل اليوم ثلاثة من شيوخ العلم والفن ، وهم السادة :

الاستاذ بدر الدين أبو غازى .

الدكتور محمد يوسف حسن .

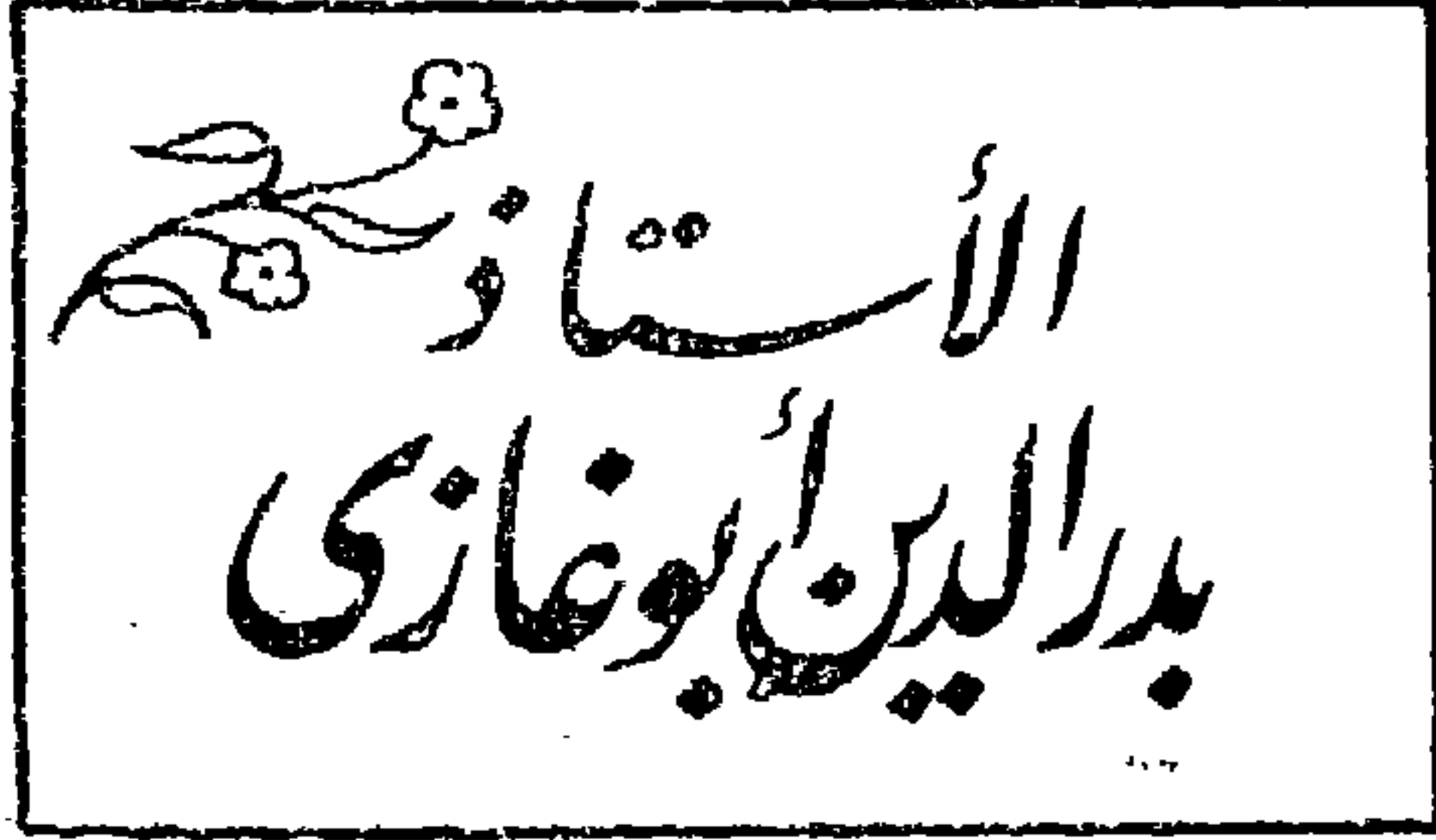
الدكتور محمود مختار .

وليس من بينهم أحد غريب عن المجمع ، فقد أعطوه من قبل وأجزلوا له العطاء ، ونحن نشكرهم على جزيل عطائهم ونرحب باتمائهم إلى المجمع ، كما أننا على يقين أنهم سيسهمون معنا فيما نضطلع به من أعباء ، ونعول التعويل كله على جهودهم وإسهامهم بعلمهم وكفائتهم فى تحقيق رسالة المجمع .

وباسم المجمع يستقبل الدكتور محمد مهدى علام الاستاذ بدر الدين أبو غازى ، ويستقبل الدكتور عيد الخليم منتصر كلا من الدكتور محمد يوسف حسن ، والدكتور محمود مختار .

والكلمة الآن للدكتور محمد مهدى علام :

كلمة الدكتور محمد مهدي علام في استقبال :



وهكذا يواصل تدفقه في طريقه بكل ما جمع من عناصر الخير التي تبعث في الثقافة الحياة والرأفة ، وفي اللغة النماء والازدهار .

ومن خصائص هذا الجمع خصيصة يرجع بعضها إلى التخطيط السليم ، كما يرجع بعضها إلى تلقائية رائعة . ذلك أن أعضاء هذه الهيئة الموقرة يجمع العضو منهم بين نشاطين أو أكثر من أنشطة المعرفة — بل لا أتردد أن أقول — في بعض الأحيان — من أنشطة التخصص الدقيق . ثم يحولها كلها إلى خدمة اللغة .

وهذه الحقيقة ماثلة في أذهاننا منذ عرفنا الجمع ، ولكن نبهني إليها في نقطة واعية كتب زميلنا الجديد ، الأستاذ بدر الدين أبو غازی ، الذي أسعد باستقباله اليوم باسمكم ، أيها الزملاء ؛ فإن التقاء الثقافات الرفيعة في هذه السكتب — ثقافة الفن ، وثقافة الأدب ، وثقافة القانون والاقتصاد — قد أخطرت بذهني تلك الصور الرائعة في حياة هذا الجمع : الصور التي جمعت بين القانون والأدب في عبد الحميد بدوي ، وعلى بدوي ، وعلى الخفيف ، ومصطفى الفللي ، ومصطفى مرعي . والتي جمعت بين الشعر والتاريخ والنقد في عباس العقاد ، والمازني .

كان من تقاليد القبيلة العربية أن تحتفل بظهور شاعر فيها ، وكانت تعد ذلك يوما عظيما من أيامها . وهذا الجمع — وهو سليل القبائل العربية ، وحامل لواء لغتها — يحتفل كذلك بيوم استقبال عضو جديد فيه . فهو تقليد يمد في حياة الجمع ، ويبقى له نعمة الوجود . فمع أن الأعضاء المؤسسين لهذا الجمع قد رحلوا جميعا إلى جوار ربهم ، وتبعهم أفواج بعدهم ، مازال الجمع بحمد الله باقيا ، يحمل عنهم الأمانة ، ويؤدي الرسالة .

إن نهر النيل ليس فيه نقطة ماء بما كان بهجراه منذ عام واحد ، وهو مع ذلك نهر النيل الفيض بالخيرات .

وأمر هذا الجمع عجيب حقا ، فإن أعضائه مهما اختلفت منابع ثقافتهم ، وتعددت دروب نشاطهم في الحياة ، يلتقون آخر الأمر عند المريعة ، إخلاصا في حبها ، وبذلا في خدمتها . وأعود فأرى هذا الجمع مرة أخرى أشبه بنهر عظيم ، يتدفق من منبعه ، ويسير في مجراه سيرا وثيدا أو حثيثا ، ولكن مجراه لا تنقطع عنه المياه . فهناك هذه الروافد التي تدهب بمياهها ، التي قد تختلف لونا أو طعما أو كثافة ، ولكنها ما إن تنساب إلى هذا المجرى العظيم حتى تصبح جزءا منه .

وبين الفلسفة والأدب في لطف السيد وإبراهيم
مذكور . وبين علم النفس والأدب في زكي
المهندس ، وعبد الحميد حسن ، وإبراهيم اللبان ،
ومحمد خلف الله أحمد . وبين الطب واللغة والأدب
في أحمد عمار ، ومحمد سليمان . وبين الهندسة
واللغة في الشرباصي والدمرداش .

ولعل قد تجاوزت حدود اللياقة حين شرعت
أمثل مجرد تمثيل ، معتمدا على الذاكرة ،
وما قصدت استقصاء . وأنا أستأذنكم أن تنسوا
كل من ذكرت ، حتى لا يكون هنا غمط لمن
لم أذكرهم . فلننس كل ذلك ، ولنكتف بمثال
واحد ، نقره جميعا ، لأن العالم قد أقره ، وهو
الدكتور محمد كامل حسين ، صاحب الجائزتين ،
وفارس الحلبتين .

وعندما شرفني المجمع بأن أنوب عنه في
استقبال زميلنا الجديد ، الأستاذ بدر الدين
أبو غازي ، أحسست بعظم التكليف ، فما كان لي
أن أتعجل الأمر في كلمة ستظل محفوظة في
سجل المجمع ، تسبق العضو إلى عضويته ، وتعبر
عن رأي المجمع على لسان من أحسن الطن بقدرته
على حمل هذه الأمانة .

لذلك شرعت أقرأ كتب الأستاذ أبو غازي ،
لأزداد معرفة به . ولكن هذه الكتب استغرقت
انتباهي ، فلم أفطن إلى الهدف من قراءتها إلا بعد
أن استمتعت بما فيها من تاريخ الفن بأسلوب
الأديب الذي يحسن اختيار لفظه ، وتحديد
موضعه في بناء الجملة ، بنفس المقاييس التي يختار
بها الفنان اللون الذي يريد أن يستعمله ،

والموضع الذي يضعه فيه إلى جوار غيره من
الألوان في لوحته .

فلما عدت أسأل نفسي عن هدف هذه
القراءة رأيتني أنقل منها أقل القليل في عبارة
أو عبارتين أقدم بهما أسلوب هذا الفنان الأديب ،
حين يقول مثلا عن وحي الشعوب الفنية في
الفن التشكيلي :

« في الفنون الشعبية معين لا يفضى للأدب
والفنون القومية ، فهي تبهرها بنفسيج يؤكد
أصالتها ، ويمنحها نبضها وطابعها الخاص . فرور
الزمن لا يذهب بها ، وتوافد التيارات لا يطمسها ؛
فعرقتها السحرى دساس ينساب في وجدان
الشعب ، وتتوارثه الأجيال .

« والفنون الشعبية دائما صنو الحياة ،
لإبداعها هي جزء من ممارسة الناس لحياتهم ،
لاعزلة ولا انفصال بين الفن والحياة . ومن هنا
سر صدقها الخاص ، وقدرتها على الاستمرار
والإلهام .

« لقد كانت هذه الفنون مصدر إلهام للأدب
والفن في عصور وبلاد مختلفة . ومن فيضها
تحقق ثراء في التعبير والرؤى ، وتشكلت للأدب
والفنون القومية سماتها .

[الفن في عناصر ٥٧]

وحين يتكلم عن الحياة الفنية في مصر ،
يشير إلى الخلفية التاريخية لنشأة هذه الفنون
بقوله :

« على امتداد الأفق التاريخي تلوح مصر وعاصمتها القاهرة في تطلعها الثقافي واحتضانها للفنون ، مركزاً من المراكز التي صنعت الحضارة في عصور مختلفة .

« يكفي أن نمد البصر إلى تاريخ القاهرة الإسلامية ، لنرى الفن صنوا للحياة فيها ، وعنصراً من أبرز عناصر حضارتها . كان الفن أداة من أدوات الحياة يمتد إلى كل عنصر من عناصرها ، من الإناء إلى البناء ، ومن حلي الزينة إلى محاريب المساجد وشبابيكها ، ومن قطع النسيج الصغيرة إلى واجهات المباني الضخمة .

« وكانت القاهرة في مواكبها وأعيادها تستخدم كل عبقريتها في التفنن . يطالعنا المقريري في خططه بلامح من بهاء الحياة الاجتماعية فيها ومن ارتقاء الذوق العام .

« ألم تحظ القاهرة منذ ستة قرون بمسالم تحظ به باريس إلا منذ سنوات قليلة ، حين أمر الحكام بطلاء مبانيها باللون الأبيض ، فبدت وضاعة تزيينها الألوان المتألقة في أسواق النسيج والنحاس ومحلات الفاكهة والزهور !

« ألم تعرف القاهرة العصر الوسيط ماتسعين القاهرة المعاصرة الآن إلى بلوغه ، من تجميل واجهات المباني العامة بروائع الفنون ، ويحدثنا الأستاذ جاسترون فييت في كتابه الرائع (القاهرة مدنية الفن والتجارة) عن المنشآت العمرانية في العصر المملوكي ، ويقدم وصفاً رائعاً لمستشفى قلاوون وروعة بنائه ، وجمال تأثيثه ، وما حفل به البيمارستان القديم من أفاريز زينت جدرانه بمناظر الصيد والرقص ومجالس الطرب والموسيقى ،

ومشاهد مما يحيط بالفنان من مراثيات تجيش بحرارة الحياة .

[جيل من الرواد ص ١٠ - ١١]

إن صاحب هذا القلم هو زميلنا الجديد ، بدر الدين أبو غازي ، الذي ولد في القاهرة في سنة ١٩٢٠ لأب من رجال التعليم وأم ذات ثقافة أدبية ، وهي التي تعهدته بعد وفاة والده - وهو في السادسة من عمره - فأناحت له القراءة فيما كانت تقنيه من كتب وصحف .

وقد ظهر أثر ذلك على قلبه فيما كان يكتب في المدرسة ، فأثار إعجاب أساتذته وتشجيعهم . ولم يخيب الفتى المتأدب أملهم . فقد بحث - وهو في مرحلة التعليم الثانوي - باكورة إنتاجه الأدبي مقالاً إلى جريدة « الأهرام » عن الزعيم الوطني « محمد فريد » فذشرته الجريدة في صفحتها الأولى في نوفمبر سنة ١٩٢٦ .

وقد شعر الطائر بجناحيه يحملانه في سماء الأدب ، فخلق بهما منذ ذلك التاريخ .

وكان القدر قد عوضه عن فقد والده ، خلا عظيماً ، هو الفنان المثال محمود مختار ، فتولى رعايته إلى جانب والدته . وقد اجتمع له الآن إلى جانب ميله الأدبي ميل جديد إلى عالم الفنون .

ومع ذلك فإن دراسته الجامعية لم تتجه به إلى أي من الميدانين : ميدان الأدب أو ميدان الفنون ، بل سارت به في ميدان القانون .

واستطاع الأديب الفنان أن يحقق مصالحة بين هذين الاتجاهين ، والدراسات القانونية .

وحصل على ليسانس الحقوق سنة ١٩٤١ وشامت الظروف أن يبدأ حياته العملية في مجال التشريعات الضريبية والمالية ، فتولى شئون المكتب الفني للضرائب بوزارة المالية ، ثم شئون التشريعات المالية بصفه عامة .

وأوفد في بعثات دراسية إلى إنجلترا وفرنسا لدراسة نظم الضرائب .

ولم تشغله الأرقام ولا مواد القوانين عن ميوله الأدبية والفنية . ففي سنة ١٩٤٩ أصدر كتابه الأول « مختار : حياته وفنه » وهو محاولة ناجحة في أدب التراجم ، مع لمحات ذكية في الدراسات النقدية .

وقد ترجم هذا الكتاب إلى الفرنسية ، ونال جائزة « واصف غالي » : مصر - فرنسا ، في باريس .

وواصل الأستاذ أبو غازي كتاباته في النقد الفني ، في الصحف والمجلات ، وأهمها : الأهرام ومجلة الفصول ، والأخبار ، ومجلات دار الهلال ، وروز اليوسف ، ومجلة المجلة ، والفكر المعاصر ، وعالم الفكر .

وظلت قائمة معالجته التي عقدها بين ميله ونشاطه في الفن والأدب ، وعمله بين الأرقام ومواد القوانين . فكان يمارس النشاطين في إخلاص وحسن أداء :

مديرا عاما لمكتب وزير الخزانة من ١٩٥٨ حتى ١٩٦١ .

مديرا عاما للتشريع المسالي من ١٩٦١ حتى ١٩٦٤ .

فوكيلا لوزارة الخزانة من ١٩٦٤ حتى ١٩٧٠ .

وفي سنة ١٩٧٠ عين وزيرا للثقافة ، فكان ذلك إرهادا لغلبة الفن والأدب على أرقام الميزانية وجداول الضرائب .

وقد دفع ضريبة لهذه الثقافة المتعددة النواحي التخصصية ، عضويته لكثير من الهيئات التي ساهم فيها بالرأي والمشورة ، كالجلس الأعلى للأزهر ، والمجلس الأعلى لدار الكتب ، والآثار . وعهد إليه برئاسة لجنة توحيد المصطلحات المالية في جامعة الدول العربية .

وكان أوفر نشاط ثقافي فعال له ، في لجنة الفنون التشكيلية بالمجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية . وفي هذه اللجنة أشرف على إعداد مصطلحات الفنون التشكيلية باللغة العربية . وهو رئيس جمعية محبي الفنون الجميلة ، وعضو في مجالس عدد من الكليات والمعاهد الفنية والأدبية .

أما المكتب التي صدرت له ، والتي سعدت بقراءتها في خلال الأسبوعين الماضيين فهي :

١ - محمود سعيد : التراث والعصر من حياته حول فنه .

٢ - جيل من الرواد : تناول فيه التاريخ لسبعة من رواد الفنون الجميلة في مصر .

٣ - الفن في عالمنا : بحث فيه علاقة الفن بالمجتمع ، وعلاقة الفن بالنقد ، وعلاقة الفن بالأدب .

٤ - من محيط الفنون : تكلم فيه عن

عصر العباقرة في أوروبا في القرن السادس عشر
والسابع عشر ، والثامن عشر ، وتكلم في الفصل
الآخر عن الفن المهرى الحديث في النصف
الأول من القرن العشرين .

٥ - مختار : حياته وفنه ، وهو كتابه الأول
عن خاله الفنان العظيم ، صدر في سنة ١٩٤٩ في
١٦٠ صفحة .

٦ - المثال مختار : وهو كتابه الثاني عن
خاله في ٢٥٠ صفحة وقد صدر في سنة ١٩٦٤ .

ولم يطلعي الأستاذ أبو غازي على هذا
الكتاب إلا منذ أربعة أيام ، حين كان يحدثني
عما جاء في ذلك الكتاب عن الحفلة التي أقيمت
لتكريم مختار بنادي القاهرة ونشرت خبرها
جريدة الأهرام في الثاني والعشرين من شهر
أغسطس سنة ١٩٦٠ ؛ فقال لي - على أسلاك
التليفون - إن وصف هذه الحفلة يذكر من
خطبائها : أحمد حشمت باشا ، والدكتور
منصور فهمي ، والفنانان محمد حسن ، ومحمود
خيرت ، والشيخ مهدي علام الأستاذ بمدرسة
المعلمين العليا الذي ألقى قصيدة عجماء جاء بها ...
(وذكرت الجريدة بعض أبيات القصيدة) .

وسألني الأستاذ بدر الدين : أهذا من قبيل
تشابه الأسماء ؟ فقلت له - وقد تذكرت كل شيء :
إن هذا الشيخ مهدي علام ، هو مهدي علام
الذي يسعده أن يستقبلك في سنة ١٩٧٥ كما
استقبل خالك العظيم محمود مختار عند عودته
من باريس عقب عرضه لتمثاله العظيم « نهضة

مصر » في سنة ١٩٢٠ أي منذ ٥٥ سنة بتلك
القصيدة التي كان مطلعها :
إن في التصوير للناس هدى
وبيانا دونه كل بيان :

رقعة فيها خطوط ربما
أغنت الأقوام عن ذرب اللسان ،
ولرب اليوم تمثال لنا
يقرأ التاريخ فيه كل فاني .

يارعى الله أبا الهول ومن
أودعوه السرفى جوف الزمان !
لميه يامختار قد أيقظتسه
بعد أن قد كان رمزا للتواني .

..... الخ الخ
وقد تفضل عقب تلك المحادثة التليفونية
فأحضر لي نسخة من ذلك الكتاب ، فضممتها
إلى ما أبقاه البوليس السياسى من إنتاج
ثورة ١٩١٩ .

وليس لي من تعليق على ما نشرته « الأهرام »
منذ ٥٥ سنة إلا أن أشكر على أنها « عينتني »
أستاذنا في كليتي قبل تخرجي منها بعامين .

وبعد فإذا كانت خمس وخمسون سنة تفصل
بين استقبالي لخالك العظيم ، واستقبالي لك
اليوم ، فإن خمس سنوات فقط تفصل بين أول
استقبال لك في هذا المجمع يوم زرتته وأنت وزير
للثقافة ، ويوم استقبالك الآن عضوا عاما لافيه .

لقد قلت في سنة ١٩٧٠ في تواضعك وأنت
وزير تشرف على هذا المجمع : « أشعر أنني
تلميذ بين أساتذة عظام » . واليوم تقدم أيها
الزميل فاجلس بين زملاء كرام .

... كلمة الاستاذ بدر الدين أبو غازي

السيد الرئيس — السادة الاعضاء :

سيداتى — سادتى :

هل تستطيع كلمائى أن تعبر لىكم عن شكرى وعرفانى ، فإن اختياركم لى شرف عظيم أعتز به ، ومن الذى لا يشعر بالاعتزاز بل بالزهو حين يرتقى إلى قمة الخالدين .

وهل أستطيع أن أفى الاستاذ الكبير الدكتور محمد مهدى علام حقه من الشكر على استقباله لى هذا الاستقبال الكريم .

وبعد فقد داخلى شعور بالتهيب وأنا على أهبة الاستعداد لهذا اللقاء .

غير أن اجتماع الأسباب أذهب عنى القلق والتهيب .

وتلك هى سنة الحياة ، يكمن فيها سر من أسرار حفظها وبقائها ... يواجهنا الخطب الصغير فيستبد بنا الجزع وحين تتجمع الخطوب نحشد لها قوائنا ونستبدل بضعفنا قوة لمواجهةها .

ولانى لاواجه أمرا عظيما .

فأنا أخلف أديبا من أدياء القمة ورجلا جاد بكل فضله وترك فى حياتنا الثقافية أثرا أكبر من أن أبلغه ، والتقاليد الجمعية تقضى بأن أحديثكم عن سلفى العظيم محمود تيمور ، وقد استقبله فى الجمع عميد الأدب العربى ، فأين

كلماتى من روائعه ، فى استقبال أهل الفكر والفن وفى رثائهم .

وتولى نابين تيمور نيابة عن الجميع الاستاذ الجليل محمد خلف الله أحمد فكانت كلمته بحثا جامعا مانعا كما يقول أهل القانون .

ولم يكن لى من الوقت فسحة للطواف حول عالم تيمور وبلوغ أعماقه .

سادتى :

سأحدثكم عن محمود تيمور من رؤية جيل آخر تفصله عن جيله قرابة ربع قرن جادت فيه مصر بعطاء عظيم . فن أواخر القرن الماضى وأوائل القرن العشرين كان ميلاد نوع جديد من العبقرية والنبوغ ... جادت الأرض بالموسيقى والمثال والقصاص ورجل المسرح والمصور بعد أن أنجبت من قبل الشعراء ورجال الفكر والقانون والطب والعلم وكأنها بذلك كانت تمهد لبزوغ عصر الفنون .

وما أن بدأنا خطانا حتى رأينا هذ الحشد العبقرى يشع علينا بسحر الفن ووضاعة الفكر فأدركنا معنى النهضة .

ومن حق جيلى أن يعتز بهذا الحظ العظيم . ولى أنا بين هذا الجيل أن أعتز حين أجلس مكان رائد من رواد تلك النهضة .

وإن هذه الخلافة الجمعية التي تربط بين
الذاهب والقادم برباط وثيق لتستدعى إلى
خاطري ذكرى وشائج قديمة وصلحتي
بالتيموريين .

من عائشة التيمورية بدأت صلاتي بهم . .
تابعت سيرتها من خلال فصول نشرتها الأدبية
من في مجلة المقتطف ، فأعجبت بشاعرة أشرقت
في عصر الحجاب وترنمت بشعر رقيق تتردد
فيه أنفاس من شاعرنا المصرى البهاء زهير
وانتابنى الأذى لفجيعتها في ابنتها ومحتتها
في بصرها .

وعرفت محمد تيمور من صورته ومن
سيرته . . . عرفت فيه فتى موفور الثراء والجمال
والشباب ، يعيش في باريس ويمجى كليات الحقوق
إلى مسرح الاوديون ويندج في أجواء الأدب
والفن ، ويعود بعد ذلك ليقيم لمصر أدباً
مسرحياً وقصصياً ويـجل في لوحات قلمية رائعة
« ماتراه العيون » ثم يتصدى لكتابة تاريخ
مصر والنيل ، برؤية فنان . . . ولعل الفصل
الوحيد الذى نشره من كتابه في صحينة « السفور »
كان تمهيدا لهذا الأسلوب الذى فى تناول التاريخ
الذى اكتملت صورته بعد سنوات فى كتاب
« سذباد مصرى » .

وعلى « الاطلال » كان لقائى بمحمود تيمور .
رواية جمعت صدق الوصف لبثة من
بيئات مصر ، ولون من ألوان مجتمعا قبل
الحرب العالمية الاولى ، وصورت حياة قى فى هذه
البيئة وحلات جوانب الصراع فى نفسه .

ولذا كانت أيام طه حسين قد بهرتنا بوصفها
الرائع لحياة صبي فى الريف وصراعه مع القدر
والظروف ، وكانت عودة الروح توفيقا
رائعاً فى تصوير حياة بيت من الطبقة الوسطى
فى إطار ثورة سنة ١٩١٩ فإن أطلال تيمور
تمثل بصدق قطاعا من قطاعات المجتمع غابت
عنا ملاحظه .

غير أن الاطلال توارت وراء صرح كبير
من أدب تيمور رغم مالها فى أدبنا المعاصر من
قيمة تاريخية وفنية .

وتابعت كتابات تيمور حين كان القصص
ميدان سبقة وصدارته ، وشاظرته على البعد
حزنه على وحيدته وهزتي كلماته فى وداع
الراجلين .

وكنت ألح به يقصد فى ساعات العصارى
مشرب « لوك » مع جماعة من أهل الأدب ،
وعرفت من جيلى شبابا بدأ يطرق ميدان القصة
ويتلمس عنده النصيح والمشورة فكان بهم حفيا
يلقاهم فى مجالسه ويسدى إليهم رأيه وفضله بل
كان حريصا على أن يصلهم بأدبه ويبعث إليهم
بما يصدره من مؤلفات مصحوبة بعبارات
التشجيع والود .

كان جيلى يعترف بالأبوة له ولجيله من
الرواد ويتطلع إليهم فى إكبار ويسعد برؤياهم
ولو من بعيد .

وعرفت بعد ذلك تيمور عن قرب واتصلت
بيننا المودة فحظهم حبي له وتقديرى .

وتجالت لى صورة حياته وخصائص نفسه
مرتسمة فى إشارات ابن سيدنا :

« العارف هـش بش بسام يبتجل الصغير من
تواضعه مثلبا يبتجل الكبير وينبسط من الخامل
مثلبا ينبسط من النبيله ، وكيف لا يهش وهو
فرحان بالحق وبكل شىء فإنه يرى فيه الحق ،
وكيف لا يسوى والجميع عنده سواسية » .

وهو أيضا مثل العارف عند ابن سيدنا صفاح
لأن نفسه أكبر من أن تخرجها زلة بشر ،
نسباً الاحقاد لأن ذكره مشغول بالحق .

واقـد عرفت تيمور باشا الـب بعد أن
عرفت البنين قدرت جهده العظيم فى استقصاء
معالم فن التصوير عند العرب الذى فتح الطريق
لبحوث كثيرة فى هذا الميدان ونقبت فى مختاراته
من كنوز اللغة والفن والادب التى وصفها
العقاد بأنها « متحف واسع من مادة تاريخ
الحضارة » وتابعت فى إكبار عطاءه الذى ليس
له فى حياتنا الثقافية نظير .

تلك هى خطوط صورة محمود تيمور ومحيط
أسرته التى صيغ منها نسيجه فلا تكتمل
رؤياه بمعزل عن هذه الأسرة التى أسهمت
فى تشكيله .

أما أثر محمود تيمور فهو فيما تفوق به على
أسرته وأضافه إلى تراثها الكبير .

ويتمثل هذا قبل كل شىء فى دوره كرائد
من رواد القصة العربية وكاتب روائى ومسرحى

ومؤلف دراسات ، أعطى الادب العربى من
كل ذلك الكثير .

غير أن عالم تيمور عالم متراعى الأبعاد
يرجع إلى أكثر من نصف قرن من الزمان .

وقد لا يتسع المجال للطواف بهذا العالم
الرحب الفسيح .

حسبى إذن إطلالة عليه من منظور فنى .

لقد ظهر تيمور فى عصر كان من سماته
بزوغ الفن .. تلاقى فيه النحت مع التصوير والمسرح
مع الموسيقى . . . وكان اتصال تيمور بعالم هذه
الفنون وثيقا .

ولذا كانت كتابته لم تتسع للفنون التشكيلية
كما اتسعت لها كتابات العقاد والمازنى وتأملات
توفيق الحكيم ولمحات يحيى حق إلا أن أدبه
كان قريبا من التشكيل ، فهو من أدباء
الصورة الذين سجلت أقلامهم « ألواحاً قصصية »
وفقاً لتعبيره .

شاطر فنانى جيله التطلع إلى البحث عن
شخصية مصر والتعبير عنها من خلال عالم الريف
وأفراد الشعب الذين يضطربون فى المدينة . . .
وتبدت « الصبغة المحلية الزاهية » والمللحة
التصويرية فى قصص مرحلاته الأولى كما تبدت فى
لوحات الفنانين التشكيليين . « الشيخ جمعة » له
نظيره عند المصور محمد سعيد تلاقى مصادر
وحدهما وظروف اتصالهما بدنيا الفلاحين . . .
والمعلم عوف مجلد الكذب فى قصة الكسيح
بنظراته الخفيفة ووجه « كقطعة من الفحم الملتب

تمتد منها ألسنة النار ، يستدعى إلينا أشباهها
فى فنون التشكيل ، بل إن تيمور يبدو وكأنه
يحمل مرقم مصور يسجل به ملامح الأشخاص ،
وتلتقى صررة الربف والأحياء الشعبية فى
فنه مع بعض صور ناجى ويوسف كامل
وراعب عياد .

فيه ما فيهم من جنوح إلى الواقعية فى
مرحلة وجنوح إلى الانحلال أحياناً حتى بلغ معهم
ذلك التركيب القوي الزاخر بقوة التعبير .

كانت مصر تبدو فى ألواح الفنانين
المستشرقين بلدا صحراويا يظله النخيل وتخطر
على أرضه الجمال ، وبيوتا تزخر بالطنافس
وتأرج بعبيق البخور . . . وكانت مصر فى
الأدب وصفا مسجوعا براقا لا يشاكل الواقع
إلا لما وبقدريسير فأخذ رواد الفن والأدب
فى عصر تيمور يبحثون عن وجه مصر ،
يحدوهم الصدق وهو جهر الفكر والفن والحياة
ومضى تيمور معهم يقدم قصصا مصرياً ولكنه
عرف بعد تجاربه الأولى . أن القصة روح قبل
أن تكون مظهراً ، وفكرة قبل أن تكون
حادثاً ، وأن روح القصة الحى وفكرتها
الصحيحة يجب أن تكون قبساً من الإنسانية
التي إليها مرد الفن الرفيع فى شتى صورهِ من
أغان وموسيقى ورسم وتمثيل . . . هكذا قال -
ونحو هذه الأهداف مضى حتى استوى عناصر
القصصى المصرى الصميم .

وتوالى أعمال تيمور ، وظل الأشخاص
محور الصورة فى أدبه . الشخصيات المريضة .
والشخصيات السوية ، وحقق بالجمع بين روح

السخرية والدعابة ، بين جو الملمة وجو المأساة
هذه الوحدة من خلال التنوع ، واكتسب أسلوبه
قوة تعبيرية وقدرة على الإيجاء بأوصافه الحسية
التي تفصح فى لمحات صغيرة عن شتى الانفعالات .

وانفسح له عالم المرئيات فأصبح « المنظر
الطبيعى » من اهتماماته كما كان من محاور الفن
التشكيلى فى تلك الحقبة .

ومن خلال هذه الرؤية قدم صوراً لمصر
الريف ومصر المدينة . . . للبادية وللجبل . .
واكتسب أدبه من خلال الرحلات بعداً آخر .
واستوحى تيمور تاريخ الفراعنة وأجساد
العرب كما طوف بعالم الأساطير ثم امتد بملكاته
إلى المسرح .

هدفه فى كل ما أبدع من أدب هو الفن .

أليس هو القائل فى رسالة إلى المازنى :

« الأدب ليس له عندى غير اسم واحد هو
الأدب بمعناه الواسع وليس له إلا هدف واحد
هو الفن ، وغاية الفن عنده هى « الكشف عن
الجمال وتسجيل مظاهره وتذوق فتنته . . . ولما
كان الفن غاية الحب ، فالفن إذن يرمى دائماً
إلى الخير . »

تلك هى عباراته فى مقسمة « الوثبة
الأولى » . . . ومنها يبين أن الفن عنده هو الحب
والخير والجمال .

تطورت القصة بعد تيمور وشقت مسارب
جديدة ورغم تساؤلها فى أخريات حياته وبعد
كل ما أعطى « هل أصبحت قصصياً حقاً ؟ » . .

فإنه سيبقى دائماً من البنائين الأوائل لهذا الصرح
الشامخ في أدبنا الحديث .

وسيبقى تيمور دائماً فضيل الريادة مهما
اختلفت أساليب هذا الفن وتطورت . ولعل
فصل الخطاب في ذلك ما وجهه إليه طه حسين
يوم استقبله له :

« إذا ذهب أحد ، ذهبك ، وجاء أحد
فيما بعد بخير مما جئت به ، فلن يستطيع أن
يتفوق عليك لأنك فتحت له الباب ، ومهدت له
الطريق ، ويسرت له السعى ، وأتحت له أن
يفتج وأن يمتاز وأن يتفوق ، » .

* * *

تبقى بعد هذا صورة أخرى لمحمود تيمور
لا بد أن أتوقف عندها .. تلك هي صورة
المجمع العظيم الذي ما زال شاخصاً بيننا بأثره
 وجهه وحضوره الصامت .

لقد اقترن اسم تيمور في المجمع بألفاظ
الحضارة وانفتح إليه في جلسة استقبلته يفصح
عن منهجه في هذا الميدان : « إنه في غير مستطاع
المجمع اللغوي أن يصنع الألفاظ صنعا ، أو أن
يفرضها على المدلولات فرضا ، وإنما الذي يصنع
أو يفرض هو البيئة المثقفة وحدها ، فالكتاب
والعلماء والدارسون في كل فن ومنحى هم الذين
يستوحدون ضرورة الاستعمال ، ويستلهمون
ذوق التعبير ، وعلى المجمع بعد ذلك أن يستصفي
ما يتلقاه من لغة المجتمع ، وأن يطبعه بطابع
التأييد والإقرار .

« فعلينا إذن أن نذكر في أرجاء البيئات المثقفة
نزعة التجديد اللغوي ، طلباً للإفصاح وتنكبا
عن العجمة والوطانة التي كانت وليدة الأحداث
والمناسبات ، »

وكان المجمع قد أمسك فترة عن ألفاظ
الحضارة ، أمسك « على مضض ، أو أمسك
« إلى حين ، كما قال ، ومع مقدمه سرى في ألفاظ
الحضارة نشاط عظيم ، فقد أعطاها من جهده
ودأبه الكثير ، وأخذ يترصد للكلمات حيث
تكون ثم يجري عليها اختياره فيؤثر ما يؤثر
ويعرضها في مؤتمرات مجمعه ، وفي أعقاب
محاضراته .

سار تيمور على نهج اختطه لطفي السيد في
لجنة ألفاظ الحضارة التي نشأت من توجيه أستاذ
الجيل ، فنأدى بأن يكون هناك معجمان أحدهما
معجم اللغة لإثبات ما استقر من الكلام ، وذلك
هو ديوان العربية وسجل ألفاظها كما قال .

والآخر معجم الحضارة لعرض ما ينجم وما ينجم
من جديد الألفاظ والتعبيرات أو للتعويض عن
مصطلحات أجنبية طارئة وهذا المعجم الحضاري
لا ينتقل من الألفاظ إلى المعجم اللغوي إلا ما تأصل
التعبير عن معناه بين كثرة الناطقين وأن يكون
حقيقاً بالتسجيل والإثبات .

وفي عام ١٩٦١ صدر معجم تيمور شاملاً
لحصار جهده مسبقاً بكلمات تفيض بتواضعه
الجميل إذ يقول « لم يكن لي عمل في كثير من هذه
الكلمات إلا أني أرصدت له بعض الوقت .. »

فتلقفته من هنا وهناك حفيا به آملا أن يحله
المجمع محله من النظر والتمحيص . .

وهو بعد ذلك ينسب الفضل إلى غيره
فيقول هذا « حصاد الناس » وتلك « ثمارهم » .

وحقيقة الأمر أن هذا العمل الكبير
قد استأثر به واستنفد معظم طاقاته وكان ذلك
لخير اللغة أكثر مما كان لخير فنه .

ولقد ظل محمود تيمور يتابع هذا الجهد
بحماس، وغاب عنا وما زالت ألفاظ الحضارة في
عوز إليه .

ورغم أن حركة التعريب ماضية على نهجها
بإيقاع العصر وتطوره في مجالات العلوم والفنون
فإن لغة الفن التي وجه إليها تيمور جانبا من
جهده ما زالت تتطلب الكثير .

اللغة والفن هما أبرز عناصر الوجود القومي.
وقد تحقق لنا منذ بزوغ عصر الفنون تراث
ضخم ينبيء عنا ويدل علينا ولكن لغة الكلمات
ليست طيبة لتفسير روائع هذه الفنون ، وزاد
الأمر عسرا تدافع المذاهب الحديثة في الغرب
وظهور أشكال فنية جديدة فاستعصى على كلماتنا
أحيانا التعبير عن عالم الأشكال وتعثر توحيد
المصطلحات رغم جهود ومحاولات .

لقد ساهم كتاب عصر النهضة منذ العقاد في
صياغة تعبيرات للغة الفنون فهو الذي أكد
استخدام كلمة « الفنان » في لغتنا بعد أن كان
الشائع كلمة « الفنى » أو « المتفنن » إذ رأى في

هذا التعبير صيغة مبالغية أدل على الإبداع
والإنشاء من مجرد نسبة الفنى إلى الفن كما تنسب
المصنوعات ، وهو أيضا قد سلك مسميات
لكثير من المذاهب الغربية الحديثة وشاركه
المازنى في هذا المضمار حين كان يكتب في نقد
الفنون التشكيلية .

ولكن في نفسى محبة للذين تراجع عنهم
الضوء أو لم يأخذوا حقهم من التقدير .

لا أستطيع أن أغفل جهود هيئات ومجامع
وأفراد في صياغة مصطلحات الفنون ولكنى
أود أن أشير إلى جهد اثنين غابا عنا وإن حملا
رسالة المجمع من بعيد :

فزاد مرابط المعلم الأول لتاريخ الفنون في
مصر وقد خاض تجربة وضع مصطلحات الفنون
باللغة العربية .

وبشر فارس الذى استطاع بامتلاكه ناصية
اللغة وثقافة الفنون أن يتفهن ويتأنق في صياغة
مصطلحات لها .

ولقد اختص تيمور الفنون في مجمعه ببعض
مصطلحات... ولكن الطريق طويل... وعلينا
أن نشرق قبل أن نغرب وأن نلتمس للفن
لغته في كنوز الأقدمين .

وإذا كانت كتب طبقات المصورين قد أتت
عليها سنوات الشدة العظمى والغزوات التي
اجتاحت الوطن العربى ولم يبلغنا منها إلا خبر
كتاب « أنيس الجلاس وعضو النبراس في أخبار
المزوقين من الناس » الذى ذكره المقرئى غير

أننا نستطيع أن نجد عند ابن جبير وابن دقاق
وابن عربى والتوحيدى وعبد القاهر مناهل
نستقى منها تعبيراً عربياً عن لغة الأشكال .

إن فى تراثنا من كتب التاريخ والرحلات
ونظريات الجمال وأسرار البلاغة وفى دواوين
الشعر منابع فياضة لأدب الفنون التشكيلية .

• • •

وبعد فقد أثار محمود تيمور فى نفسى هذه
الخواطر وحرك هذه الأشجان .

ولأن روحه السمحة لتسعد بذكر من سبقه
هو الذى كان يرد الفضل للآخرين .

لقد بقيت لنا منه تلك المودة الصادقة والأثر
الذى لا يبيد إنه انتصار الحياة على الموت بحضور
الراحلين الصامت وصحبهم لنا وما ذلك بالقليل .

ولكن علينا نحن الذين نعرف فضله أن
نسعى إلى تخليد ذكره ... فإن محمود تيمور
الذى كان يعطى ويجود فى هدوء حفاً به الصمت
الذى كان من صفات حياته ، ولم ينل بعد
ما يستحقه من تكريم .

أيها السادة :

بقيت كلمة أخيرة أقولها وأنا على عتبات
بجمعنا العظيم .

لأنى أراه بعد أكثر من أربعين عاماً من
حياته متجدد الشباب ، زائراً بالطاقت مبدئياً
بالوعود حافلاً بالمهابة والجلال .

وتحضرنى كلمات قالها منذ سنوات الكاتب
الكبير أندرى موروا عضو الأكاديمية الفرنسية
عندما سئل عن جدوى الأكاديمية .

فى كلماته تصوير وتقدير لدور المجامع
ومكانتها من خلال صورة أكاديمية فرنسا فهى
عنده المؤسسة الوحيدة التى ظلت منذ ثلاثة
قرون لا تحيد عن دستورها وأهدافها ومع ذلك
استطاعت أن تبقى متجددة الشباب .

هى التى صانت اللغة من مفهوم خاطئ
للحرية فيه مفسدة لها .

ويكفى أن معجمها المتطور مازال حكماً
بين النحاة .

وأن رجالها من أهل اللغة وأهل الفنون
وال تخصصات الأخرى يحققون بوفائهم لقضية
السكينة مأثرة عظيمة هى إغناء اللغة الفرنسية .

وتطلع موروا إلى مبنى الأكاديمية الجليل على
ضفة نهر زائر بالتاريخ وأشار إلى مافى مراسمها
وتقاليدها من قيم جمالية تنبئ عن دلائل عراقها .
وبجمعنا الجليل على النهج يسير حافظاً ومجدداً
فى إطار التقاليد .

وسيكون له بتوفيق الله على شاطئ نهر
الحضارات مبنى يتفق مع ما يرمز إليه من معنى
الخلود .

ولعله يجمع فى طرازه وزخارفه ويستكمل
فى مظاهره ومراسمه قيماً فنية تلائم عراقة اللغة
وقيماً ليتفق المبنى مع المعنى ويلتقى الجمال مع
الجلال .

أيها السادة .

سلام الله يرعاكم ويظل خطاكم ، ومنه أسأل
التوفيق ، وإليك أتجه بالشكر العميق .

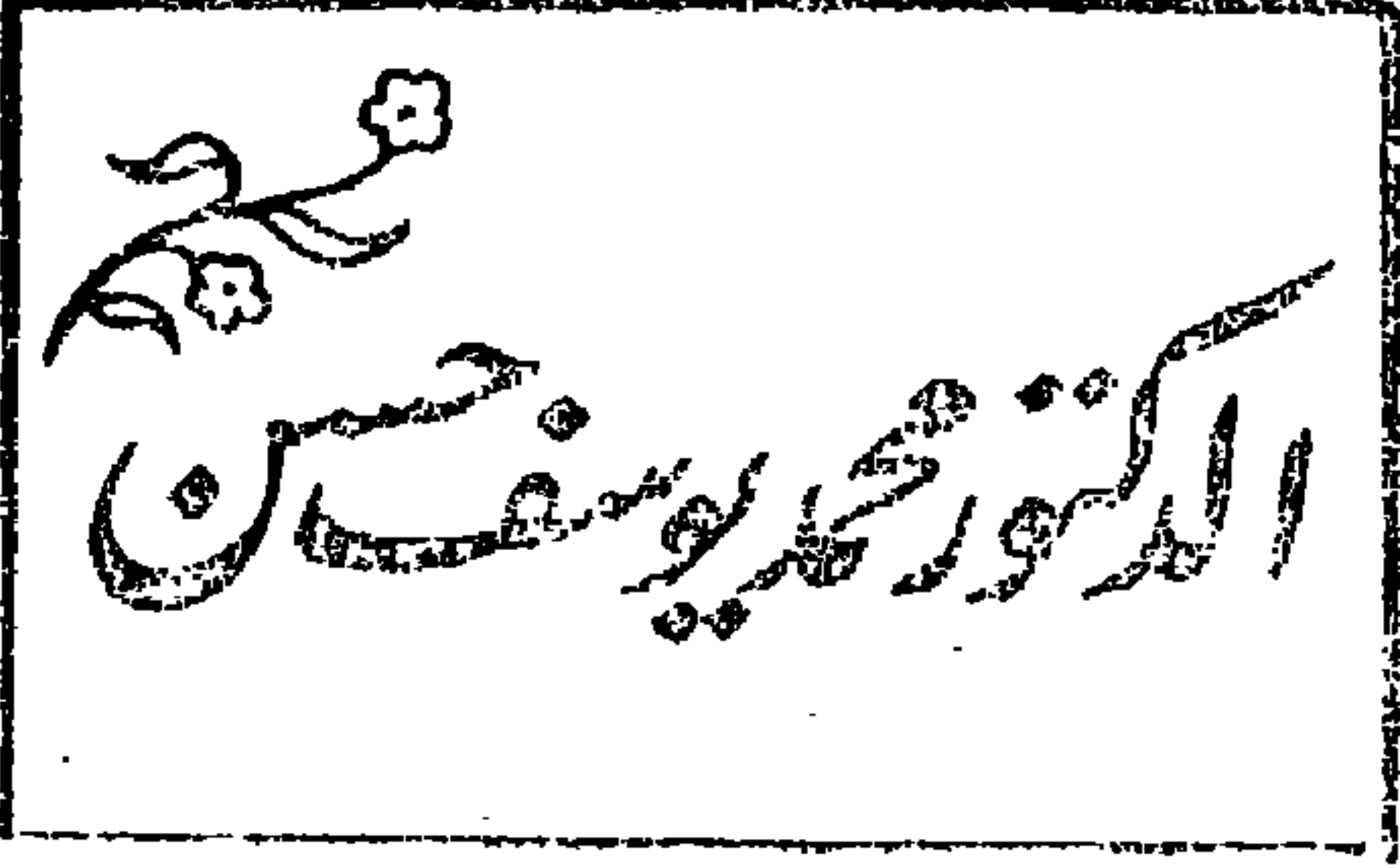
• • • كلمة الدكتور عبد الحليم منتصر

السيد رئيس المجمع

السادة الزملاء أعضاء المجمع الموقر

سيداتي وسادتي

العربية الذواقة المعطاء، حفاظاً على تنشئة الأجيال
المساعدة على حبها، ليزيدوها ثراءً بمصطلحات
العلوم والفنون مساهمة للعصر دون الانتقاص
من ثروتها اللفظية وتاريخها المجيد، وكذلك
بالإضافة إلى تهيئة البيئة الصالحة لرعاية هذا
الغراس.



أما الدكتور محمد يوسف حسن فهو
طنطاوى من مواليد أخريات العقد الثانى من
القرن الحالى . ورث حبّ الأدب عن أبيه
وحفظ نحو نصف القرآن الكريم وهو بعد طفل
لم يغادر الكتاب ، وأعجب بكتاب كلية ودمته
خفظ أغلبه فى أثناء دراسته الابتدائية . سنحت
الصدقة الأولى بعد صدقة المولد التى لا فضل له
فيها ولا يستطيع أحد أن يدل على جهده فى
صدقة الميلاد - إنها الصدقة الموروثة منذ أجيال
وأحقاب ، لا يد لنا فيها ، ولا فضل لنا بها ،
ولا خيار لنا فى أمرها .

يقول الدكتور محمد يوسف : إن شخصية

إنى لسعيد حقاً أن أستقبل باسم المجمع
زميلين كريمين شئت الصدقة السعيدة أن يحشقا
اللغة العربية إلى جانب تخصصهما فى العلوم
الطبيعية التى نحن بأشد الحاجة إلى ملاحقة
مصطلحاتها ، ترجمة ، وتعريباً ، وتعريفاً .
وكانت تلك الصدقة أن يتتلمذ كل منهما فى صغره
وصباه على أستاذ اللغة العربية ، يجيد العزف على
قيثارتها الشجية، ويحسن اختيار الأمثلة من القرآن
الكريم والآحاديث الشريفة وخطب البلغاء
والفصحاء من رجالات العرب وأشعار عمالقة
الشعر قديمه وحديثه . ومن هنا نبتين أهمية
الدور الذى يلعبه مدرس اللغة العربية حين يحجب
تلاميذه فى اللغة . ولا ينفرهم منها بالإصرار على
تعقيدات نحوها وصرفها، والتعمق فى التخريجات
والتأويلات والتقديرات، دون الاكتفاء بالتزام
الصواب، ودون الطواف بمفاتها الأدبية الساحرة
والتعرف إلى أزاويرها النضرة فى حداثتها الغناء
فنحن جميعاً من غراس هذا المدرس المكن الذى
استطاع أن يحجب إلينا قطوفها الدانية، وأن
يقصينا عن متاهاتها ودروبها . ومن هنا تكون
الدعوة إلى العناية الفائقة بتخريج مدرس اللغة

الأستاذ على الخزرجى مدرس اللغة العربية سحرته
إلقاء وبياناً، وقد نصحه بأن يقرأ كتاب الأيام
لأستاذنا الدكتور طه حسين، فكانت صداقة وحباً
بين التلميذ وأستاذه، ثم بين التلميذ وأستاذنا الكبير
رحمات الله عليه، مما حبه في اللغة العربية شعراً
ونثراً وقصصاً وأدباً، وحقق له الحصول على
أول جائزة وهو بعد في الثالثة الابتدائية لحصوله
على أعلى درجة في اللغة العربية، وكأما كانت
هذه الجائزة هي الحافز الدؤوب لمتابع السير
على الدرب، لتكون جائزته الثانية هي استقباله
اليوم عضواً عاملاً بمجمع اللغة العربية وحفاوتنا
به اليوم، مما جعله يقرر ألا يترك المجمع إذا أجبر
على المفاضلة بين عمل المجمع والجامعة. ثم كانت
الصدقة الثانية التي زادت في حبه للغة العربية
وهوايته للأدب العربى حين أريد له أن يلتحق
بمدرسة ثانوية قاهرية فكانت القبة الثانوية
وكان وكيلها أستاذنا المرحوم محمد فريد أبو حديد
الذى سمع عن شغف الطالب باللغة العربية وإجادته
لها، فاستدعاه إلى مكتبه وهناك على ما سمع عنه من
ثناء من الأستاذ الشاذلى أستاذه في اللغة العربية
وكلفه الإشراف على مجلة المدرسة. ومضت الأيام
ليعود إلى طنطا ويحال بينه وبين دخول القسم
الأدبى، فيضطر إلى دخول القسم العلمى امتثالاً
لأمر العائلة، التى تريده طبيباً لا أدبياً. وعادت
الآزمة مرة أخرى عندما أصر على الالتحاق
بكلية الآداب فاعتصم في حجرته وأضرب عن
الطعام. مصرأ على عدم الالتحاق بكلية الطب،
وأخيراً كان الحل الوسط هو الالتحاق بكلية
العلوم هرباً من الطب والآداب معا.

وصرفته سنو الدراسة في كلية العلوم عن
هوايته الحبيبة وهى الأدب؛ فعبء العلوم ثقیل
وواجباتها ومختبراتها ومجاهرها وأجهزتها مما
يستغرق وقت الطالب وجهده، إلا أن الصدفة
الثالثة في حياته أن يعجب بأستاذ الجيولوجيا، وأن
يصاحبه في الرحلات إلى الصحارى والجبال حيث
المناظر الطبيعية الخلابة، فأعطته هذه الرحلات
شحنة قوية من حب الطبيعة، وغذت خياله
الأدبى إلى جانب تنمية موهبته في الرسم.

استهواه في كلية العلوم أستاذ روسى في
الجيولوجيا هو الأستاذ «زادانسكى»، فقد كان
أستاذاً بارعاً استهواه أسلوباً وتعبيراً في وصف
الحفريات فكان جيولوجياً. واستهواه فيما
يقول أستاذ آخر يحاضر في علم النبات بلغة عربية
سليمة، فحمد الله أنه لم يبعد عن الجو العربى واللغة
العربية الجميلة، وكانت كلية العلوم في ذلك العهد
تموج أماسيها بمحاضرات ومناظرات من جيل
العمالقة، من أمثال لطفى السيد وطه حسين وعلى
مشرفة والعقاد وحسين هيسكل وغيرهم من الرواد
كنا ندعوهم لأماسى غاية في الروعة والبهاء
يسحرون عقولنا بسحر بيانهم، وسامى آدابهم
وفصيح لغتهم العربية، فيحاضرون ويجادلون
وينظرون في جو لعله بعكاز أشبه، فتتمسح هذه
الأماسى الجميلة عناء المجاهر والمخابر وأبخرة المعامل
وغازات المرافد.

وتتتابع الصدق الجميلة في حياة صاحبنا فيلقى
أبا حديد مرة أخرى في المجمع، حين عمل خبيراً
به منذ ست عشرة سنة، ويتنذاكران مجلة المدرسة

الثانوية ومقالاته فيها ، ثم يلقي أستاذا الدكتور
 طة حسين مديرا لجامعة الإسكندرية ثم رئيسا
 للمجمع ، ويلقى جيل العمالقة مرة أخرى في مجعنا
 الموقر ، فيجادل العقاد ، ويشرح الجيولوجيا للطفي
 السيد وطه حسين . وإنه في هذه الرحلة الطويلة
 لا ينسى واجبه الأول شارحا ومعلما للجيولوجيا
 ومفسرا لأحقابها وعصورها وحفرياتها ، وناظرا
 إلى العربية أسماء أحافيرها وقياسات أحقابها
 وعصورها وإنه ليطوف بأرجاء مصر دارسا
 ومعلما من شبه جزيرة سيناء إلى فيافي الصحارى
 من شرقية وغربية ، ومن السلوم إلى منخفض
 القطارة ومن جبال علبة إلى واحات سيوة إلى
 المناطق النائية في هذه الفيافي وتلك القفار ، مفتشا
 عن ثروات المعدنية وهر من أوائل من كشفوا
 عن الفحم في مصر ، فقال بوجوده في عيون
 موسى والمغارة . وإنه ليدرس الجيولوجيا بلغة
 عربية سليمة فكان من أوائل الملبيين لدعوتنا في
 استعمال اللغة العربية لغة للعلم ، وخاصة حين تبين
 لنا أن قانون الجامعة ينص على أن العربية هي
 لغة التدريس وكل ما عدا ذلك كان استثناء ،
 ففسينا وتناسينا حتى غدا الاستثناء هو القاعدة
 ولعلها فرصة أن نحدد الدعوة إلى تعريب العلم
 دون أن نهمل العناية بلغة أجنبية ، لمتابعة الاطلاع
 على المسائل العلمية في لغاتها الأجنبية كذلك . ذلكم
 هو زميلنا الدكتور محمد يوسف حسن الذي
 تخرج في جامعة القاهرة منذ نيف وثلاثين سنة
 وحصل على درجة الدكتوراة من جامعة بريستول
 منذ نحو ربع قرن من الزمان . وهو أستاذ
 للجيولوجيا بجامعة عين شمس ثم بجامعة الأزهر
 وإنه لخبير بمجمعنا منذ ست عشرة سنة ، وعضو

لجنة خبراء العلوم بالمجلس الأعلى للعلوم
 الإسلامية ، وعضو الجمعية الجيولوجية البريطانية
 والجمعية الجيولوجية المصرية ، وأمين الجمعية
 المصرية لتاريخ العلوم ، وعضو الأكاديمية المصرية
 للعلوم . وله عشرات البحوث المتكررة في علم
 طبقات الأرض وعلم الحفريات وعلم الجيولوجيا
 الاقتصادية ، شملت بحوثه مناطق شتى من صحارى
 مصر وليبيا ، وفي أصقاع شبه جزيرة جرينلاند ،
 وله مؤلفات في مستوى التعليم الجامعى في
 الجيولوجيا وبخاصة في علم الحفريات باللغة العربية
 ولقى كتاباه : قواعد الجولوجيا العامة ومقدمة في
 علم الحفريات انتشاراً عربياً واسعاً . وبعد الدكتور
 يوسف ثانى من ألق للمدارس الثانوية المصرية
 في علم الجيولوجيا بعد المرحوم حسن صادق باشا ،
 ويدرس كتابه في المدارس المصرية والبلاد العربية .
 صنف خمسة عشر كتابا بين مؤلف ومترجم
 في تبسيط العلوم ، منها : فجر الحياة ، الثروة المعدنية
 في العالم العربى ، قصة السموات والأرض ،
 الإنسان والقمر ، كل شيء عن الصخور ، قصة
 كوكب ، الأرض من تحتنا .

كما حقق مخطوطة دأزهار الأفكار في جواهر
 الأحجار ، لأحمد بن يوسف التيفاشى ، وشارك في
 إصدار معجم الجيولوجيا الذى نشره المجمع سنة
 ١٩٦٤ ، كما نشرت له بحوث بمجلة المجمع منها :
 المصطلح الجيولوجى ، وثناء اللغة العربية بأصول
 المصطلحات الجيولوجية .

أيها السادة :

يطول بي الحديث إذا أنا حاولت استقصاء
 صورة كاملة لزميلنا الجديد ، الذى أرشحه وأستقبله

نحور أابه، لثقتى بأن زمالته مشرفة، فهو يجمع إلى الفضل التخصص الذى يسعى إليه فيه والحس الأدبى اللغوى، وهى الشروط الثلاثة التى أصر على استيفائها فى زميل بجمعنا الموقر . أقدمه واستقبله باسمكم متمنيا له التوفيق .



أيها السادة :

أما ثانى الاثنين ، للذين وكلمت إلى استقباليها وشرفتموني بتقديمها إليكم فهو الزميل الكريم الدكتور محمود مختار قاهرى المولد فى آخر بات العقد الاول من هذا القرن . حبيه إلى اللغة العربية مدرسه الشيخ أبو العينين جعفر الذى لا يزال يذكر فضله عليه، ويشيد به فى كل مناسبة، كما حبيه إلى علم الطبيعة مدرسه الاستاذ عبد العزيز الغباشى الذى تنبأ له أن سيكون أستاذا لعلم الطبيعة ، فقد كان يأخذ الدرجة النهائية فى علم الطبيعة، فى جميع امتحاناتها عرف صاحبنا أستاذه فى مدرسة الزقازيق الثانوية مع أن شغفه بالطبيعة وأجهزتها وأدواتها كان يدفعه إلى تفضيل مدرسة الفنون والصنائع ، لولا الإصرار على أن يدخل المدرسة الثانوية ليتابع الدراسة ويكون مدرسا . مع أنه كان يفضل أن يكون مهندسا ، فعندما افتتحت كلية العلوم لأول مرة فى مصر كان من بين الخسة الطلاب الأوائل اللذين أجبروا

على التحويل من مدرسة المعلمين إلى كلية العلوم دخلوها مكرهين ، فلم يكن لمصر عهد بكليات العلوم . ماذا عسى أن يكون عمل المتخرجين فيها؟ حتى قال أحد وزراء ذلك العصر وقد قابله أفراد الدفعة الأولى ومنهم زميلنا الدكتور مختار ولم يكن قد وضع لخرجيهما كادر — قال الوزير: لم لا نقول بكالوريا علمى بدلا من بكالوريوس علوم؟ كان هؤلاء الخسة نواة لكلية العلوم شخهم ، فيما يقول زميلنا ، ناظر المعلمين فى « تاكسى » لينذهبوا إلى كلية العلوم لمقابلة العميد الأجنبى ليرغبهم فى الالتحاق بهذه الكلية الناشئة التى لم يقتنع طلابها بعد بمستقبلها .

فمدرسة المعلمين تخرج مدرسين والمهندسخانة تخرج المهندسين ومدرسة الطب تخرج الأطباء، ولكن ما عسى أن يكون خريج العلوم؟ وما معنى تخصصه فى الجيولوجيا أو الكيمياء أو النبات أو الحيوان؟ وما عمل هذا المتخصص؟ وماراتبه؟ وما مستقبله؟ كل ذلك كان لا يزال ضرباً من الغيب ورجماً به .

وعلى هذا النحو وبهذا القلق التحق بكلية العلوم ليتلذذ فيها على عملاق من عمالقة العلم فى مصر ذلكم هو المرحوم الاستاذ الدكتور على مشرفة، فقد كان مع حظ مصر والعالم العربى أن يوجد فيها على مشرفة يدعو إلى تمجيد العلم والبحث العلمى ، حين لم يكن أحد فى ذلك العهد يعرف ما هو البحث العلمى فى علومنا الطبيعية ، فقد كان العلم المهنى صاحب الخطوة لدى آبائنا بل فى جيلنا كله ، فوجد فيه رائده فى الرياضة والموسيقى معا ، فقد كان أستاذا الدكتور مشرفة

مشهوراً بالموسيقى، ووجد في تلميذه مختار الصورة المحببة إلى نفسه المنفذة لبحوثه ودراساته في الموسيقى العامة، والموسيقى الشرقية والعربية بخاصة، فلم لا يتخصص مختار في علوم الصوت بأجهزته وأدواته وتسجيلاته؟ ولم لا يعمل بإشراف الدكتور مشرفة مع مصطفى رضا والعقاد من أعلام الموسيقى في هذه الحقبة؟ ولم لا يسجل السلم الموسيقي الشرقي على أساس علمي ويميز بين الخصائص العلمية في السلم الشرقي والسلم الغربي؟ كيف تختلف هذه الخصائص من عازف إلى آخر ومن آلة موسيقية إلى أخرى؟ وكان لهذا البحث دويه في ذلك الوقت ونشر مفصلاً في مجلة تيتشر. وما هو ذا يتابع بحوثه الموسيقية بعد وفاة أستاذه الدكتور مشرفة منذ ربع قرن من الزمان، يتابعها مع تلميذه الدكتور يوسف شوقي فيعيد تجاربه السابقة ليصل إلى النتائج نفسها، ولكن بأجهزة أحدث وآلات أدق، ومن بين دراساته الخالدة قياساته من تسجيلات سيدة الغناء العربي خالدة الذكر ومعجزة الغناء السيدة أم كلثوم، فيقول الدكتور مختار: إنه ثبت لديه أن في صوتها دقة أداء السلم الموسيقي الشرقية إلى حد لا يقارن بأي صوت آخر، وأن أدائها لينتقل بالسلم نفسه من أغنية إلى أخرى في دقة بالغة وأداء بارع ليس له نظير.

لقد كانت هوايته للموسيقى نابعة من تخصصه الدقيق في علم الصوت أحد فروع علم الطبيعة، وكذلك اجتمعت الهواية مع العلم، نبعان من عين ثرة هي شخصية الدكتور مختار الفذة المحببة.

ذلكم هو الدكتور مختار. التحق بكلية العلوم بالجامعة المصرية سنة ١٩٢٥، ضمن طلبة الدفعة الأولى التي افتتحت بها الكلية، وتخرج في سنة ١٩٢٩ متخصصاً في الطبيعة والرياضة، ثم حصل على الدكتوراه من إنجلترا، وتدرج في وظائف التدريس بالكلية من معيد بها سنة ١٩٢٩ إلى عميد لها سنة ١٩٦٤. رأس قسم الطبيعة زهاء عشرين عاماً، وحصل على وسام الاستحقاق لاشتراكه في إنشاء مؤسسة الطاقة الذرية.

وهو رئيس للجمعية الفيزيائية المصرية ورئيس للشعبة المصرية للاتحاد الدولي للفيزيكا ورئيس لمجلس البحوث الفيزيائية بالمركز القومي للبحوث، وعضو المجمع العلمي المصري والأكاديمية المصرية للعلوم.

والدكتور مختار نشاط مرموق في تأليف كتب مرجعية في علم الطبيعة باللغة العربية منها أصول علم الطبيعة في خمسة أجزاء، وأساس علم الطبيعة في خمسة أجزاء، والطبيعة التجريبية، وعلم الضوء. وفي مجال الترجمة العلمية قام بترجمة ومراجعة عدد كبير من المراجع العلمية بلغت في مجموعها بضعة عشر كتاباً. كما ساهم في إخراج معجم الفيزيكا النووية وهو باكورة إنتاج مجعنا في التخصصات الدقيقة الحديثة، كما أنه يسهم في إعداد معجمين للفيزيكا العامة أحدهما للتعليم العام والآخر للتعليم الجامعي.

وفي مجال إحياء التراث العلمي العربي يتابع رائدنا الأول في هذا المجال أستاذاً مصطفى نظيف، ويحقق كتاب «تنقيح المناظر لذوى

الأبصار والبصائر ، مؤلفه كمال الدين الفارسي ،
خطارائده الأول الحسن بن الهيثم .

وقد خص الدكتور مختار الجمعية المصرية
للمعلوم الرياضية والفيزيقية بالجزء الأكبر من
نشاطه في النشر العلمي ، حيث كان من رواد هذه
الجمعية منذ نشأتها سنة ١٩٣٦ . وظل أميناً عاماً لها
طيلة خمسة وعشرين عاماً ، وقام برئاسة تحريرها
نحو ثلاثين عاماً . وهذه المجلة هي الأولى من
نوعها في الوطن العربي ، وقد عملت منذ
إنشائها على تشجيع النشر العلمي في الرياضيات
والفيزيقا باللغة العربية . أما ما ينشر بلغه أجنبية
فيشترط أن يصحبه ملخص باللغة العربية
وقد عرفت المجلة بمستواها الرفيع في البحوث
العلمية المبتكرة .

كما أنشأ مجلة متخصصة للفيزيقا النووية منذ
ست سنوات لبحوث النظائر والإشعاع ، ورأس
هيئة التحرير فيها ، وهي على نفس مستوى المجلة
السابقة مع العناية في تطبيق استخدامات
الإشعاعات النووية في شتى المجالات العلمية
والإحيائية والطبية والهندسية .

أما في مجال البحوث العلمية فقد اقترح
الدكتور مختار ثلاثة مجالات كان له فيها القدر
المعلّى أولها: ما يسمى بالفيزيقا الإشعاعية، وذلك
على أثر اتساع نطاق العمل بالإشعاعات النووية
الخطرة وما يستتبع ذلك من ضرورة الاهتمام
بشئون الوقاية من أخطارها ، وتناولت بحوثه
كيفية وقاية العاملين في الإشعاعات النووية .

وثانيها: علم الصوتيات ، فقد كان يعز عليه أن
توصم الموسيقى الشرقية بصيغة السماعية التي
لا تخضع لأساس علمي ، فحشد معارفه الفيزيقية
وأجهزته الإلكترونية لخدمة هذه الموسيقى ، فقام
بتسجيل السلم الموسيقي الشرقي وصياغته على
أسس رياضية علمية ، أبدت عنه صفة السماعية
وخلصته من شوائب كثيرة . كما أجرى بحوثاً على
الآلات الموسيقية الفرعونية القديمة .

وثالثها : فرق السميات . وإن الدكتور
مختار لمن رواد هذا المجال فأنشأ مدرسة بحثية
سايرت تطوراتها الواسعة ، وأنتجت مئات البحوث
التي تتناول الكثير من التطبيقات الأساسية
والأصول الكلاسيكية .

أيها السادة :

هذان هما الزميلان الكريمان أقدمهما وأنا
واثق أنهما سيمنحان المجمع كل وقتهم وجهدهما
وعلمهما وخبرتهما . وقد رأيت كيف أن أحدهما
صرح بأنه يؤثر عمل المجمع على عمله الأصلي .
أما الآخر فهو يتفرغ تماماً للمجمع ولجانه
وجلساته وأعماله .

أيها السادة :

قبل أن أختم كلمتي أرجو أن تأذنوا لي
في أن أحيي لمسة الوفاء التي لمستها في الزميلين
الكريمين ، اللذين نستقبلهما اليوم ، فالوفاء عملة
دارسة في هذه الأيام ، ولكن الزميلين أصراً على
ذكر أساتذتهما وأصحاب الفضل عليهما ، سواه
في تخصصاتهما العلمية الدقيقة أو في اللغة العربية .
فها نحن ذكرنا الخزرجي والشاذلي وجعفر

والغباشي وزاد نسكي ومشرفة ونظيف وطه حسين
وفريد أبو حديد وحسن صادق ولطف السيد
والعقاد، وغيرهم من أفاضل الاساتذة العلماء .
وصدق البغدادي الذي يقول: إن العلماء لا يموتون
أبداً ، وإنما يخلدون في أعمالهم ويعيشون في قلوب
تلاميذهم . والواقع أن الفكر العلمي واللغوي
والديني والأدبي يتسلسل جيلاً بعد جيل منذ
 فجر التاريخ ؛ فليس كل عالم أستاذ سواء تتلمذ عليه
مباشرة ، أو تتلمذ عليه في كتبه . ومن هنا كانت
العنقة التي ورثناها عن السلف الصالح . إنها الأمانة
والوفاء والاعتراف بالفضل لذويه . وكذلك
اعترف علماء العصر الإسلامي بالفضل لأفلاطون

وأرسطو من علماء العصر الإغريقي وخلعوا
على أرسطو لقب المعلم الأول للإنسانية كما
اعترفوا لجالينوس وديسقوريدوس وبطليموس
وإقليدس من علماء العصر الإسكندري . وكذلك
نحن نعترف لعلماء العصر الإسلامي كابن الهيثم
وابن سينا كما نعترف لعلماء عصر النهضة الأوروبية
من كبار وكوبرنيك إلى والتون ونيوتن ، وهذا
هو الوفاء أسمى سمة يمكن أن يتصف بها العلماء .
فلتحيا معي الزميلين الكريمين متعنين
لها متابعة خدمتهما للعلم ، ولغة القرآن الكريم
كتاب العربية الأكبر ، والسلام .

• • • كلية الدكتور محمد يوسف حسن

في حفل استقباله عضواً بالجمع

سيدي الرئيس : سادتي

الله العلي القدير أسأل أن يهبني عوناً ،
ويهديني رشداً ، أتزود بهما في حمل الأمانة
الكبرى التي حملتموني إياها ، أيها الخالدون .
وليس أخشى أن يكون في هذا إسراف في
حسن ظنكم بقدرتي على حمل هذه الأمانة . .
ولقد قدمني اليوم إلى مجدهم العظيم ، أستاذي
الدكتور عبد الحليم منتصر نائباً عنكم ، فأضفي
على من الصفات مالا أعتقد أني أهل لها . وعلى
منذ اليوم أن أبذل غاية الجهد حتى أحتفظ بحسن
ظنكم بي ، وأكون خليفاً بالانتساب إلى
رؤسائكم .

إن هذه الثقة الغالية التي حبوتوني إياها
حين رأيتموني قادراً على حمل الأمانة ، لأغلي
وأعظم ما أعز به من تقدير نلته أو يمكن أن
أناله مدى الحياة . إن الامتحان الذي اجتزته
أمام مجلسكم من أجل هذا التقدير ، ما شعرت
في امتحان قط بمثل ما شعرت إزاءه من هيبة
وبلبلة هواجس ، ورغم ما أحرزت قبله من
إجازات وجوائز ، وعضويات علمية ، ورغم
ما علاني من شيب وما أثقل كاهلي من مسؤولية .
حقاً لقد تبلبلت هواجسي لدى هذا الامتحان ،
وأنا الذي كنت أنصح كل من علمت ألا يدع
مجالاً للخوف والهواجس تتسرب منه لتوهن

من عزيمته أو تعوقها عن إحراز النجاح في
أى امتحان .

هذا التقدير العظيم الذى نلته منكم ، حقه
عندى أن أعاهد الله وأعاهدكم ونفسي على التفانى
في الحفاظ عليه ، وعلى البذل في سبيل ذلك من
أجل الإسهام في تحقيق رسالة المجمع ، مهما
تكلفت من تضحية ونصب أقدمهما عن طيب
نفس وسعادة في سبيل لغتنا الشريفة الغالية ،
متمثلا في ذلك قول رب السيف والقلم :

« ومن تمكن العلماء همة نفسه
فكل الذى يلقاه فيها محبب ،

والحق أيها السادة الاجلاء ، أنه ليس بعد
الفوز بثقتكم من عليةاء يصبر إلى نوالها
إنسان .

أيها الاساتذة الاجلاء :

لقد مر أكثر من شهرين منذ أن طابت
نفسي بما نقل لإيها البشير من فوزي بثقتكم ،
وأصدقكم القول أنه بقدر ما أفعمت نفسي
فرحا بتحقيق أعز أمنياتي ، أحسست فجأة
بالاشفاق المضى عليها ، من العجز عن تحمل أعباء
هذه الثقة . وإته لما زاد من وطأة هذا الإشفاق
ما علمته من أنه قد قدر لي أن أنال شرف
الجلوس في مجملكم على مقعد كان يملؤه قبلي رئيس
مجمع الخالدين ، وعميد الأدب والفكر في عالمنا
العربي : المغفور له الدكتور طه حسين . لأنني
وقد مضى شهران منذ لم أستطع الخلاص من
وطأة التيب والارتباك التي تسيطر على كما

فكرت أننى سأخطو نحو هذا الشرف الرفيع
الذى هيأته لي تقاليد مجملكم التي لا تخالف .
ولعائى لا أجد في هذا تعبيراً خيراً بما قاله أحد
الخالدين في هذا المقام حين أعلن أن الصدفة
ظلمته كما ظلمت سانه العظيم باستوائه في مكانه
« فاستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ،

أيها العلماء الاعلام :

لقد كان لي الحظ العظيم منذ ثيف وخمسة
عشر عاما أن يختصني أستاذي الفاضل الدكتور
عبد الحليم منتصر الذى يعد من أبرز رواد
تعريب العلم في مصر ، بالدعوة لشارك في مهمة
إعداد المصطلحات في علم الجيولوجيا لمجمع الخالدين ،
فصدر قرار المجمع باختيارى خبيراً لدى لجنة
الجيولوجيا في أول عهدى به تقريبا . وأخذ
بيدى أستاذي الدكتور عبد الحليم منتصر لما آنس
عندى من حب للغة ، وحرص على سلامتها ،
وكلف بالرى من مزايلها . أخذ بيدي منذئذ نحو
تحقيق ما ظل يراود نفسي منذ نعومة الأظفار
من أمل في العيش في رحاب لغتنا ، والتمتع بنعماء
جمالها وفنونها . ولم تمض سنة أو اثنتان حتى أذن
أن يفتح لي باب مجملكم الشاخص لأول مرة ، فأرى
بعينى رأسى ما كان يرضينى به خيالى من كد في
تصور ما يدور خلف هذا الباب العظيم من
محاورات الخالدين .

وما زلت أذكر بالتيه والانهيار
تلك المذقشات اللغوية والعلمية العالية التي
أثيرت حول بعض ما كنت أعرضه من
مصطلحات لجنة الجيولوجيا . كم كنت أخرج من

تلكم الجلسات ، وأنا أسائل نفسي عما إذا كنت جديراً حقاً بالجلوس إلى هذه الصفرة الممتازة من الجهابذة الذين كنت أسمع عنهم فقط ، وأرى صورهم ، أو أقرأ أسمائهم على أمهات الكتب . وهل كنت موقفاً حقاً فيما يدور بيني وبينهم من محاورات ومناقشات ، وكنت أتبه وأخبر بما يقرؤني عليه منها ، وأرضى عن نفسي بل وأمتن عابها بما يختصونني من ملاحظات عليها .

كم تعلمت في مدرستكم العليا أيها الأساتذة الأجلاء ، وكم جعلتني هذه المدرسة أزداد حباً للغة العربية ، واستمساكاً وإيماناً برسالة تدريس العلوم في جامعاتنا بها . لقد ألفت وأنا في كنف مدرستكم الكبرى خلال خمسة عشر عاماً ، أول ما كتب بالعربية في بعض فنون الجيولوجيا ، وأول ما نشر على الجمهور من مبسطات هذا العلم ، فلاقت بنفحاتكم ما لاقتة من نجاح .

إن مجملكم العظيم هو صرح اللغة الشايع المنيع . وإن جهاد سدينته هو أشرف جهاد عزت به لغة القرآن وانتصرت ، واتسعت مجالاتها . لقد حقق لها جهادكم حياة ملؤها الرغد والتنوع والقدرة على استيعاب كل الفنون والعلوم — لقد دأب مجملكم العظيم على بذل عناية خاصة للنهوض باللغة العلمية وصياغة مصطلحاتها ، وإليه ليسكتفيني أن أشير إلى جهاد أساطينه العظام في هذا المجال ، وأرجو أن يأذن لي رئيس المجمع الدكتور إبراهيم مذكور في أن أعبر عن مضمون هذا الجهاد بمثلاً في مقتطفات من أقواله

عن المصطلح العلمي وعن لغة العلم حيث يقول : « تاريخ العلوم إلى حد ما تاريخ لمصطلحاتها ، وعلى العلماء أن يحيوها أولاً كل ما يمكن لإحياءه من المصطلحات القديمة ، فإن لم يجدوا ، فعليهم أن يقيسوا ، ويشتقوا من العربية نفسها ، — قيمة المصطلح في انتشاره والأخذ به ، وبذا يصبح جزءاً من اللغة العلمية » ، لغة العلم وثيقة الصلة بلغة الأدب ، تتعاونان وتتفاعلان ، ولا تكاد توجد نهضة أدبية إلا وتصاحبها نهضة علمية » .

هذه باختصار ، معالم الدرب الذي انتهجه المجمع لإحياء لغة العلم العربية وإثرائها . وإنني لعلّي هذا الدرب مرت وسأسير . وما أنا بحاجة إلى أن أؤكد هنا أن التراث لآخر من المصطلحات العلمية بالقيم والأصيل ، وأن الفصحى لغاية بالاصول الصالحة لاشتقاق المصطلحات . وإنه لجدير بالمجمع أن يؤلف لجنة جديدة لتقصى المصطلحات في التراث ، وإحصائها وتصنيفها وفهرستها ، وتحديث تعريفاتها ونشرها ، وكذلك لإحصاء الاصول الصالحة من اللغة للاستعمال العلمي في المجالات المختلفة ، وبحوث الاشتقاق المناسبة للغة .

وسيكون هذا عوناً أي عون لمن يريدون الكتابة العلمية الأصيلة ، ولمن يبتغون ارتياد مجال تأليف البحوث العلمية المتخصصة بالفصحى . ولا يسعني في هذا الموقف إلا أن أقترح على المجمع تقديم النصح لوزارة التعليم العالي كي تتعاون معه في تقرير تدريس اللغة العربية العلمية في الكليات

العلمية بالجامعات والمعاهد العليا بجانب ما تقوم بتدريسه من لغات أوروبية علمية بها ، بل لأنه لمن الخير - في رأي - أن تستبدل الأولى بالأخرى مع زيادة الاهتمام بتدريس أصول اللغات الأوروبية في مراحل ما قبل الجامعة . ولعلمي أكتفي بهذا التنويه عما يراود نفسي من آمال في تحقيق أعمال جديدة لجمعنا ، وأترك تفصيله للبحث والمناقشة المستقبلية .

أيها السادة العظام :

يأبى حفاظكم على التقاليد إلا أن يطلب إلى كل عضو جديد يشرف بمقعد في مجمعكم المبجل ، أن يقول عند استقباله كلمة عن سلفه الذي سبقه إليه . وإني لمطيع أحكام هذه التقاليد على ما فيها من إرهاب لي ، وعلى ما أشعر به من عجز في موقفي هذا حين أجلس في مقعد كان يتبوؤه طه حسين . فإذا عسى أن أقول في رجل كان ملء الدنيا أدبا وفضلا ، ماذا أقول في رجل كان أمة في واحد ، بل كان عالما بأسره في واحد :

فياله من فرد هو الجمع كله

بمبناه أو معناه حشداً مكديسا

أسألتني : أنتم أقرانه ، وأنتم الذين عرفتموه عن كُتب ، وإني لأغبطكم على ذلك ، وما أنا إلا الذي حقه أن يستمع في هذا منكم . وإن كان لا بد أن أقول شيئا ، فحسبي أن أتحدث عن طه حسين المجمعى المنافع عن حمى اللغة العربية ، العاشق لها ، المعنى بالوقوف طويلا أمام مشكلاتها . المنادى دائما بالبحث في حل هذه

المشكلات . كان عميق الإيمان باللغة العربية ، وبجدارتها كلغة علم وحضارة ، استطاعت كما لم يتح للغة قديمة أو حديثة أن تكون لغة رسمية لكثير من الأقطار في زمن جسد قصير ، بل استطاعت أن تتجاوز هذا النطاق الرسمي فغزت شعوب تلك الأقطار - على حد قوله - في عقر دورهم حتى أصبح الناس يتحدثون بها فيما بينهم ، ذلك أنها لغة محبة قريبة إلى النفس تستطيع أن تترجم عن أفكار من يتحدث بها في طوعية ويسروا حسبنا أن نستمع إليه يقول « ويكفي أن نرى كيف استطاع العرب أن يسيغوا ما كتب عن فلسفة أرسطو وطب جالينوس إلى آخر هذه العلوم التي استطاعت اللغة العربية أن تسيغها وأن تطوعها لقواعدها وأن تطوع لها قواعدها أيضا ولننظر إلى قوله :

« إنها لغة خلقت لتكون لغة عاوية بأوسع معاني هذه الكلمة وأدقها دون أن تنزل عن أصولها ، وعن قواعدها ، وعن خصائصها التي تمتاز بها من سائر اللغات . ولعل أهمها بجانب هذه القوة ، ما تمتاز به من المقاومة العنيفة التي تحميها من طغيان اللغات » .

ولم يقف هذا الدفاع المجيد القوي عن العربية في سبيل تفهمه لمشكلاتها عند حد . فلم تغب هذه المشكلات عن خالطه ووجدانه ، بل ظلت تلاح عليها أشد الإلحاح حتى لقد وقف طويلا أمام هذه المشكلات ، وقفة محب للعربية حذب عليها معنى بمستقبلها كغنايته بحاضرها وماضيها .

فرأى بشاغب فكره أن أهم مشكلاتها التي

تهددها اثنتان : الأولى : مشكلة الكتابة ، والثانية مشكلة الإعراب . لقد واجه هاتين المشكلتين بجرأة وشجاعة يعرف بهما ، دافعهما الحب والحرص ، لا مجرد النقد ، والضيق بالقديم والمألوف . وتحدث عن العربية وأهلها فقال :
« لغة حية مرنة قادرة على التطور ، يتكلمها قوم لا يزالون في حاجة إلى الحياة ، ولا يزالون في حاجة إلى التطور »

لقد بين في أسلوبه الدامغ الساخر الساحر كيف أن القدماء أنفسهم كانوا يطالبون بتطوير النحو وتيسره ، وأن الذي يطالب به ليس بدعا بل هو سنة جارية ، وكان يستشهد في هذا مداعبا بقول أحدهم :

ماذا لقيت من المستعربين ومن
تأسيس نحوهم الذي ابتدعوا
إن قلت قافية فيما يكون له معنى
يخالف ما قاسوا وما صنعوا
قالوا: لحننا وهذا الحرف منخفص
وذاك نصب ، وهذا ليس يرتفع
وحرشوا بين عبد الله واجتهدوا
وبين زيد ، فطال الضرب والوجع

وهو مع هذا كله كان يرفض الدعوة إلى العامية ، كلاما أو كتابة رفضا باتا ، ويهاجم الداعين إلى ذلك هجوما مبرحا ، ويقول في هذا أنا مطعون إلى أن هذه الدعوة لن تلقى من يستجيب لها ، وأصحابها أنفسهم لا يستجيبون لها — فيما بينهم وبين أنفسهم — وإنما هم قوم حيل بينهم وبين أن يتعلموا تعليماً صحيحاً ، وحيل بينهم وبين تذوق هذه اللغة ...

وكان يرى أن تيسير الكتابة أساس لتيسير القراءة الصحيحة والإعراب ، ومرتبط عضوياً بتيسير فهم قواعد اللغة وتذوقها . لذلك كان دفاعه من أجل تيسير الكتابة لا يقل حماسة عن دفاعه من أجل تيسير الإعراب . وقد أحس بذلك وهو الذي لم يكن في حاجة إلى أن يكلف نفسه مؤونة الانشغال بحل مشكلة الكتابة . ولكن بالشجاعة والحب والإيثار — تتجلى كلها في قوله :
« ولا تسألوني أنا عن تيسير الكتابة كيف يكون ؟
ولكن لكم الحق — كل الحق — في أن تسألوا المجتمع والحكومة أيضاً والحكومات العربية والمجامع العربية في إصلاح الكتابة ، فمن التي ينبغي أن تسأل في هذا ، وأشهد لقد جدد جمعنا في إصلاح الكتابة منذ سنين ، وما أرى أنه قصر ، إذا لم يكن قد وفق إلى هذا التيسير ، ولكنه في حاجة إلى العون الذي يتيح له أن يمضي في التيسير ... »

إن هذه المشكلات التي وقف طه حسين المجمعى الفذ أمامها بجرأة وشجاعة منذ أكثر من ربع قرن ، وطالب بمواجهتها ومعالجتها والتغلب عليها ، ما زال معظمها يواجهنا حتى الآن ، وما زالت اللجان تشكل والمؤتمرات تعقد وتنفض وهذه المشكلات قائمة . وسوف يعقد اتحاد المجامع بخصوص تيسير النحو في الصيف القادم مؤتمراً في الجزائر نرجو له التوفيق في تحقيق الكثير مما كان يدعو إليه طه حسين .

وما أظن المقام يتسع لإيفاء حق هذا العلم فيما جاهد في سبيل الفصحى وتيسير تعلمها ، لكنني أجد لزاماً علي أيضاً أن أنوه بفضلته على

أروقته منذ عام ١٩٥٨ بالدرس والمثابرة والتفاني في الإخلاص للفصحى . ولى عند هذه الأبواب، وفي رحاب هذه الأروقة أروع ذكرياتي التي أحلها لطف حسين ... ويا ليتني حظيت منها بالكثير وهي - على القلة - جلها د من بعيد ، ، حتى أذن الله أن يكون بعضها من قريب؛ عندما أوكل إلى شرف عرض مصطلحات الجيولوجيا على مجلسكم الموقر وطه حسين نائباً للرئيس، فريسا للجمع . وأشهدكم أحسست كأني حبيت الخلد حقاً وأنا اتخذ مجلسي بجانبه أتلقى منه كلمة أو كلمات ، أو إشارة رضا أو بسمة ارتياح .

وواهاً لقلبي من الذكريات القاسية عن السنوات الأخيرة من عمر الرجل العظيم ، عندما ثقلت عليه وطأة الداء . وما كان يتغيب عن جلسات الجمع إلا نادراً . وكان يتحمل العذاب في هذا بصبر وشموخ . لم أذكر له مرة واحدة في كثير من الجلسات التي حضرتها يطلب رفع الجلسة بنفسه، مع ما كان يبدو واضحاً عليه قرب نهايتها من تعب وإرهاق . كم وقفت في تلك السنوات بشرفة الجمع أرقب العبقري المهيّب يصعد درجاته بمشقة ونصب معتمداً على ذراع زوجه أو كاتم سره أو كليهما . وكنت أرقبه بألم وخشوع بعد ذلك ، وهو يصعد محمولا على كرسيه ، لا يتأخر موكب دقيقة عن موعد الاجتماع .

ولا أنسى يوماً من شتاء عام ١٩٧٢ ، ذلك العام الحزين ، والراحل العزيز العظيم محمولا على كرسيه نحو قاعة الجلسات ، وكنت وصاحبي أحد عملاء السكيات الحاليين نقف بأقصى الشرفة نرقب العبقريّة الجميلة أمامنا ، ونحن نحبس

الأنفاس خشوعاً ورهبة وإكباراً . ولما مر الموكب العبقري ، قلت لصاحبي : ياليت كل شباب اليوم يرون معنا هذا المشهد حتى يتعلموا احترام المواعيد ، واحترام الواجب والعمل ، واحترام الحياة .

كم كان عظيماً شامخاً طه حسين ، وكم كان في نفس الوقت حائياً ، جماً التواضع . وإن أنسى لا أنسى ما حييت انبهارى بعبقريته وحافظته الفذة حتى آخر جلسة في الجمع لعرض مصطلحات الجيولوجيا في عهده ، وكانت قبل وفاته ببضعة أشهر . لا أنسى وعورة مسالك المادة في تلك الجلسة ، كما لا أنسى صدق متابعته لها وعمقها ، وسديد مساقه في المناقشات من آيات من القرآن الكريم ، وآيات من الشعر القديم . ولا أدري لماذا حرصت جداً في ذلك اليوم على أن أمثل بين يديه بعد الجلسة لأودعه على أمل اللقاء في العام المجمعى التالى ، ولتحتضني منه مسامحة بكلمة ، واعتذرت له عما بدا على مصطلحات الصخر والحفريات من ثقل . . . وما زالت آخر كلمات حظيت بها منه تتردد في أذني وفي كياني عندما قال : « لا يأستاذ ، على العكس من ذلك ، فإنها ممتعة جداً » .

ياله من عظيم ، ما أظن الزمان يجود على الإنسانية بمثله قبل مئات السنين ، وصدق عبد الرزاق محي الدين في رثائه حينما قال :

« يا ثنائى اثنين في العلياء دونهما

تلقى الدهارين بما آدهما السفر

ألف مضت ، وهى وحى فيك مثقلة

حتى ولدت ، فهل ألف بها آخر ؟ ،

كلمة الدكتور محمود مختار

بسم الله للرحمن الرحيم

سيدى الرئيس . أيها السادة :

اسمحوا لى أن أقدم أخلص الشكر وأصدقته على ما طرقتم به عنقى من فضـل عظيم وما منحتمنى من شرف يتوج حياتى بتاج من الفخر ، إذ قبلتمونى جنديا فى مجملكم الموقر العريق الذى يغص بالقادة والأبطال فى شتى ميادين الآداب والعلوم . إن اختياركم لى شرف أعتر به فحمد الله وشكرا لكم كل الشكر . وإنى أدعو الله تعالى أن يجعلنى أهلا لهذه الثقة الغالية ويعيننى على أن أضيف لبنة إلى صرح هذا المجمع الشاىخ .

ويشرفنى كذلك أن أضيف شكرا خاصا وخالصا لآخى وزميلي الأستاذ الدكتور عبدالحامد منتصر الذى تفضل فقبل مهمة تقديمى إليكم اليوم ، على كل ما فى هذه المهمة من صعوبة وما فى جمعيتى من حصيلة متواضعة . ولكن سماحته فى السخاء وسلاسته فى التعبير قد جاءنا بما فاق كل حساباتى ، فإذا بصعوبة المهمة تذوب فى أسلوبه السلس ، وإذا بضجالة حصيلتى تختفى فى طيات بيانه البليغ ، جزاه الله عنى خير الجزاء .

سيدى الرئيس . أيها السادة :

جرت تقاليد هذا المجمع الحميدة بالاعتراف بالفضل والوفاء لذويه ، وخاصة إذا كانوا من

رجالہ الذين انتقلوا إلى عالم الخلود، بعد أن أسدوا إليه وإلى اللغة العربية الحبيبة من حبات قلوبهم ما لا تمحوه الأيام . كما جرت التقاليد أيضا بأن يتولى الأعضاء الجدد هذه المهمة . لا أكتسبكم سرًا أيها السادة إن صرحت لكم بأنى أشفقت على نفسى مرتين : الأولى عندما علمت أننى سوف أخلف عملاقا من عمالقة المجمع هو المرحوم الأستاذ على السباعى ، وأشغل الكرسي الذى ملأه قبلى بجدارة . والثانية عندما علمت أن الوفاء للراحل الكريم يتطلب الإشادة بآثره ، ولكم أيها السادة أعرف بها منى ولكن يسر على الأمر ما كان يتمتع به الأستاذ على السباعى من اسم لامع وصيت ذائع وعلم فياض وإشعاع نافذ استنار به حتى من لم يسعده الحظ بحضور مجالسه والاستمتاع بأحاديثه . فقد كان الجميع يشيدون بصفتيه المتلازمتين : الدينية والعلمية . أما الدينية فتظهر جليلة فى استظهاره القرآن الكريم على الوجه الأكمل ، ومداومة قراءته قراءة عميقة واعية . أما العلمية فتظهر جليلة كذلك فى وفرة تحصيله وسعة اطلاعه فى أصالة رأيه وصفاء قريحته ، فى إحاطته بأمهات المراجع اللغوية ، فى معينه الغزير فى الفتوى بأمانة ، الأمانة التى لا يتردد معها فى أن يقول لا أدري فيما لا يدريه . وما يذكر له كذلك بكل فخر وتقدير قراءته الفاحصة ليكتب اللغة العتيقة من

أمثال لسان العرب، وإثبات ملاحظاته وتصويباته عليها، مما لا يجرؤ عليه إلا أولو الرأي المتمكنون من أصالهم في العلم والتحصيل من أمثال علي السباعي .

وفي مجال التدريس ، صعد الأستاذ السباعي السلم من مبدئه إلى أعلاه ، وتخرجت على يديه أجيال من الطلاب كتب لها حظ التلمذة والسير على خطاه ، سواء كان ذلك في التعليم العام أو في التعليم الجامعي في مصر أو في الخارج . أما عن رسالته في هذا المجمع الموقر ، فبالرغم من أن القدر لم يمهله أكثر من سنتين اثنتين في عضويته إلا أن آثاره فيه كانت واضحة وبصماته جلية يشيد بها الجميع . ويكفي للتدليل على ذلك ما جاء على لسان رئيس لجنة الأصول في حفل تأبين النقيب حيث قال : إن اللجنة قد فقدت فيه ثروة لغوية ضخمة ليس من السهل أن تعوض .

فلندعو الله أن يتغمد الأستاذ علي السباعي بواسع رحمته وأن يحزيه أحسن الجزاء على ما بذل من جهد ، وما قدم من عمل صالح عميق الأثر في إعلاء شأن اللغة العربية وجمع اللغة العربية .

سيدى الرئيس ، أيها السادة :

في الثلاثينات من هذا القرن، بعد ما تخرجت في كلية العلوم ، كنت أنظر إلى هذا المجمع الموقر على أنه مجمع لأساطين اللغة والفصاحة والبلاغة والأدب . فحسب . أما العلميون فلا محل لهم من الإعراب فيه . وكم تمنيت آنئذ وأنا أخطو أولى خطواتي في التأليف والترجمة العلمية،

وأتعثر وألثت أمام طوفان المصطلحات العلمية الحديثة، أقول : كم تمنيت آنئذ بل كم تطلعت إلى هذه القلعة الشاخنة أستجدى منها العون والمساعدة . وفي شيء من التردد تلمست يوماً طريقاً إليها ودخلتها على استحياء بحثاً عن بعض المراجع العربية، وهناك شرفت بلقاء أكثر من قائد من قادة المجمع . وتطرق الحديث بيننا إلى آمال العلميين في المجمع . وهنا كانت المفاجأة لي فقد تبين أن المجمعين حريصون كل الحرص على أن يفسحوا للعلميين مكاناً لائقاً ويحلونهم بينهم على رحب وسعة، بأكثر مما كان يتوق إليه العلميون أنفسهم . وما هي إلا بضعة سنين حتى رأينا المجمع يفتح أبوابه بل أحضانه للعلميين ، ويزيد من أواصر الصلة بهم ، ويمحو من آثار تلك العزلة التي باعدت بينهم وبين المجمع زمناً .

ثم دخلت مصر الحديثة عصر العلم والتكنولوجيا، فكان من حسن الطالع أنها وجدت لغة العلم والتكنولوجيا أداة طيعة في ركبها ، تهمد لها الطريق ، وتوفر لها مقومات السير فيه . وطرقت لغة العلم الحديث كل أبواب النشاط ، حتى أصبحت على حد تعبير الأستاذ الكبير رئيس المجمع لغة نعيش معها في الحقل والمنزل ، ونرى آثارها في المصنع والمتجر، يرددها الأطفال في مدارسهم ويعنى بها الشباب في جامعاتهم ويسجلها العلماء في دراساتهم وبحوثهم . ومن حق المجمع علينا نحن العلميين أن ندين له بالفضل ونعترف له بالسبق وبعد النظر ، فقد أحس بالفعل منذ نشأته، وكأنه كان يقرأ صحف الغيب، بما سيكون للغة العلم والتكنولوجيا من شأن

في حياتنا العلمية والتكنولوجية ، فأورد لها نصا صريحا في لائحته يقول بأن « من أهم أغراض المجمع أن يجعل اللغة العربية وافية ، طالب العلوم والفنون في تقدمها ، وملائمة على العموم لحاجات الحياة في العصر الحاضر ، . وقد وفي المجمع رسالته فمئيتا له ولحكم ، وبشرى للعلميين .

سيدى الرئيس . أيها السادة :

منذ أكثر من خمسة عشر عاما دعيت لأعمل خبيرا في اللجنة مصطلحات العلوم الفيزيقية والهندسية ، حيث تتلذت فيها على يد رائد الجيل الفيزيقي المجمع العربى المرحوم الأستاذ مصطفى نظيف . وما كان أسعدنى بهذه الدعوة السكرينة التى نالت منى كل تقدير وترحيب ، إذ وانتقى وأنا غارق فى خضم المصطلحات الفيزيقية الحديثة ، ما بين مصطلحات الفيزيكا الكلاسيكية فى صورة جديدة متطورة ومصطلحات للفيزيكا التى صيغت العصر الحديث بصيغتها حتى تسمى باسمها ؛ فعرف بعصر الطاقة النووية وعصر الإلكترونيات وعصر الفضاء وما إلى ذلك . وكان تلاحق هذه العصور سريعا بحيث لم يترك لنا نحن الفيزيقيين فرصة لالتقاط الانفاس ، وشغلنا باستيعاب الجديد من العلم عن الاهتمام بالمصطلحات وتعريبها . وتصدى عدد من الهيئات العلمية لميدان التعريب ومنها الاتحاد العلمى العربى وأكاديمية البحث العلمى وغيرهما ، وليكنها لم تصمد أمام تيار المصطلحات العنيف . وعندئذ جاء المجمع الموقر الذى لم يذس رسالته السامية يوما فأسرع بإدلاء دلوه ، فشكل لجانا متخصصة تخصصا دقيقا ، تضافر فيها العلمى المتخصص واللغوى الضليع ، وأذكر

منها بصفة خاصة لجنة الفيزيكا النووية التى كان لى شرف الانتماء إليها ، وأمدتها المجمع بالعديد من المراجع العلمية الحديثة والمراجع اللغوية الأصيلة .

وبدأت اللجنة مسيرتها بخطا وثيدة تتخصص طريقها الوعر الطويل بحذر تام ، وترددت أول الأمر فى خطاها ما بين الترجمة والتعريب ، ما بين تسجيل المصطلح الحديث وإحياء القديم ، ما بين الأخذ بالنحت والاشتقاق والنسبة أو رفضها . ودارت المناقشة فى مضمون المفهوم الأساسى للغة عامة ، وما أكدته اللغة العربية خاصة من قدرة على استيعاب الجديد مع احتفاظها بجوهرها القديم الخالد . بهذا المنطلق المتفتح سهل الأمر على اللجنة ، إذ أصبحت مهمتها مقصورة على اختيار الأسلوب الذى يناسب كل مصطلح على حدة ، على أن يخضع هذا الأسلوب لأسس وضوابط أوجزها على الوجه الآتى :

أولا — أن على اللجنة تسجيل ما اصطلاح عليه المختصون مادام لا يتعارض مع أصول اللغة .

ثانيا — أن تبحث اللجنة عن جذور عربية للمصطلح الجديد فى مراجع اللغة فإن اهتمت إلى لفظ مناسب له فيها ونعمت ، ولكن دون تزمت . فنحن قد نسكف لغتنا شططا إن نحن صممنا على التنقيب عن أصل عربى لمصطلح لم يكن موجودا أصلا فى العربية . وفى هذه الحال يصبح التعريب هو المخرج الوحيد .

ثالثا — أن التعريب ليس بدعا فى اللغة

العربية أو في أى لغة سواها ، وبالتالى ليس لنا أن نخشاه أو نعمل على تحاشيه . ولنا خير قدوة فيما أخذ به العرب قديما في التعريب من جميع اللغات المعاصرة . بل إن في التعريب لإثراء واضحا للغة من ناحية ومجاعة للغات العالمية العلمية من جهة أخرى . وهذا العامل الأخير له وزنه أمام طوفان المصطلحات الجديدة وتقارب اللغات العلمية الحية في عصر يتسم بالتقارب والتعاون الدولي في شتى المجالات .

رابعا - أن المعنى الواحد يجب أن يؤدي باللفظ واحد فقط سواء كان مترجما أو معربا ، على أن يكون هذا اللفظ صالحا للاشتقاق والنسبة ما أمكن .

بهذه الضوابط والأسس وضع طريق اللجنة واتسعت خطاها ، وآنت أولى ثمارها بإخراج المعجم الأول المتخصص في الفيزياء النووية . وهو خير هدية يهديها المجتمع إلى الوسط العلمى الفيزيقي وغير الفيزيقي ، لا في مصر وحدها بل في أقطار الوطن العربى وأرجائه الواسعة .

سيدى الرئيس . أيها السادة :

مادنا في سياق الحديث عن الترجمة والتعريب فأرجو أن يتسع صدركم فتأذنوا لى بعرض وجهة نظر لها عندى أهمية خاصة ، لأنها تتناول اسم العلم الذى أتشرف بتمثيله في المجتمع ، هذا العلم هو مادرجنا على تسميته في مصر باسم « علم الطبيعة » . هذا الاسم ترى فيه اللجنة المتخصصة ترجمة غير وافية لكلمة Physics

اللاتينية . فإن كان لابد من الترجمة بالتعريب عن المعنى الاصيل له فلتكن تسميته « علم دراسة قوانين الطبيعة » . ولكن حتى هذه التسمية الوافية من حيث اللفظ أو التسمية الأولى المختصرة المختلة ، عليهما أكثر من مأخذ .

أولا: أنها وضعت على أساس مفاهيم محدودة لهذا العلم ، وهى مفاهيم تقصر اليوم عن الإحاطة بمضمونه الحديث .

ثانيا: أن ترجمة لفظ Physics بالطبيعة يلتبس مع ترجمة لفظ nature بالطبيعة أيضا ، وهذا اللبس كثيرا ما يوقعنا في مأزق إذا ما اجتمع اللفظان معا في عبارة واحدة كأن نقول
The physical natvre of Sorso

من هنا رأى عدد من الأقطار العربية تعريب اللفظ Physics ووضعوا له لفظ « فيزياء » . ولكن للأسف جاء هذا الاختيار أيضا غير واف بمبادئ وأصول التعريب السليم لبعده عن الأصل وتحرفه دين مسوغ ، اللهم إلا إذا كان المسوغ هو ما يحمله لفظ فيزياء . من سجع مع لفظ كيمياء وهو مسوغ غير مقنع . وبالبحث في مراجعنا العربية عثرنا على لفظ أكثر استقامة وملائمة وهو لفظ « فيزيقا » الذى يجمع بين الاختصار وسلامة التعريب بالاحتفاظ بالأصل ورنين النطق العربى الجميل . هذا بالطبع بالإضافة إلى تمشيه مع اللغات العالمية المعاصرة . ويسرنى أن أسجل في هذه المناسبة أن الفضل الأول في إحياء هذا اللفظ « فيزيقا » يرجع إلى المرحوم الأستاذ مصطفى نظيف رائد الفيزيقيين .

سيدى الرئيس . أيها السادة :

إن رسالة المجمع نحو العلم والتكنولوجيا كما أراها ، يجب ألا تنتهى عند وضع المصطلحات وتحقيقها وتقنينها . بل يجب أن تنشر هذه المصطلحات على أوسع نطاق بين المشتغلين بالعلم في الوطن العربى الكبير المتعطش لها في كل مكان . وأننا نحن العلميين نبارك هذه البادرة الجديدة للمجمع في إخراج المعاجم العلمية العالية المتخصصة ، ونأمل منها المزيد والمزيد ولن أكون مغاليا إن ذكرت لكم أن أساتذة الجامعات وطلابها يعانون اليوم الكثير من الشطط والمشقة في لغتهم العلمية وعندى الدليل على ذلك بما يسمعه الكثير منا من المتصلين بالتدريس الجاهل في الكليات العلمية ، حيث وتنتشر اليوم لغة لا هى بالعربية كما تقضى به اللوائح وما يجب أن يكون عليه الأمر ، ولا هى بالانجليزية نمشيا مع الاستثناء الوارد باللائح .

ولسكنها لغة ثنائية إن جاز لنا أصلا أن نسميها لغة ، فهى لغة تخالط بين اللغتين معا ، وباليته خليط مفهوم ، ولسكنه خليط عجيب من لغة عربية ركيكة ولغة انجليزية أكثر ركاكة مندجين معا أو منصرحين معا . هذه الصورة المضحكة المبكية لما آلت إليه حال حال اللغة العلمية اليوم في الجامعات وغيرها هى في نظرى ناقوس الخطر الذى أدقعه للمجمع العريق لسكى يزيد جهوده الموفقة التى بدأها على الطريق السوى خدمة للعلم والتعليم وإنفاذا للغة العلمية مما هوت إليه من حضيض .

سيدى الرئيس : أيها السادة :

استمحيكم عذرا عن هذه الإطالة . وأطلب الصفح منكم عن زلاتى . وأشكر لكم سماحتكم وسعة صدوركم في الاستماع إلى . وأدعو الله لى ولكم بالتوفيق والسداد . والسلام عليكم ورحمة الله

... كلمة الدكتور إبراهيم مدكور

في ختام الجلسة

سيداتي : سادتي :

لا أشك في أنكم لمستم في هذه الجلسة الطويلة الممتعة أنها تربط الحاضر بالماضى ، وتلك سنة هذا المجمع لا ينسى ماضيه مطلقا ، ولا يغفل ضرورات العصر بحاجة ، وأظنها السنة السديدة التى نرجو الله أن نوفق لها دائما ، ولا شك أن سنة التجديد المعجمى نفسها معينة ونافعة فيما نضطلع به ونجد له . ومرة أخرى أهني السادة الزملاء بمساهماتهم واشتراكهم معنا ، وأشكر لكم جميعا حسن استماعكم وتعظيم جلدكم ، فمكنا المجمعيون دائما فاعذروهم إن كانوا قد أطلوا عليكم ، والسلام عليكم ورحمة الله،

في الساعة الحادية عشرة من صباح الأربعاء ١٢ من ربيع الأول سنة ١٢٩٥ هـ الموافق
٢٦ من مارس سنة ١٩٧٥ أقيم المجمع حفل تأبين عضوه المرحوم الدكتور مراد كامل ،
وفيما يلي ما ألقى في الحفل :

كلمة الافتتاح

للدكتور ابراهيم مذكور ، رئيس المجمع

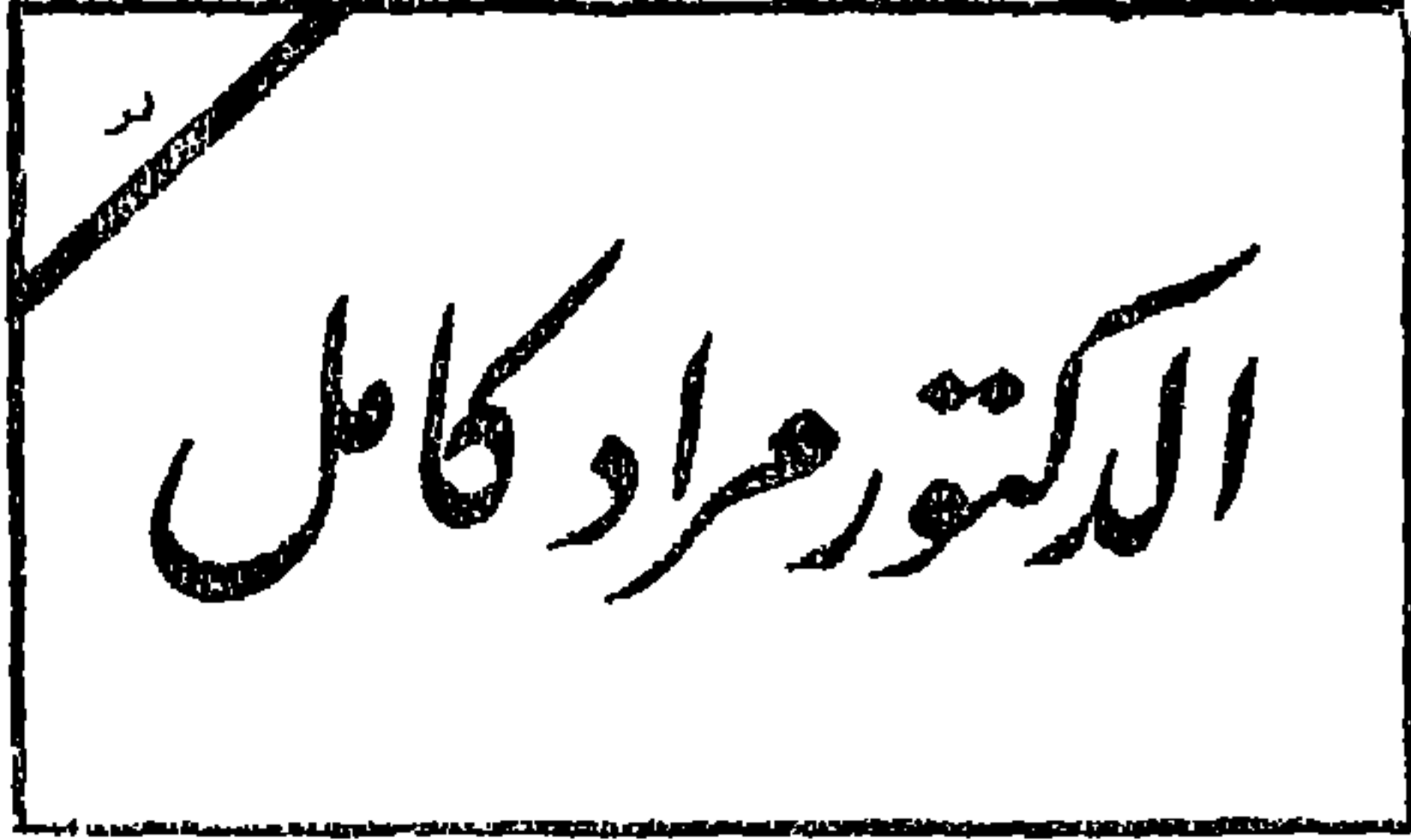
سيداتي ، سادتي ..

نودع اليوم زميلا كريما ، وعالما جليلا ، هو الدكتور مراد كامل الذي أعطى مجمع اللغة
العربية طوال ربع قرن أو يزيد ، أعطاه وأجزل له العطاء ، حين كان خبيرا في لجنة المعجم
الكبير نحو ثلاث عشرة سنة ، وحين أصبح عضوا به نحو خمس عشرة سنة . وأعطاه وأجزل
العطاء في إيجازه ومجلسه ، وفي مؤتمره ، وفي مجلته ، وغداه ببحوث مفصلة عميقة ، ودقيقة ،
فجزاه الله المجمع ، وعمما قدمه من دراسات لغوية خير الجزاء .

ويقوم الزميل الدكتور عثمان أمين بإلقاء كلمة المجمع في تأبينه ؛ وسيتولى الدكتور بولس
عياد إلقاء كلمة الأسرة .

والكلمة الآن للدكتور عثمان أمين عضو المجمع .

كلمة الدكتور عثمان أمين في تأبين :



ولقد وعت الشبيبة من جيلنا الجامعي هذه المعاني ، وحرصت على أن تجعلها نبراسا لها في حياتها الدراسية ، ومن بعد ذلك في حياتها العامة وخاصة . وكان ذلك علينا ميسورا ؛ فقد شهدنا المثل الطيبة يحققها أمام أبصارنا قادة أمتنا . فزعيم ثورة ١٩ لم يتردد لحظة في أن يعهد بأمانة الوفد إلى مكرم عبيد ، وأن يختار من معاونيه رجالا من أمثال واعف غالى وويصا واصف وسينوت حنا وغيرهم . وبفضل سعد وشوره العميق بمصريته التف الشعب حول فكرة واحدة هي فكرة الوطنية ، وآمن بعقيدة راسخة هي الامة المصرية . وبهذه الروح النابضة استطاع وعى مصر وخيرها أن يسدا الهوة التي أرادها المستعمرون الغاصبون للتفريق بين الأقباط والمسلمين .

وما أحسب أن أحدا من أبناء جيلي ممن أتيسح لهم ما أتيسح لي يستطيع أن ينسى يوماً مشهوداً حقا من أيام مصر ، حين وقف شيخ الأزهر مع شيخ القبط ، واليد في اليد ، يخطبان الجماهير المتراسعة الحاشدة في ساحة الجامع الكبير وسط حماسة منقطعة النظير . وما أستطيع أن

منذ نحو نصف قرن من الزمان ، انعقدت بيني وبين الفقيد الراحل وشائج قوية غنتها الجامعة المصرية . ففي العام التالي لإنشائها جامعة أميرية ، التحقنا — مراد كامل وأنا — بكلية الآداب ، وقد كانت الحياة في كلية الآداب آنذاك حياة جوانية بمعناها الصحيح : الاساتذة وهيئة التدريس والعاملون والطلاب أسرة واحدة متأزرة ، يلتقي أفرادها على التعاطف العقلي والانتماء الحضاري ، وكذلك كان شأن الجامعة على العموم ؛ لا فرق بين كلية وكلية ، ولا بين قسم وقسم من أقسام الكلية الواحدة . الجامعة المصرية كانت رمزا وشعارا يعتز الجميع بالانتماء إليه .

وفي بداية الربع الثاني من هذا القرن كانت الروح الوطنية لا تزال متأججة مشبوبة لم تخمد لها نار . فقد أدرك سعد زغلول بفطنته ورجاحة عقله أن « المصرية » هي الغذاء الصحيح لهذه الامة ، وأدرك الملك فؤاد برجاسة أفقه ان لمصر رسالة حضارية عريقة ، وأن موقعها الثقافي يجعلها أجدر الشعوب بالترسط بين الشرق والغرب ، كما قال « رومان رولان » بحق منذ نصف قرن .

أنسى خطبة سمعتها آنذاك من مسكرم عبيد عن
« شخصية سعد » ، وقد كانت في نظرنا وما تزال
من روائع الفن الخطابي العربي ، يجري فيها
الخطيب القبطي على غرار البيان القرآني ، ويفتن
في ذلك أيما افتنان ..

ولقد كنا جميعا — مراد كامل وأنا وزملاؤنا
من الدارسين في ربوع مصر — حريصين أشد
الحرص على استظهار هذه التحفة والترنم بها في
لقاءاتنا وغدواتنا وروحاناتنا . فلا غرابة في أن
« مراد كامل » ، وقد نشأنا في هذا الجو الحثيث
بلغت القرآن ، يختار أن يلتحق بقسم اللغة العربية
واللغات الشرقية بكلية الآداب .

وقد حظيت هذه الكلية في أول عهدنا بنخبة
ممتازة من الاساتذة الأبرياء حرص المسئولون
عن الجامعة على استقدامهم من أكبر جامعات
الغرب ، أذكر منهم الاساتذة الفرنسيين « لاند »
و « برهيه » و « لوروتون » و « ميشو »
والاستاذ الإنجليزي « دوبريه » والاساتذة
البلجيكيين « جريج — وار » و « جرادور »
و « هوستليه » . وأذكر طائفة من الاعلام
المستشرقين : « نلينه » و « جويدي » الإيطاليين
و « برجستراسر » و « ليتان » ، اللسانيين . كما
حظيت الكلية بغير قليل من أعضاء هيئة التدريس
المصريين النابهين ، أخص بالذكر منهم : طه
حسين ، وأحمد أمين ، ومصطفى عبد الرزاق ،
ومنصور فهمي ، وشفيق غربال ، ومصطفى عامر ،
وعبد الوهاب عزام ، وعبد الحميد العبادي ،
وإبراهيم مصطفى — رحمهم الله رحمة واسعة .

وقد كانت الصلة بيننا وبين أولئك الاساتذة
جميعا صلة وثيقة ميسورة ، وكانت أسبابها لدينا
موفورة ؛ فعدد الطلاب محدود معقول ، وجميعهم
مقبلون على الدرس والتحصيل ، نازعون إلى
الجد والرجولة وإلى ضرب من المثالية العاملة
المنبثقة من التجربة المصرية ، والمستغنية بأصالها
عن التوجيهات الأجنبية .

والنظرة المثالية هذه من حيث إنها تدفع
الناظر إلى التفاني في نصرة القضية التي يؤمن بها .
هي الجانب الذي استمراني في شخصية « مراد
كامل » ، جعلني أرى فيه ممثلا لفريق من الصفوة
يؤمنون بالفكرة ، ويحيون في عالم جديد من
صنعهم ، هو أرفع في نظرهم من العالم الواقعي
الذي يقنع به « البرانيون » و « الترايون » ، ولم
يكن عجبيا عندنا أن يرى « مراد كامل » في
أقل الأشياء قيمة في نظر الناس سحرا وبدائع
وأعاجيب ، ذلك لأن الإبداع والجمال مستقران
في النفوس قبل أن يكونا في الأشياء . وقد كان
الشاعر الإنجليزي على حق حين قال : « إن الجمال
في أعين الناظرين » .

لقد حدثنا عباس العقاد عن صديقه المازني
فوصفه بأنه كان « منذورا » ، الأدب العربي بكل
ما نفهمه اليوم من معنى لكلمته النذر ، وقد كان
الأقدمون إذا قيل لهم عن أحد من الناس إنه
« منذور لهذا المعبد أو هذا الحرم » فهموا من ذلك
أنه قائم في خدمة معبده طوول حياته ، وأنه
لا يملك أن ينحرف عن خدمته باختياريه ، لأن
أرواح المعبد وجنوده ترده إليه إذا انصرفت

وجهته عنه ، فلا تبقى لنفسه بقية لغير الوفاء بنذره
وإذا جاز لي اليوم أن أستعير هذا الوصف في
الحديث عن مراد كامل ، قلت إنه كان مندورا
للغات السامية وللكنيسة القبطية . كان مندورا
للغات السامية التي أثرى بها بحوثه في اللغة العربية
وآية هذا إسهامه المشكور في جلاء ألفاظ المعجم
الكبير ، وكان مندورا أيضا للكنيسة القبطية ،
فكانت رسالته أن يبرز في آثاره وبحوثه العديدة
« مكانة الأقباط في ركب الحضارة العالمية » ،
وأحسب أنه قد مهد لاداء هذه الرسالة بدراسات
في صلة الأدب الحديث بالأدب القبطي ، وفي
الرهينة في الحبشة ، وفي بلاد النجاشي ، وفي مكتبة
ديرسانت كاترين في طور سيناء !

الطويل ؛ فشكل ما له صلة بمشاغله الجوهرية من
قريب أو من بعيد ، فهو يقف أمامه عن طيب
خاطر ويملا منه عينيه ويروي الفكر فيه .

إن حياة مراد كامل حافلة بهذه المعاني نشوة
المعرفة ، وخدمة الثقافة ، فلا عجب أن يخلف
لنا في هذين المجالين ثروة لا يستهان بها ، حصلها
في عكوف وصبر وأناة ؛ فهذه المكتبة العلمية
الزاهرة التي أهداها للكنيسة المرقسية ، وهذه
البحوث اللامعة والمقالات النفاذة التي نشرها على
مدى أربعين عاما ستبقى ثروة مصرية إنسانية ،
وهي عندنا مناط الاعتزاز حين يتفاخر غيرنا
بالاموال .

أمام ظاهرة الموت وقف حفي ناصف يتساءل:
أتقضى معنى إن حان حينى تجارنى ؟

ونحن نجيبه فنقول : « كلا إن تقضى معنا
تجاربنا » . والنضل في ذلك كله راجع في كل زمان
ومكان إلى درجة الوعي عند الأحياء من
المريدين والأنصار : وما أحسب إلا أن طلاب
مراد كامل وتلاميذه العديدين سيذكرونه ويتسمون
مثاله ؛ لأن اللحد الحقيقي للأموات ليس هو القبور
التي تملأ الرحاب ، بل هو قلوب الأحياء حين
يعتريها النسيان .

للفيلسوف الإنجليزي فرنسيس بيكون كلمة
مأثورة تخطر ببالى حين أفكر فى مراد كامل ؛
يقول « بيكون » : « إننا يجب أن نصير كالأطفال
إذا أردنا أن ندخل مملكة العلم » ومعنى هذا أن
من نذر نفسه للمعرفة فما ينبغي له أن يتخلى عن
خلق الدهشة والمبالاة والإعجاب ؛ ينظر إلى
الأشياء فى نفسه وفيمن حوله وكأنه يفتح عينيه
لأول مرة ، كل شيء يستوقفه ويستثير انتباهه .
وكذلك كان مراد كامل ، كما عرفته على المدى



كلمة الأسرة

ألقاها نيابة عنها الدكتور بولس عياد

في وفائه للجنس البشري يشعرك أنه ينتمى
لكل أمة من أمم الأرض .
محسن بغير حدود ، عطوف على من غدر
به للزمن .

على دراية واسعة بأمور الحياة ولوازمها .
له ذوق فنان في اختيار ما يناسبه من
أمر حياته .

هذا هو أستاذي الدكتور العلامة مراد كامل .
سمعت عنه من بعيد وعرفته عن قرب ، سمعت
عنه عندما كنت بالسنة الأولى بكلية الآداب ، وكان
بعض زملائي يذكرون أُمّى بين الحين والحين
أن هناك أستاذا علامة يجيد العديد من اللغات
الأجنبية وعلى جانب عميق في تدريسه وأبحاثه .
وبمضى الوقت سمعت عنه الكثير حتى رأيت ذات
يوم في أحد مدرجات الكلية بمناسبة ندوة ،
خاصة بمشكلة من مشكلاتنا . وكانت طريقته في
الإجابة عن أسئلتنا وقدرته على الإقناع أخاذة ،
أدهشتني وأدهشت كل من سمعه . ورأيت مرة
أخرى في امتحان اللغة المصرية القديمة (الفرع
الهيروغليفي منها) فكانت ورقة الأسئلة غير
واضحة ، وسألنا الأستاذ المراقب أن يتكرم فيخبر
لجنة الامتحانات بالكلية عن مشكلتنا ، وفعلاً تحدث
مع المسؤولين ووجدنا بعد دقائق الدكتور مراد
كامل بيننا ، يقرأ لنا ما غمض من ورقة الامتحان ،
وجميعنا يعرف أن سيادته متخصص في اللغات
السامية ، وها هو يجيد اللغة المصرية كذلك !!

أستاذي كما عرفته :

علاق من عمالقة القرن العشرين .
عبقريته خلاقه ، وقريحة متفتحة .
حاضر البديهة ، لماسح ، ثاقب الفكر .
يعمل ليل نهار بلا ملل أو كلل .
قارئ ممتاز يقبل على الكتب بكل شغف
وجد حتى ينهى كل ما يقع بين يديه منها .
نبيل في تصرفاته ووقفاته .
خدوم لكل من يسأل خدمة .
لا يئن أو يتذمر حتى في أشد أوقات مرضه .
لم أسمع قط يشكو أو يتضجر مهما مرت
العواصف في حياته .

لا يعبد ولا يقطب الحبين
مبتسم ، سريع الفكاهة .
متواضع ، هادئ النفس وديع القلب .
رحيم ، شفيق ، لا يحب القسوة .
لا يحمل الإساءة لمخلوق .
يغفر للآخرين ولا يعرف معنى الانتقام .
واسع الأفق ، يقبل التفاهم حتى لو كان الطرف
الآخر على اختلاف معه في وجهات النظر .
من خلال مناقشاته الهادئة وأحاديثه العابرة
تحس أنه عالم نادر المثال .

كانت صداقته للآخرين مبنية على الصداقة
الخالصة ، تبعد عنها المصالح الشخصية .

ثم تسكر راقائي مع الدكتور مراد كامل، وخاصة عندما التحقت بمعهد الدراسات القبطية ١٩٥٦، وكان لي شرف الالتحاق بقسم الدراسات السامية الذي يتولى سيادته الإشراف عليه، وبينما كنت أقوم بالدراسة معه في هذا المعهد طلبت أن يسمح لي بشرف آخر؛ وهو أن أقوم بالتحضير معه للدكتوراه، فوافق سيادته، ثم وافقت الكلية، وبدأت أتعامل مع أستاذي أكثر فأكثر حتى عرفته عن قرب.

وطوال دراستي معه (١٩٥٨ - ١٩٦٣) لم أر أستاذي يرضن علي بعلمه، فكان رحمه الله كريما في نصائحه مخلصا في توجيهاته، مشجعا لي ولغيري على القراءة والبحث والتنقيب والكتابة والنشر، وكثيرا ما كنت أجد أسماء مراجع أجنبية مذكورة في بعض الكتب ولا أجد لها في مكتباتنا المصرية فأذكر هذا له، فكان يغيرها لي حتى لا أتعطل عن أبحاثي. وعرفت من زملائي أن أستاذنا كان كريما أيضا مع طلابه أجمعين، لم يبخل على أحد منهم بنصيحة مخلص، بل دائما يقف بجوارهم يشد أزهرهم لكي يراجحوا الحياة وما فيها من معوقات، حتى يتم لهم النصر بفضل ما جبل عليه أستاذنا من محبة لنا وتقدير، يجعلنا نعمل ليل نهار حتى نغترف من مناج العلم، فبذلك نصل إلى المكانة التي تليق بإشرافه علينا.

ومع كل هذه السنين التي عرفت فيها أستاذي عن قرب لم أره إلا جرم التواضع، يحترم كل من يعمل معه، ولم أسمعه يوما أنه ذم إنسانا أو حقر من قيمة فرد أو تعالى على مخلوق. وكل هذه الصفات جعلت من أستاذي رائدا من رواد التربية في بلادنا العزيزة.

ومن الأمثلة الحية على تشجيع أستاذنا، أنني في يوم - نتيجة لقراءاتي - بدأت أكتب عن نظرية جديدة، مخالفة للنظريات التي سبقتني وعرضت نتيجة أبحاثي على أستاذي، فما كان منه إلا أن قال: «استمر في عملك هذا؛ فأنا واثق أن ما حصلت عليه من نتائج يعتبر صائبا، وأنا أتفق معك، وأختلف مع علماء اللغة الآخرين». وأكملت نظريتي بعد حصولي على الدكتوراه ونشرتها تحت عنوان.

The Topography of Elephantine,
according to Aramaic Papyri.
وقد وجدت قبولا من علماء اللغات السامية الذين أهديتهم بحثي.

وهكذا كان لتشجيع أستاذي لنا أن نخرج دائما بنظريات جديدة وآراء لم يسبقنا فيها أحد، وما من طالب تتلمذ على يد الدكتور مراد كامل إلا وقد تعلم منه الكثير، فقد كرس حياته لخدمة طلابه ومحبي علمه، ولا عجب فهو لاء الطلبة هم الآن أساتذة يتولون مراكز مرموقة في الدولة والفضل الأول مرده إلى أستاذي.

وأذكر أن جامعة روما أوفدت الطالبة الإيطالية إدا برشيانى: Edda Bresciani لكي تستكمل دراستها على يد الأستاذ العالم مراد كامل واستمرت دراستها معه لمدة عام من (١٩٥٨ - ١٩٥٩) وقد قابلتها في هذه الأثناء؛ فوجدتها تشيد بالخير والثناء على الجهود العلمية العظيمة التي بذلها أستاذي معها وكيف أنه لم يبخل عليها بعلمه أكثر من هذا فقد أشركها في التأليف معه في كتابه الذي ظهر تحت عنوان:

Edda Bresciani and Murad Kamel,
« Le lettre aramaiche di Hermopoli,

Atti della Accademia Nazionale dei
Lincei, Classe di Scienze Morale
Memorie Ser VIII, 12. Roma, 1966.

وعثرنا في مكتبته على العديد من كرات
وخطابات التهنئة والشكر المرسلة إليه من الخارج
من طلابه المصريين والأجانب ، يشكرون فيها
أستاذهم الدكتور مراد كامل ، على تدريسه أو لما
أداه لهم من خدمات علمية أو إنسانية ، عندما
كان يقوم بالتدريس لهم في جامعات الغرب .

استاذى ونشأته الاولى :

ومع معرفتي الطويلة بأستاذى لم أسأله يوما
عن نشأته الاولى والتقيت بشقيق الدكتور مراد
كامل وهو الاستاذ جرجس كامل د مدير عام
بمؤسسة السكرام بالقاهرة ، وعضو مجلس إدارة
بالشركة العامة للمشروعات السكرية ، وسألته
عن نشأة أستاذى الراحل فقال : كان أخى مراد
وأختى (زوجة المستشار عبد الشهيد يسى)
وأنا ، نعيش في منطقة الظاهر والفجالة وسكننا
ونحن في عهد الطفولة في شارع الجدى ، وكان لنا
فيه أملاك وحديقة ضخمة ، كما كان والدى يمتلك
أكثر من مائة فدان ، وقد عصفت بنا الأحداث
ونحن في سن مبكرة جدا إذ توفي والدنا عام
١٩١٤ و مراد في سن السابعة من عمره ، وتوفيت
والدتنا عام ١٩٢٠ وقد بلغ مراد الثالثة عشرة ،
فتولت عممتنا تربيته ، وقد التحق مراد بالمدرسة
المارونية الابتدائية وبعدما أكمل دراسته بمدرسة
التوفيقية الثانوية . وعند ما حصل على شهادة
البكالوريا ، التحق بكلية الآداب قسم اللغة
العربية واللغات الشرقية وتخرج من الجامعة عام
١٩٣٠ ، فأوفدته الجامعة على نفقتها في بعثة إلى

ألمانيا لكي يواصل دراسته للغات السامية وقد
حصل على الماجستير وبعدها دكتوراة الجامعة
عام ١٩٣٥ .

وبعد ثلاثة أعوام من الدراسة المتصلة حصل
على دكتوراه الدولة من نفس جامعة تورينج
بألمانيا عام ١٩٣٨ وأثناء تحضيره للدكتوراه
حصل على دبلومين : الأول في اللغة اللاتينية يونيه
١٩٣٤ والثاني في اللغة اليونانية أكتوبر ١٩٣٤ .
ومنذ أن التحق مراد بالتعليم الابتدائي حتى
حصوله على أعلى الشهادات الدراسية وهى

Dr . Phil Habil كان من المتفوقين دائما في
مراحل تعليمه ، وحصل على العديد من الجوائز
نتيجة لهذا النجاح المرموق ولذكائه النادر .

وسألت الاستاذ جرجس كامل عن أسباب
تخصص الدكتور مراد في اللغة العربية وباقي
اللغات الأخرى ، فأجاب سيادته أن حب مراد
للغة ليس بجديد على العائلة فكان جدى وهو
الاستاذ جرجس ميلاد ، بالرغم من وفاته
في القدس ولم يبلغ من العمر ٤٢ عاما ولكنه
أجاد العربية والانجليزية ، وقد وضع قاموسا
« انجليزى — عربى » كما قام الاستاذ جرجس
ميلاد بتحرير إحدى الجرائد التي كانت تصدر في
ذلك الوقت لمحاربة المستعمر وعنوانها « المستقل »
وربما تكون هذه إحدى الأسباب التي دفعت
مراد لحب اللغة العربية وباقي اللغات التي تخصص
فيها فيما بعد ،

استاذى وثقافته :

لم تكن ثقافة الدكتور مراد محدودة
بتخصصاته ، وحتى تخصصاته كان يضيف إليها
الجديد في كل يوم بما يقرأه من مراجع وكتب ،

وبما يسمعه من محاضرات وندوات ، وبما يشاهده من متاحف وبلدان ، ومن يقابله من علماء . ومن ثم فقد أتقن أستاذى عديدا من اللغات ، ومن بين اللغات التى كان يؤلف ويتحدث بها : العربية والأمهرية والألمانية والإنجليزية والفرنسية والإيطالية والإسبانية . أما عن اللغات التى كانت محور دراسته وتدخل فى نطاق تخصصاته ، نعدد منها اللغة السومرية بنقوشها الإسفينية .

اللغات السامية : البابلية والآشورية ، وهذا هو الفرع الشرقى منها ، أما عن الفرع الغربى فقد أجاد سيادته لإجادة تامة : السكتانية ، والفينيقية ، والبنونية ، والعبرية ، والمؤابية ، والآرامية بلهجاتها الشرقية والغربية على السواء ، والعمورية والأوجرتية (لغة رأس شمرا بشمال سوريا) والنبطية ، والتدمرية . والفروع السابقة هى الفرع الشمالى من اللغات السامية . أما عن الفرع الجنوبى منها ، فقد أحب سيادته اللغة العربية ، وكثيرا ما كان يتحدث بها بطلاقة وله أسلوب بليغ أخذ استخدمه فى تأليف أبحاثه .

كما أتقن سيادته اللغة السبئية والمعينية والحيرية والثودية والليحانية ، بالإضافة إلى اللغات غير السامية فى الجزيرة العربية . وأخذت اللغة الحيثية وهى لغة آسيا الصغرى - نصيبا كبيرا من دراسته

أما عن اللغات الإفريقية ، فكان يرغب سيادته فى تأليف مجلد عنها محاولا أن يجعل منها لغة إفريقية موحدة عالمية .

وقد أتقن سيادته اللغة المصرية القديمة ، والقبطية بلهجاتها البحريرية والفيومية والصعيدية

والأنحيمية . وعند رجوعه من ألمانيا فى عام ١٩٧٤ عرض عليه الأستاذ الدكتور عبد المنعم أبو بكر عميد كلية الآداب السابق والأستاذ بكلية الآثار أن يدرس منجا لطلبة الآثار ، عن اللغة المصرية القديمة - الفرع الهيروغليفى منها - لطلبة السنوات النهائية ، فاعتذر سيادته لضيق وقته ولتعب صحته .

ومن بين اللغات التى درسها لطلبته وخاصة فى الغرب اللغة السواحيلية ، كما أتقن اللغة النوبية المسيحية ، وكنا زمعين أن نضع مؤلفا عن هذه عن هذه اللغة ، وقد سرت بأبحاثى قدما فى هذا المجال ، ولولا انتقال أستاذى لعالم الخلود لو اصلنا البحث حتى الانتهاء منه فى مدة وجيزة .

كما ألم أستاذى إلماما كبيرا باللغات السودانية وباقي اللغات الإفريقية الأخرى ، واستمعت إليه وهو يحاضر فى حديث طلى فى أكثر من مناسبة عن هذه اللغات الإفريقية ، وكانت إحداها فى معهد الدراسات القبطية بالقاهرة .

وقد تخصص سيادته فى اللغات الآثيوبية الفرع السامى منها وغير السامى ، وقد نشر سيادته الكثير من المخطوطات التى كتبت بالجعز ، أما عن الأمهرية فكان يتحدث بها بطلاقة أدهشت كل من كان يسمعه يتحدث بها ، ومن أجل هذا الإتيان وجهه للبحث وخدماته الجليلة لهذه البلاد - عندما كان رئيسا للبعثة التعليمية فى الحبشة - اتخذته الحكومة الآثيوبية مستشارا فنيا لها فى وزارة المعارف ، كما اتخذته الامبراطور السابق « هيلاسلاسى » صديقا حميلا له وامتدت صداقته لعدد كبير من الآثيوبيين .

أما عن اللغات الآسيوية ، فلم يهتم بها أستاذى
فقد أعطاها حقها من الدراسة والبحث والإتقان
ومنها الأرمنية والروسية والسندسكريتية ولغات
الهند ، كما تعلم وهو فى الخمسينات اللغتين الصينية
واليابانية .

ونال سيادته دبلومين فى اللغات الأوربية
القديمة وهما اللغة اليونانية واللغة اللاتينية .

ومن هنا جاءت الخمس وأربعون لغة التى
أتقن أستاذى معظمها .

**المناصب التى شغلها أستاذى : فى التدريس
والمؤتمرات التى انتدب اليها .**

وبعد رجوع الدكتور مراد كامل من بعثته
عين بوظيفة مدرس بقسم اللغات السامية بكلية
الآداب جامعة القاهرة . وتدرج سيادته فى سلك
التدريس حتى رقى إلى وظيفة أستاذ ورئيس
القسم ، وبالإضافة إلى عمله فى الجامعة فكانت
المعاهد والكلية الأهلية تحاول أن تستفيد
بمخبرات أستاذى فى مجالاته ، فتطوع للتدريس
بالكلية الإكليريكية ومعهد الدراسات القبطية ،
كما قام بالتدريس فى معهد الدراسات العربية
التابع لجامعة الدول العربية ، كما استعانته به
الجامعة الأمريكية بالقاهرة للإشراف ومناقشة
بعض رسائل طلبتها فى الماجستير والدكتوراه ،
مع قيامه أحياناً بإعطاء بعض البرامج الدراسية
فى نفس الجامعة .

ولم تجدد الحكومة والجامعات والهيئات
العلمية المصرية أفضل من الدكتور مراد كامل

لكن تعتمد عليه فى كثير من النواحي الأكاديمية
فأوفدته وزارة التربية والتعليم (وزارة المعارف
العمومية سابقاً) مديراً للبعثة التعليمية المصرية
إلى أثيوبيا ، واستمر هناك حوالى عامين
(مارس ١٩٤٣ — أبريل ١٩٤٥) . كما مثل
الجامعة المصرية فى مؤتمر المستشرقين ٢١١
المنعقد فى باريس فى يولييه ١٩٤٨ ، كما أعاد إنشاء
مدرسة الآلسن واختارته الحكومة لىكون
أول مدير لها عام ١٩٥٢ . ثم انتدب كأستاذ
زائر لجامعة « انزبروك » فى صيف ١٩٥٢ .
ومثل الجامعة المصرية (جامعة القاهرة) فى
أكثر من مؤتمر ، كمؤتمر دراسات العهد القديم
المنعقد فى « كوينهاجن » فى ٢٥ يولييه ١٩٥٣ ،
ومؤتمر المستشرقين المنعقد فى « كامبردج »
فى أغسطس ١٩٥٤ ، ومؤتمر المستشرقين المنعقد
فى ميونخ فى أغسطس ١٩٥٧ ، كما قدم عدداً
كبيراً من المحاضرات فى سالزبرج فى أغسطس
١٩٥٦ .

الهيئات التى أشترك فى تأسيسها :

وأشترك أستاذى فى تأسيس بعض الهيئات
العلمية منها مدرسة الآلسن العليا ، وأكاديمية
العلوم المصرية ، ومعهد الدراسات القبطية ، كما
اختير من بين خمسين عالماً لإنشاء إحدى
الجامعات السويسرية .

**لجتمعات والهيئات والمعاهد التى نال زمالتها
وعضويتها :**

ومن أجل الشهرة التى نالها أستاذى فى
مراحل حياته اختير عضواً عاملاً بالهيئات الآتية:

عضو المجمع العلمى المصرى عام ١٩٥٠ ، عضو
المعهد الشرقى ١٩٥٣ ، عضو معهد الدراسات
الشرقية ١٩٥٤ ، عضو الجماعة الدولية لعلوم
دراسة الأسماء بلوفان (بلجيكا) ١٩٥٥ ،
عضو الاكاديمية الالمانية للآثار - برلين ١٩٥٩ ،
عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٦١ ، عضو
شرف المعهد التشيكوسلوفاكى لدراسة الآثار
المصرية بجامعة كارل براغ ١٩٦٥ ، عضو
لجنة نوبل للسلام ١٩٧٠ . كما كان وكيلا لمعهد
الدراسات القبطية بالقاهرة ، ووكيلا لجمعية
الآثار القبطية بالقاهرة . وبعد بلوغه سن الستين
عين أستاذا مدى الحياة فى جامعة فرايبرج
بألمانيا ، كما كان عضوا بأكاديمية العلوم الالمانية .

الوسمة التى حصل عليها :

وبسبب ما أداه أستاذى فى مجالات
الآداب والعلوم الاجتماعية للعالم أجمع ،
كرمته الدول فنحتته أوسمتها تقديرا
لكفاءته الممتازة وعلمه الغزير . فقد منحتته
ألمانيا وسام جوته الفضى عام ١٩٥٧ ، ومنحتته
الحبشة وسام أثيوبيا الذهبى عام ١٩٥٨ ، ووسام
كومانودور (النجمة) عام ١٩٥٦ ، وإيطاليا
منحتته وسام كومانودور (الاستحقاق) عام
١٩٦٠ ، وحصل من مصر على وسام الاستحقاق
من الطبقة الأولى عام ١٩٦٨ ، وميدالية التقدير
من بطريك الأقباط الارثوذكس عام ١٩٦٨ ،
ووسام التقدير من بابا روما عام ١٩٦٨ .

مؤلفات أستاذى :

وبلغت مؤلفات الأستاذ الدكتور مراد

كامل حوالى مائة وسبعين بحثا عما يدل على أن
سيادته كان على إلمام ضخم بالميادين الآتية :

- ١ - اللغويات : أصول اللغة وقواعدها
وتاريخها .
- ٢ - الآداب العالمية .
- ٣ - دراسة المخطوطات وتحقيها .
- ٤ - علم الخطوط .
- ٥ - البرديات والنقوش وشواهد القبور
والاستراكا (الشقف) .
- ٦ - الفنون القديمة والحديثة .
- ٧ - دراسة الأديان .
- ٨ - تاريخ وحضارة الشرق فى عصوره
القديمة والوسيطة والحديثة .
- ٩ - سير العلماء .

- ١٠ - الفهارس (الكتالوجات) والمعاجم
(القواميس) .

وسنفرد هنا بعضا من أبحاثه فى الميادين
السابقة الذكر .

- ١ - اللغويات : أصول اللغة وقواعدها وتاريخها
فقد ألف فيها سيادته حوالى الأربعين بحثا .
وكان أول ما نشر عن اللغويات ، بحثه بعنوان :
العربية وتأثيرها على لغة التحدث النوبية .
وقد نشر البحث فى عام ١٩٢٧ .

ومن أبحاثه فى اللغويات : مباحث عربية ،
اللغات السودانية الشرقية ، ترجمات من العربية
إلى الأدب الإثيوبى . المطالعة العربية للمدارس
الإثيوبية ، الأساس فى القراءة الأمهرية ،
قواعد اللغة العربية للمدارس الابتدائية ، ثلاثة

كتب باللغة الاثيوبية ، اللغات الشرقية في مؤتمر
المستشرقين بباريس ، بحثان في اللغة العربية
جنوبي السودان (في الجنوب) ، بحثان عن
بعض المصطلحات الفنية في اللغة الامهرية ،
نصوص فرنسية مختارة ، اللغة الدولية والسلام
العالمى ، الفعل الرباعى في اللغات السامية الحية
الفلسفة اللغوية والالفاظ اللغوية لجورجى
زيدان (مراجعة وتعليق ١٨٢ صفحة) اللغة
والمجتمع العربى ، الكلمات الفارسية فى العربية
القديمة ، اللغة العربية كائن حى تعليق ومراجعة ،
اللغة والاصطلاح ، لغات النقوش العربية
الشمالية وصلتها باللغة العربية فى البحوث
والمحاضرات ، تعال معى تتعلم الالمانية . العلماء
الإيطاليون والدراسات العربية ، دلالة الالفاظ
العربية وتطورها ، بحثان عن : اللغة العربية
لغة عالميه ، علم الاصوات - نشأته وتطوره ،
العلماء الألمان والدراسات العربية ، ملاحظات
على الاوزان العربية القديمة للمستشرق يوهن
فك نقلها إلى العربية الدكتور مراد كامل . بحثان
عن : حاجة العالم إلى لغة عربية فصحة بسيطة ،
الكلمات القبطية فى اللغة العربية الدارجة اللهجات .
الحديث فى اليمن ؛ تربع الفعل الثلاثى فى العربية
وأخراتها من اللغات السامية .

٢ - الآداب العالمية

نشر سيادته حوالى ثمانية عشر بحثا عن
الآداب وبخاصة آداب اللغة العربية ومن أمثلة
مانشر : الزندقة عند بشار بن برد ، وبيت الحكمة
للأأمون ، الآداب المصرى فى نظر المستشرقين

صلة الآداب الحبشى بالآداب القبطى ، ألفى : لون
من الشعر الحبشى - محاولة لدراسة أوزانه ،
ضميمة ريحان حديقة جوته ، تاريخ الآداب
السريانى من نشأته إلى الفتح الإسلامى
بالاشتراك مع الدكتور محمد حمدى البكرى
والدكتورة زكية رشدى ، لحن إيزيس ، بين
النيل والفرات ، أحداث من كردفان ، قصة
سليمان وملكة سبأ كما يرويها أهل الحبشة ،
تاريخ الآداب العربى لكارل بروكلمان الجزء
الأول - نقله إلى العربية الدكتور عبد الحليم
النجار مراجعة الدكتور مراد كامل ، قصص
سودانية ، أبو عمرو الشيبانى .

٣ - دراسة المخطوطات وتحقيقها :

اهتم الدكتور مراد بدراسة المخطوطات
وتحقيقها ، وقد نشر بعضها بمفرده والبعض
الآخر بالاشتراك ومنها : بيت الحكمة ،
للأأمون - مخطوط محفوظ بمكتبة الجامعة
المصرية تحت رقم ٩١٠٩ عدد الصفحات ٧٨ ؛
مخطوطات الأغسطية الجديدة ، المخطوطات
الاثيوبية بسيناء ؛ تاريخ الهمرد ليرسيف بن
جوربون ؛ تعليق وإضافة للدكتور مراد كامل ،
سيرة الحبشة لأحمى الحسن بن أحمد - الطبعة
الأولى والثانية ؛ الكتون الخطية بدير سانت
كاربن بطور سيناء ؛ تشرىف الأيام والعصور
فى سيرة الملك المنصور لابن عبد الظاهر تحقيق

٤ - علم الخطوط :

وهنا نذكر بعضا مما كتب :
الكتابات الاثيوبية ، الكتابات المختلفة التى

عثر عليها في سيناء، خط القرمة في المصرية .

٥ - البرديات والنقوش وشواهد القبور والاوستراكا (الشقف) :

خطابات آرامية وجدت في تونة الجبل المقال
نشر بالاشتراك مع الاستاذ الدكتور مامى جبره
ملاحظات على الاوراق الآرامية المكتشفة في
هرمبوليس ، وثيقة آرامية على الجلد من القرن
الخامس ق . م ، المكتشفات الآرامية الأخيرة
في مصر ، أوستراكا سريانية ، نقش أثيوبي وجد
في مصر ، الاوراق الخاصة . بتونة الجبل ،
خطابات لاثيوبيا من البطركين يونس الثامن
عشر (١٧٧٠ - ١٧٩٦) ومرتس الثامن
(١٧٩٦ - ١٨٠٩)

٦ - الفنون القديمة والحديثة

الفن الاثيوبي ، فنون القبط وحضارتهم
القصة المصورة في الفن الحبشي ، السكائنات
السماوية في خيال المصورين (جابر هابت)
ترجمة د . مراد كامل ، الفنون الشعبية السودانية
أرنست كونل : عاش للفنون الإسلامية .

٧ - الاديان

الرهبة في الحبشة ، يوحنا النقيوسي ، الآباء
الحاذقون في العبادة الجزء الأول والثاني : تهيد
القبط في ركب الحضارة العالمية ، المرحلة الأخيرة
في العلاقات التاريخية بين الكنيسة القبطية المصرية
والكنيسة الاثيوبية ، والقديس باسيليوس الكبير
نسكياته ، قوانينه الكنسية ، مصر القبطية ،
إسرائيل في التوراة والإنجيل ، حضارة مصر

القبطى ، الخمس مدن الغربية ، العلاقات بين
الكنيسة المصرية والاثيوبية .

٨ - تاريخ وحضارة الشرق :

كنوز الفاطميين للدكتور زكى محمد حسن
— نقد كتبه بالألمانية المستشرق كالا — نقله
إلى العربية الدكتور مراد كامل ، بحثان عن
التقويم الاثيوبي ، مقالان عن الفلاسفة
الاثيوبيين في القرن السابع عشر ، مقالان عن
« عامان في الحبشة » ، مقالان عن إريتريا —
مشاهدات وآمال في هضبات الحبشة ، في بلاد
النجاشي ، مشروع بحيرة تانا ، هل المصري
سبة ، بلاد النجاشي ، فاسيلا داسي نجاشي الحبشة ،
نظام الطرق في بلاد الشرق القديم ، روائع
مدفونة في اليمن ، الحبشة بين القديم والحديث ،
الالعب الرياضية عند قدماء المصريين ، المجتمع
البري قبل الاسلام ، تاريخ مصر من فجر التاريخ
حتى إنشاء مدينة الإسكندرية تأليف السكندر
شارف — ترجمة الأستاذ الدكتور عبد المنعم
أوبكر ومراجعة الدكتور مراد كامل ، فلسطين
بين يدي التاريخ ، الاستعمار الإفريقي للدكتور
زاهر رياض — نقد الدكتور مراد كامل ، بين
العرب والهند قديماً ، تاريخ الحضارة المصرية
(العصر اليوناني والروماني والعصر الاسلامي) .
المجلد الثاني ٣ و ٤ من ديوقليانوس إلى دخول
العرب ، الرمز في الكيمياء عند العرب ، مركز
المرأة في مصر ، حضارة مصر في العصر القبطي .

٩ - سير العلماء :

كان أستاذي يذكر أصدقاءه بكل خير ،

وكان يحب أن يكتب عنهم ، فخصص بعضاً من أبحاثه حول هؤلاء لكي يذكرهم التاريخ ولا ينساهم بعد أن أدوا دوراً مرموقاً لخدمة المجتمعات الإنسانية العالمية .

نخص بالذكر منهم أساتذته وبخاصة أستاذه الراحل عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين . كما كتب بحثين عن أستاذه العظيم أنوليتمان Ennolittmann الأول تحت عنوان « أنوليتمان ١٦ سبتمبر سنة ١٨٧٥ — مايو ١٩٥٨ » ، في مجلة كلية الآداب ، والثاني عن أنوليتمان : أستاذاً وأباً . وقد ترجم مقالا في عام ١٩٢٩ من كارلو ألفونسو نولينوا تحت عنوان « المستشرق نلينو — حياته وآثاره » ، للعلامة المستشرق البروفسور أنوليتمان .

وسجل استاذنا الراحل عام ١٩٤٢ كلماته في مقال عن أحد أساتذته العملاقة المعروف عالمياً لكل من يعمل بالآثار المصرية أو باللغات السامية — وهو إيجين متفوخ Eugen Mittwoch (١٨٧٦ — ١٩٤٢) .

وفي عام ١٩٥٠ كتب عن كارلو كورتى روسيني مقالا نشر في مجلة كلية الآداب . كما دون بحثاً عن كارل بروكلمان في عام ١٩٦٠ بالمجلة . وفي نفس العام كتب « حياة جورج جراف » في مجلة جمعية الآثار القبطية .

١٠ — الفهارس والمراجع :

فهرست مكتبة ديرسانت كاترين بطور سيناء ، كتابالوج لكل المخطوطات في ديرسانت كاترين

بطور سيناء ، المعجم الكبير — ١ — ، أخى ٥١٩ صفحة ، قاموس المصطلحات العسكرية : ٢٠٠٠ كلمة إنجليزي — ألماني ، فرنسي — عربي ، المعجم الألماني : ألماني عربي — تأليف الأستاذ وديع فانوس مراجعة مراد كامل ، قاموس الكتاب المقدس حرف الدال من صفحة ٢٥٥ إلى ٣٨٣ ، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة : (تأليف على بن إسماعيل بن سيدة ، الجزء السادس تحقيق الدكتور مراد كامل (عدد الصفحات ٥١٦) .

* * *

واحتوت هذه البحوث على كتب ومجلدات ضخمة كما كتبت بالعربية والألمانية والإنجليزية والفرنسية والإيطالية واللاتينية . وسوف تظهر جميع منشوراته بالكامل في كتاب أعد خصيصاً لهذا الغرض .

ومن أجل كل هذه التخصصات في الميادين المختلفة العالمية والمحلية ، والتي ظهرت في هذا العدد الضخم من مؤلفات أستاذي ، فقد أشار إليه علماء العالم في أمهرات مراجعهم وأبحاثهم أمثال ديفر Emil G. Kraelin ، أميل كريلينج G.R Driver ، بهذا لبورتن BezaelPorten ، كازل ؛ H.Cazelles ، بومان ؛ R A .Bowman ؛ مفس Y. Muffs ، أندريه دوبل سومير جينسبرج Ginsberg ، بيير جرلوت pierreGrelot ، إده برشيانى A.D nPont-Sommer Edda Bresciani ، كوير B Curoyer ، سامى جبره S. Gabra وكثيرون غيرهم ذكروا اسم الدكتور مراد

كامل ، وكتبه كمرجع أساسى لا يستغنى عنه باحث أو مؤلف . وجاءت تلميحاتهم عنه كالآتى : « انظر كامل » ، « حسبما يقول كامل » ، « تبعاً لكامل » أو تأتى عبارتهم بصورة أخرى :

« إن البحث الرائع الذى كتبه كامل ... إن الكتاب الممتاز الذى ألفه كامل ... » ، إن المقال العميق الذى نشره كامل ... » وغير هذا كثير من مثل هذه العبارات التى تشهد لأستاذى أنه حقاً كان أحد أساطين العلم فى عصره .

وليس هذا بغريب على أستاذى الفاضل مراد كامل الذى تتلمذ على يد نخبة ممتازة من العلماء فى مصر نخص بالذكر منهم الأستاذ الدكتور عميد الأدب طه حسين ، كما تتلمذ على يد فئة من الأساتذة الأجانب وصلت إلى قمة العلم فى عصرهم ومنهم : أرنولد Th. Arnold ، « برجسترسن Bergstrassen » ، جودى « M. Juidi » ، نلينو (G.A, Nallino) ، إنوليتمان (Ennolittmann) « تشخت Schacht » ، وتشيدر Schaéder

وعندما أوفدته جامعة القاهرة فى بعثة علمية تتلمذ على يد عدد آخر من العلماء المشهورين فى السمايات والمصريات منهم :

« إنوليتمان Ennolittmann » ، « متفخ E. Mittwoch » ، تشيدر Schaefer ، « ميسنر N'eissner » ، زيته Sethe ، جرابو GraPo ، هب Heepe ، تشلوبيز Schlobies ، « وسترمان westermann » .

أسفاره ورحلاته :

وتعددت أسفاره الدكتور مراد للدول

الأجنبية وللبلاد العربية فقد قضى فترة طويلة فى ألمانيا عندما كان يحضر لدرجة الدكتوراه وبعد حصوله على درجاته العلمية استمر يزور ألمانيا فى كل عام مرة أو مرتين ، كما زار سيادته إنجلترا وفرنسا وهولندا وبلجيكا وإسبانيا وتشيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا ودويلات البلقان واليونان وإيطاليا وبولندا ورومانيا ، والنمسا وسويسرا .

وزار سيادته كذلك بعضاً من الدول الآسيوية بالإضافة إلى العديد من الدول الإفريقية أما عن البلاد العربية فقد نالت حظاً وفيراً من زيارته بسبب تخصصاته العلمية أولاً وبسبب الصداقات التى كانت تشده إليها منذ أمد طويل أما عن مصر فقد تعددت سفرياته فى كل أرجائها ، فكثيراً ما كان يصحب أصدقاءه الأجانب إلى الأماكن الأثرية كمنطقة الجيزة (الأهرامات) ومنطقة سقارة وبنى حسن وملوى والاشمونين وتونة الجبل والبلينا وإدفو والأقصر شارحاً لهم تاريخ مصر القديم وآثارها ، وما يحتويه هذا التاريخ وهذه الحضارة من عظمة الأجداد .

كما زار دير سانت كاترين والأديرة القبطية والكاثوليكية التى بوادى النيل .

وهكذا تعددت أسفاره أستاذى إلى معظم قارات العالم ، إما طالباً لعلم أو كأستاذ زائر أو بحثاً عن المخطوطات القديمة أو لإلقاء محاضرات فى فروع تخصصاته .

كانت حياته حافلة بالشيء الكثير : فلم يضع دقيقة واحدة من عمره إلا وقد صرفها فيما يفيد .

علاقته بالكنيسة القبطية .

إن تخصصات الدكتور مراد كامل وبخاصة في اللغة العبرية والسريانية والآثيوبية والقبطية بلهجتها قد شدت انتباهه إلى دراسة الكتاب المقدس ، فتدريسه ، فتأليف عنه وعن شعوبه ، وساعدت هذه كلها إلى أن يمتد نشاط سيادته ليعمل بكل جهد وقوة في كنيسته ، وبالذات عندما سافر إلى أثيوبيا وعمل فيها كمستشار في لوزارة المعارف الآثيوبية فأخذ على عاتقه أن يهتم بالعلاقات السائدة بين الكنيسيتين ، الكنيسة القبطية الأم ، والكنيسة الآثيوبية ، وبعد أن عاد من الحديقة اشترك في أكثر من هيئة وأكثر من لجنة كنسية وعمل جاهدا أن يؤلف عن الكنيسة فظهر له العديد من الكتب في هذا المجال . وحيه لكنيسته دفعه أن يهتم بالتراث القبطي الذي انحدر عن المصريين القدماء ، فخصص له وقتا غير قليل من التأليف والنشر ، كما ساعد على أن يكون واحدا من الرواد الأوائل ، الذين عملوا بكلهمة لتأسيس معهد الدراسات القبطية ، والذي أصبح وكيلا له . ومن أجل مجهوداته غير المحدودة وعلو قامته اختيار بالإجماع لكي يكون وكيلا لجمعية الآثار القبطية بالقاهرة ، فعمل مع المسئولين في الجمعية حتى وصل مستواها إلى أعلى المستويات العالمية في الحفائر والبحث والتنقيب عن الآثار القبطية في وادي النيل ، وأصبحت مجلة الجمعية المرأة التي يرى فيها العلماء الأجانب قيمتها الفريدة إذ أنها هي المجلة الوحيدة التي تصدر باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية في جميع أنحاء الشرق والعالم أجمع ،

والتي تناول هذا للترات الخالد بالبحث والدراسة .

ولرفع مستوى الكلية الإكليريكية من الناحية العلمية ، ولكي لا تقتصر دراستها لطلابها على المستوى الديني ، اختير لها أساتذة علماء من هيئة التدريس بالجامعات المصرية ، وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور مراد كامل ، الذي عمل مع غيره لرفع مستوى الكلية الإكليريكية حتى غدت كمستوى الكليات في جامعاتنا المصرية ، وكان رحمه الله يقبل العمل في كل هذه الهيئات القبطية متطوعا .

وقد امتد هذا النشاط الديني العلمي إلى باقي الكنائس الشرقية الكاثوليكية والبروتستانتية فأشركوه في كثير من أنشطتهم ، وأصبح على علاقة قوية وصداقة متينة بالكثيرين من رؤساء هذه الكنائس حتى إن بابا الكرازة المرقسية منحه وساما ، كما أن بابا روما منحه وساما تقديرا لخدماته واعترافا بأفضاله .

مكتبته :

وقد أنشأ الدكتور مراد كامل مكتبة ضخمة بلغت عشرين ألف كتاب في مدى خمسين عاما . وكان كريم النفس عندما أوصى قبل وفاته بعام واحد أن توهب المكتبة إلى بطريركية الإقباط الأرثوذكس ، وقد استلمتها البطريركية فعلا بعد انتقال الدكتور مراد بيومين إلى جوار الله .

ونصت الوصية أن تحفظ المكتبة في دواليها وأن يخصص لها قاعة كبيرة باسم صاحب المكتبة . وأن يصرف عليها من مؤافات الدكتور مراد التي تطبع للمرة بعد المرة ، لكي تزود دائما

بالكتب التي تصدر حذما وفي نفس تخصصاته.

فقد تعاون نيافة الحبر الجليل الأنبا صموئيل أسقف الخدمات العامة مع الأستاذ جرجس كامل وجمعا كتب الدكتور مراد في صناديق ضخمة بلغت أكثر من ستين صندوقا ، وحفظت كما هي لمدة أيام في مكتبة الكلية الإكليريكية .

وقد اهتم حضرة صاحب القداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث بالمكتبة اهتماما عظيما لندرة الكتب التي تحتويها وعملا بوصية صاحبها فأفرد قاعة كبيرة في المبنى المقابل للكاتدرائية الجديدة، وأشرف على ترتيب المكتبة بنفسه كما كانت في منزل صاحبها ، ووضعها في القاعة المعدة لذلك ، وبدأ قداسته في تعيين نخبة ممتازة من الأمناء لعمل فهرس «وكرتات» ، وزين المكتبة بصور صاحبها وشهاداته وأوسمته التي كان قد حصل عليها في حياته كما زودها بما تحتاج إليه من خزائن ومناضد الدرس ، وقد أعجب كل من زار المكتبة من المصريين والأجانب على السواء للمكان المعد لها وللكنوز التي بالمكتبة .

وجاءت المكتبة متنوعة في موضوعاتها كتشوع صاحبها في علمه فشملت كتب اللغة وبخاصة اللغة العربية والسامية وآدابها، والمخطوطات التي كتبت في عصور مختلفة ، وكتب عن تاريخ الشرق وحضارته . ولاهتمام صاحب المكتبة بإفريقية فقد حظيت المكتبة بمجموعة ضخمة من الكتب الإفريقية أما الكتب الدينية فوجد منها الكثير .

وفي المكتبة عدد ضخم من كتب الفنون

وسير الأشخاص والعلاقات بين الشعوب وعلم المخطوط وكتب المثنى التي نشرت عن الزدى والأوستراكا ، والقواميس المتعلقة باللغات القديمة والحديثة على السواء .

ووجد أعداد هائلة من المجلات العلمية والدينية والاجتماعية .

ما كتب عنه :

وكتب عن الدكتور كامل في حياته وبعد مماته كثيرون ، فقد كان أستاذا معروفا عالميا لعدد غير قليل من علماء العالم ، كما كان معروفا للآلاف من أفراد شعبنا الكريم . والذين كتبوا عنه من علماء العالم كانوا من زملائه الذين تخصصوا في دراساته وعرفوا قدره .

أما بعد انتقاله ، فقد كتب الأستاذ أنطون سيدهم بحريدة وطني الصادرة ١٩٧٥/١/١٩ كلمة رقيقة أقتبس بعض كلماتها :

« فقدت مصر هذا الأسبوع ابنا بارا من أبنائها الذين أدوا واجهم بإخلاص وأمانة ، وصدق إزاء الوطن .. فقد اختار الله إلى جواره المغفور له الأستاذ مراد كامل ، العالم ، الفيلسوف الباحث ، بعد حياة حافلة بجلالات الأعمال في مختلف مجالات الفكر ، والأدب ، والتاريخ ، واللغات .

لقد كان رحمه الله موهوبا لا يرض بعلمه ، بل يقدمه لخدمة وطنه مصر ، وللإنسانية جميعها بسخاء يؤكد أصالة وعلو كعبه في كل مجال تناوله بالبحث البناء ، بالعمل الدائب المشمر

وبالفكر العميق الجاد .

وقد عرفت المحافل الدولية مكانته العلمية الرفيعة ووقفت على قدرته الفذة في البحث العلمى المستند إلى الحقائق فأقبلت على إنتاجه تنهل منه ما يمد أمامها الطريق ، وهى تقوم ببحوثها فى مختلف مجالات الفكر .

وانعكس أثر هذا الاهتمام الدولى فى الجامعات الأوروبية والأمريكية ، فاستعانت بمؤلفاته الكثيرة التى تجاوزت المائة ، فى بحوثها التى تسعى للاستفادة بالماضى من أجل الحاضر ، والاستفادة بالحاضر من أجل مستقبل زاهر يظل للبشرية بسعادة ، وخير ، وطمأنينة ، وسلام ..

وقد اعتمدت الدراسات اللغوية عليه اعتمادا كبيرا ، كما اعتمدت دراسات تراثنا الفرعونى والعربى على إبداعة العبقري .

هذا بالإضافة إلى أنه - رحمه الله - كان أول عميد لكلية الآلسن فى مصر ، ثم شغل بعد ذلك منصب رئيس قسم اللغات السامية بكلية الآداب بجامعة القاهرة .

وبما نعيه ذاكرتى ويذكره الكثيرون أيضا أن الحكومة الأثيوبية قد استعانت به فى تنظيم وزارة التعليم بها وإعداد برامج الدراسة فى مدارسها المختلفة .

وأدى الفقيد الكريم خدمات جليلة للكنيسة القبطية ، فقد كان مرجعا رئيسيا ورائدا تعتمد عليه فى البحوث والدراسات .

كان الفقيد العظيم فى الحقيقة أستاذا ،

وعالما . كان صاحب قلم وفكر ودين ... كان مصريا قوميا . . . محبا لبلده . . . لأمتة . . . لدروسته . كان صديقا عزيزا يحب صديقه ويتعنى له الخير دائما ، لقد ترك وراءه الألوف من تلاميذه ومحبيه ومريديه . . . فإلى جنة الخلد . . . رحمه الله ، وطييب ذكراه . . .

وكتب الأستاذ فريد عبد السيد بحريدة وطنى الصادرة فى ١٩/١/١٩٧٥ عن أستاذنا الراحل كلمة رائعة حلل فيها ميادته جوانب عدة من التى كانت للدكتور مراد كامل . وهذه بعض فقرات مما جاء فيها :

« فقدت مصر عالما جليلا ومفكرا عظيما ، نذر حياته من أجل الثقافة واللغات والفكر أكثر من ٥٠ عاما . فقدت مصر الدكتور مراد كامل ، الذى أجاد أكثر من ٤٠ لغة ، وقدم أكثر من ١٧٠ كتابا وبحثا ، وكان عطاؤه الفكرى جزيلا فى جامعات مصر والخارج ، فاختير عضوا فى أكبر هيئة علمية فى العالم ، هى هيئة الترشيح لجائزة نوبل للسلام العالمى فى تاريخ الأدب واللغة ، واختارته جامعة فرايبورج بألمانيا بعد انتهاء خدمته الرسمية بمصر أستاذا مدى الحياة . »

كما نعاه الأستاذ كان الملاح فى جريدة الأهرام بالكلمات الآتية :

« فقدت مصر أمس عالما كبيرا من عالمائها هو د . مراد كامل عضو المجمع اللغوى والوحيد

فى الشرق العربى الذى يجيد . ٤ لغة ، بينها اللغة
الامهرية ، وهو أحد خبرائها العالميين .

توفى د . مراد كامل (٦٨ سنة) فى المستشفى
بعد مرض لازمه شهرا .

حبه لوطنه « مصر »

أمنية ردها الأستاذ الدكتور مراد كامل
وهو أن يدفن فى تراب مصر ، مصر التى أحبا
كل الحب وكرس حياته بأكملها من أجل خدمتها
وخدمة أبنائها ؛ فتدريسه فى الجامعة ومؤلفاته
الخالدة وأسفاره والمؤتمرات الدولية التى اشترك
فيها والهيئات العالمية التى كان عضوا بها ، كل
هذا أشعر العالم أجمع بمدى الخسارة الفادحة التى
خسرتها مصر والعالم بانتقال الدكتور مراد إلى
جوار ربه .

لقد أحب أستاذى مصر حتى إنه لم يكن
يتصور أن يعيش بعيدا عنها مدة طويلة، وعندما
وصله خطاب الجامعة منذ عام لى يقوم
بالتدريس فى كلية الآداب بجامعة القاهرة ،
سر كثيرا جدا، وكان فى منتهى السعادة أن يعود
إلى مصر ليواصل كفاحه فى بلاده ويعيش بين
طلابه وأصدقائه وعارفيه ومقدرى علمه ،

لقد ترك عالم الغرب وعاد إلى مصر ، ولكن
ماهى إلا بضعة أشهر قضاها بيننا حتى انتقل
إلى جوار ربه بعد مرض لازمه أربعين يوما ،
وفى هذه الفترة القصيرة زاره فيها أهله
وأصدقائه وعارفوه وطلابه ، وكانت بمثابة
توديعهم له الوداع الأخير ، وهكذا تحققت
لأحدى رغبات أستاذى ولأحدى أمنياته وأن يدفن
فى تراب مصر .

أستاذى الخالد :

أشرقت شمسك بنور المعرفة على القريب
والبعيد ، فأنت عملاق سموت فى علمك ،
تألفت فربطت بين الحضارات قديمها وحديثها ،
فكنت خير سفير لمصر فى المجال العالمى .
كنت لى وللكثيرين أبا روحيا ، ومعلما ،
وموجها « ورائدا » . وإن أنسى مدى الحياة ،
ما قدمت لى ، فى محبة خالصة وأبوة صادقة .
لك الخلود ولنا العزاء .

وإن كانت شمسك قد غربت ، فالجنة
مساكن أعمالك العديدة ستخلد ذكراك ،
بين الخالدين ، ومحبيك وعارفى فضلك .

رثاء الدكتور طه حسين

للدكتور عبد الله الطيب عضو المجمع من السودان

توى الحبر طه لدى ربّه	ولا نثر أسلس من نثره
وخَلّاه الله في حَزْبِه	وسَهّل الكلام سوى صعبه
وكان لعمري عديم النظير	وبالعلم قد ورث الأنبياء
ومنّذا الذي كان من ضربه!	والفنّ كان رحي قطبه
وكان شجاعا وكان جريئا	وكان حميقا بإيمانه
وكان ذكيا وأعظم به	وشاهد ذلك في قلبه
وأسلوبه يسحر القارئ	وقد كان حرا بتفكيره
ويخلص للمرء في لبّه	ومتقدّ الحس في خصبه
شُغِفْنَا به في زمان الصبا	وكان الطواغيت قد راعها
وذُقْنَا التذوق من عذبه	بثورته وسنا شهبه
وقد كان فذا وجيلا بنى	ولم يكن الزيف من دهره
بما قرأ الناس من كتبه	ولا ملقُ الناس من طبعه
وكم قلّد الناس أسلوبه	يشعّ عليك بإشراقه
ومنّذا يطول إلى هضبه	مهيب الجلالة في قربه
وينساب مثل انسياباته	لطيف الدعاة حلو الحديده
وينهل مثل حيا سُحبه	ث، وسل في الخطابة عن خطبه
وقد نال شدة أسر القديم	تدقّقه وندي صوته
وكان الجديد إلى جنبه	واسماحه وقوى جذبّه

وقد زرت مصر رجاء اتصال
 به وانتسابٍ إلى رُحْبِهِ
 ونوّه بي بين أهل الحجا
 أَيْجِزِيهِ عَنِّي سَوَى رَبِّهِ؟
 وعاداك قومٌ بإحسانه
 إليك وراموا إلى ثَلْبِهِ
 وقد كان طه كثير الحياء
 رقيق العبارة في عتبه
 ويُعْرِضُ إِعْرَاضَ حِلْمِ الْكَرِيمِ
 هم عَمَّنْ يريد إلى سَبِّهِ
 ويسم حتى ضياء البصير
 قِـ تَبْصِرُهُ الْعَيْنُ مِنْ صَوْبِهِ
 وقد كان ملتزما بالوفاء
 وحسن الثناء على صحبه
 وكان حبيباً إلى شَعْبِهِ
 ويأوى الأديبُ إلى شَعْبِهِ
 وأحزنتني الناس لما نعوه
 إلى ومجدي من سيبه
 يعيبونني حين أثنى عليّ
 بخير، أفضلي من ذنبه؟!

فصاحة سَحْبَانٍ في سمتِه
 وقسّ الإياديّ في ثوبه
 وأحيا لنا الجاحظَ العبقرى
 بإبداعه ومدى وثبه
 ومثل العرّى لكنّه
 أضاف إلى الشرق من غربه
 وراد لنا نهضة لا نزا
 ل نساك فيها على دربه
 عرفنا به الأدب الجاهليّ
 وصدق الرواية من كِذْبِهِ
 وعلمنا فَمَهْمَ نهج الجزا
 لة حتى ثبتنا على حَبِّهِ
 قرأنا تصانيفه فاستفدنا
 بعبّ السّلافة من شربه
 ونحن بها من تلاميذه
 وأيّ أولى الفضل لم تَسْبِهِ
 وقد كان بعدُ شديد المرا
 س مُرّاً الشّكيمة في حربهِ
 كذلك يكون الأديبُ الأصيد
 ل الذي طَلَبُ الحق من دأبه

وإنّ دموعى هذا القريض	وفى جنة النّفر الصالحين
ولست أفترّ من سكبى	من مضجّع طه لدى ربّه
وأطربه حين أنشدته	فجّادت ثرى قبره رحمة
قريضى وهشّ إلى ضربه	وسحّ رضا الله فى تربه
وقد قال : إنّك أشعر مما	عقيلة طه فلا تمحزنى
تظنّ كثيراً ولم أنبّه	فإنّك شاركت فى كسبه
وأنتى على الثناء الذى	بمحبّك إياه قد كان طـ
يموت عدوى من غبّه	هـ مع الفنّ يأمن فى سربه
فلا تأسّ قلباً على حاسدٍ	فذاك عزاء ، وكلّ الورى
يعيبُ وذلك من عيبه	يسوقهم الموت فى ركبـ
وحسبك طه وإقباله	
عليك وكان فتى عربه	

من أنباء المجمع

أمين جديد للجمعية :

انتخب مجلس الجمعية بجلسته المنعقدة في ٣٠ / ١٢ / ١٩٧٤ الأستاذ
عبد الحميد حسن أميناً للجمعية ، وصدر القرار الوزاري باعتماد انتخابه لمدة
أربع سنوات أخرى قابلة للتجديد .

فقيسنا الجمع :

- فقد الجمع عضوين جليلين من أعضائه هما :
 - * المرحوم الدكتور مراد كامل ، الذي توفي في ١٦ / ١ / ١٩٧٥ .
 - وأقام الجمع حفل تأبينه في ٢٦ / ٣ / ١٩٧٤ ، والكلمات مثبتة في هذا
الجزء من المجلة .
 - * والمغفور له صاحب الفضيلة الدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج الذي توفي
في ١٣ / ٤ / ١٩٧٥ .
 - وسُردت الكلمات التي ستلقى في حفل تأبينه بالجزء القادم من المجلة .

أعضاء جدد :

- انتخب مجلس الجمعية بجلسته التي عقدها في ١٦ / ٢ / ١٩٧٤ ثلاثة
أعضاء جدد ، هم السادة :
 - * الأستاذ بدر الدين أبو غازي في المكان الذي خلا بوفاة المغفور له
الأستاذ محمود تيمور .
 - * الدكتور محمد يوسف حسن في المكان الذي خلا بوفاة المغفور له
الدكتور طه حسين .
 - * الدكتور محمود مختار في المكان الذي خلا بوفاة المغفور له
الأستاذ علي السباعي .
 - وأقام الجمع حفل استقبالهم في ٢٠ / ٢ / ١٩٧٥ ، والكلمات مثبتة
بهذا الجزء من المجلة .

خبراء جدد :

- قرر مجلس الجمعية اختيار بعض الخبراء الجدد للجان الجمع ، وهم السادة :
 - * الدكتور الشيخ محمد رفعت فتح الله رئيس قسم اللغويات بكلية اللغة
العربية بجامعة الأزهر (للجنة الأصول) .
 - * الدكتور محمد الهادي عفيفي عميد كلية التربية بجامعة عين شمس
(للجنة التربية وعلم النفس) .

- * الدكتور رأفت كامل واصف رئيس قسم الفيزيقا بكلية العلوم بجامعة الأزهر (للجنة الفيزيقا)
- * الدكتور محمد سالم الجرح الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم (للجنة المعجم الكبير) .
- * الدكتور على كامل المدير العام السابق للفنون الجميلة (للجنة الفنون) .
- * الأستاذ أحمد كامل مرسى الخرج السينمائي (للجنة الفنون) .

صلات المجمع الثقافية :

** ورد إلى المجمع رسالة من الأستاذ محمد الحسن الداغستاني (من دمشق) تتضمن استنباط حروف عربية جديدة ، لتيسير الكتابة العربية ، ومرفق برسائله بعض النسخ المصورة لبحثه . وقرر المجلس بجلسته المنعقدة في ٦ / ١ / ١٩٧٥ إحالتها على لجنة تيسير الكتابة العربية ، لنظرها وإبداء الرأي فيها . ثم أرسل نماذج أخرى لمشروعه ، فقرر المجلس بجلسته المنعقدة في ٧ / ٤ / ١٩٧٥ إحالتها أيضاً على لجنة تيسير الكتابة العربية .

** ورد إلى المجمع كتاب من الدكتور محمد حلي مراد مدير مشروع الأمم المتحدة الإقليمي للمالية العامة والإدارة ببيروت ، طالباً إبداء الرأي في الدليل الموجز للمصطلحات المالية العامة باللغتين العربية والإنجليزية ، الذي يعده ليكون في متناول المشتركين في برامج التدريبية ، لتعريفهم بالمصطلحات المطلوبة ، وقرر المجلس بجلسته المنعقدة في ٢٠ / ١ / ١٩٧٥ إحالته على لجنة القانون ، لنظره وإبداء الرأي فيه .

** ورد إلى المجمع كتاب من الدكتور محمد عبد العزيز محمد (طبيب العيون) مرفق به مصنف في مفردات طب العيون . فقرر المجلس بجلسته المنعقدة في ١٤ / ٤ / ١٩٧٥ إحالته على لجنة الطب ، لنظره وإبداء الرأي فيه .

** ورد إلى المجمع كتاب من الدكتور الصيدلي صبحي السبكي يتضمن بحثاً يعرض نماذج خاصة بتيسير الكتابة العربية ، فقرر المجلس بجلسته المنعقدة في ٢١ / ٤ / ١٩٧٥ إحالته على لجنة تيسير الكتابة العربية ، لنظره وإبداء الرأي فيه .

